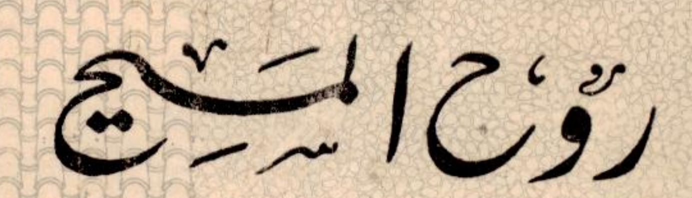
٥

الكتاب السنوى



روح المسيح

تأملات عن حلول الروح القدس فى المؤمنين والكنيسة

تأليف

أندرو مورى

تعريب

فؤاد حبيب

الطبعة الثانية

١٩٨٣

لجنة خلاص النفوس للنشر

روح المسيح

تأملات عن حلول الروح القدس فى المؤمنين والكنيسة

تأليف

أندرو موري

تعريب

فؤاد حبيب

الطبعة الثانية

١٩٨٣

يطلب من

لجنة خلاص النفوس للنشر

١٢ شارع قطه بشبرا مصر



باسم الآب والابن والروح القدس
إله واحد. آمين

مطبعة الخلاص

مقـــدمة

«روح المسيح»، أو «الروح القدس»، هو روح الله الحى الذى حل على الكنيسة إبان مولدها فى يوم الخمسين، إتماماً لوعد الرب المبارك لتلاميذه قبل موته وقيامته وقبيل صعوده عنهم. وكان مجىء الروح هذا إعلاناً ببداية عصر الروح، وشروق شمس يوم جديد يحمل فيه الروح على عاتقه توصيل فداء الله للإنسان، وتكميل الكنيسة ليوم تمجيدها. وكما رأينا الروح وراء كل عمل من أعمال الرسل فى تلك الكنيسة الأولى الفتية، فهو لا يزال لليوم الروح العامل فى كل كنيسة ناهضة.

وما يقال عن الكنيسة كمجموع يقال عن المؤمن كفرد، فإرادة الله أن يحيا المؤمن فى كل عصر الحياة الغالبة المنتصرة، وأن يكون سفيراً أميناً للمسيح، ولا سبيل لتحقيق ذلك إلا عندما يأخذ الروح القدس مجاله فينا ليعمل بحرية، فيظهر المسيح لنا وفينا بقوة تظهر فى حياتنا الخاصة وفى شهادتنا للمسيح.

ويجمع الكثيرون على أن حياة المؤمنين والكنيسة ليست كما رسم لها الله، وذلك الضعف الغالب على حياة الكثيرين من المؤمنين والظاهر فى شهادة الكنيسة للعالم لا يمكن أن يعزى لشىء سوى لأننا لم نكرم الروح الذى حل فينا، ولم نعطه المكانة التى له بحسب فكر الله: أن يسود على الحياة، ويبسط سلطانه على كل جزء من أجزائها، ويكون هو القائد والمرشد والموجه.

ولا سبيل للتخلص من الفشل إلا إذا اعترفنا بخطية عدم إكرام الروح الذى حل فينا، ولا يمكن أن تعود القوة للحياة إلا إذا فتحنا كياننا بجملته له كمصدر الحياة والقوة ليملك فينـــا، وكلما كان خضوعنا وتسليمنا كاملا كانت سيادته على الحياة وامتلاؤنا به كاملا أيضاً.

فإلى كل من يريد أن يودع حياة الضعف والفشل ، ويا من تبغون نجاحاً فى خدمتكم وثمراً لعملكم ، لا داعى أن تتحسروا على اختبار كان لكم فى الماضى ، واذكروا أن الروح القدس فيكم ، وهو لا يزال يريد أن يمتعكم كل يوم ببركات حضوره من فرح وقوة وانتصار ، وأن يعمل بكم أعماله المجيدة ، ويعطيكم أن تحظوا بمجد حضور الرب الممجد معكم دائماً ، فتسير الحياة هنا بقوة الدهر الآتى .

وإنى أقدم للقارىء العزيز هذا الكتاب الفذ ، الذى ضمنه مؤلفه - رجل النهضات العظيم والكاتب الملهم « أندرو مورى » - علاقة الروح بالمؤمن والكنيسة والعالم ، وهو يعد بحثاً لاهوتياً له قيمته ، تتسم أفكاره بالعمق ، وتنأى به عن السطحية ، وترقى به إلى مصاف الكتب التى تعتز بها المكتبة المسيحية ، مصلياً إلى القدير أن يعطى لكل من صار شريك الحياة التى نلناها فى المسيح أن يتمتع بملء شركة الروح القدس ، لأجل حياة أفضل ، وخدمة أعظم .

(المعرب)

تمهيد

فى الأزمنة الغابرة تقابل المؤمنون مع الله ، وعرفوه ، وساروا معه ، وكان لهم الإحساس الواضح الأكيد أنهم يتعاملون مع إله السماء ، وبالإيمان كانت لهم الثقة أنهم قد وجدوا نعمة فى عينيه ، وأن حياتهم مرضية أمامه . وبعد أن جاء ابن الله إلى الأرض ، وأعلن عن الآب ، كان لا بد أن هذا السير مع الله والتمتع برضاه يصبح أكثر وضوحاً ، ويكون هو النصيب الدائم ، والاختبار الذى يتمتع به كل واحد من أولاد الله . وعندما ارتقى ابن الله عرش المجد فى السماء أرسل إلى قلوبنا الروح القدس لكى يقيم فينا أساس حياة مباركة فى شركة مع الله ، وكانت هذه إحدى العلامات المميزة للعهد الجديد ، أن يحيا كل من صار شريكاً فى هذا العهد فى شركة شخصية مع الله ، « لا يعلمون كل واحد قريبه وكل واحد أخاه قائلا اعرف الرب لأن الجميع سيعرفوننى من صغيرهم إلى كبيرهم لأنى أكون صفوحاً عن آثامهم » . فالشركة الشخصية ، ومعرفة الله بالروح القدس ، هى ثمرة غفران الخطية . فروح ابن الله قد أرسل إلى قلوبنا ليقوم فى كل لحظة بعمل إلهى لا يقل أهمية عن عمل الابن فى فدائنا ، فيغير حياتنا لتكون مشابهة لحياة المسيح ، وليجعل حضور ابن الله أمراً محسوساً ودائماً ، فهذا هو ما وعد به الآب كبركة مميزة من بركات العهد الجديد ، لتصبح من الآن شركتنا مع الله بأقانيمه الثلاثة ، الروح يظهر الابن فى داخلنا ، وفى الابن نستطيع أن نرى الآب ونعرفه .

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن أقلية نادرة من المؤمنين لهم هذا السير مع الله ، وهذه الحياة التى فى الله ، كما هى فى فكر الآب ، وليس من يعرف سر هذا الفشل . ومن المعترف به بلا جدال ، أن الروح القدس الذى بقدرته الإلهية يعمل فى داخلنا على إظهار شخص الآب والإبن ، هذا الروح غير معروف وغير معترف به فى الكنيسة كما ينبغى أن يكون . ففى وعظنا ، وفى

حياتنا ، لا يحتل هو مكان الصدارة الذى له بحسب خطة الله ، وكما يتفق مع مواعيده . وفى الوقت الذى نجد فيه تعليمنا عن الروح القدس صحيحاً وكتابياً ، لكن حضوره ومظاهر قوته فى حياة المؤمنين وفى خدمة الكلمة ، وفى شهادة الكنيسة بين العالم ، ليس كما تعد به كلمة الله وليس طبقاً لخطته .

وليس بين المؤمنين من يفطن إلى أهمية هذه الحاجة الق وى ، وضرورة السعى باجتهاد لمعرفة فكر الله من جهة هذا الأمر ، وكيف يكون التخلص من الفشل البعض يشعرون أن حياتهم ليست كما ينبغى أن تكون ، وكثيرون يتلفتون خلفهم نحو زمن معين تمتعوا فيه بانتعاش روحى ، وكانت حياتهم فى ارتفاع واضح وفى مستوى عال ، واختبار الفرح والقوة الناتج عن تمتعهم بحضور المخلص كان حقيقة أكيدة وسبب بركة ، ولكن إلى وقت محدود ، حدث بعده انحدار تدريجى إلى مستوى منخفض مصحوباً بمجهودات فاشلة ، وسقوط محزن . وعبثاً يحاولون الوصول إلى سر الفشل ومكمن الخطأ . والجواب على ذلك ـ بلا تردد ـ يجب أن يكون هكذا : أنهم لم يعرفوا ولم يكرموا الروح الساكن فيهم كمصدر القوة لحياتهم والذى يشدد الإيمان ليحفظهم دائماً ناظرين إلى يسوع واثقين فيه ، ولم يعرفوا بعد ماذا يعنيه الانتظار أمام الله يوماً فيوماً فى اتضاع عميق ليحررهم الروح القدس من سلطان الجسد ، ويضمن لهم حضور الآب والابن العجيب فى داخلهم .

ويوجد كثيرون جداً ، مئات وألوف من أولاد الله الأعزاء ، لا يعرفون حتى الآن شيئاً ، ولو مجرد اختبارات وقتية ، عن حياة أكثر لمعاناً من تلك التى ألفوها فى سقوط وقيام متكرر لا ينتهى . لقد قضوا حياتهم بعيداً عن النهضات والانتعاشات ، أما التعاليم التى يتلقونها فهى أيضاً لا تفيدهم خاصة من جهة موضوع التكريس الكامل . كما أن الظروف التى تحيط بهم لا تلائم ولا تشجع نمو الحياة الروحية ، وكم من مرة يلتهب القلب شوقاً حقيقياً لحياة تتفق مع إرادة الله ، ولكن قل أن يشرق لهم الأمل فى إمكانية تحقيق ذلك ،

أن يسلكوا ويرضوا الله كما يحق للرب فى كل رضى . وهم من الناحية العملية يُعتبرون أجنبيين عن أعظم جزء فى بركات البنوية لله ، وأثمن عطية لمحبة الآب التى ظهرت فى المسيح ، أعنى بها موهبة الروح القدس ، ليسكن فيهم ويقود حياتهم .

وفى الحقيقة أحسبه امتيازاً لا يُنطق به ، إن كان الله يستخدمنى لأقدم لأولاده المحبوبين السؤال الوارد فى كلمة الله : « ألستم تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم ؟ ! » ، وأن أبشرهم بالأنباء السارة عن العمل المجيد الذى يستطيع الروح القدس الذى فيهم أن يعمله فى حياة كل واحد منهم ، وأود أن أكشف القناع عن الأمور التى عاقت ذلك الروح من أن يؤدى عمله المبارك . آه لو عرفوا أن التدبير الإلهى قد سهل الطريق ليتسنى لكل نفس مخلصة صادقة أن تتمتع بالأفراح بسبب العمل العظيم الذى لأجله قد أعطى الروح ليعمل فينا ، بما فى ذلك الإعلان الكامل عن حضور الرب يسوع وسكناه فينا . وقد صليت لإلهى بكل اتضاع أن يهب لكلماتى الضعيفة لمسة الروح القدس المحيية ، ليضىء فكر وحق الله داخل قلوب أولاده ، وليمتلئوا بمحبته وقوته ، وتتحقق لهم بصورة مباركة وباختبار أكيد عطية المحبة العجيبة التى تُعرف بحياة وأفراح الروح القدس ، إذ يجعل الرب يسوع قريباً منهم ويمجده فيهم بعد أن كانوا لا يعرفونه إلا عن بعد .

ولا يوجد بين كل الأمور اللاهوتية ما يقودنا إلى معرفة عظمة مجد الله ، أو ما هو له أهميته العظمى الحيوية والعملية فى الحياة اليومية ، أكثر من ذلك الذى يتعلق بما يعد ذروة وأوج إعلان الله وعمل الفداء ، أعنى به : كيف وإلى أى حد يمكن لروح الله القدوس أن يسكن فينا ويملأنا ، وإلى أى مدى يستطيع أن يحول قلب كل من أولاد الله إلى هيكل جميل لله ، حيث يملك المسيح كالمخلص المقتدر ، ويتخذ من القلب مسكناً دائماً له . إنه سؤال فى اللاهوت ، إذا بحثنا عن إجابته فى حضور الروح القدس وفى ضوء ما يعلمنا إياه

الروح ، فسوف يحول كل معرفتنا للأمور اللاهوتية إلى معرفة الله التى هى فى ذاتها حياة أبدية .

ونحن لا ينقصنا أن ندرس اللاهوت كثيراً أو قليلا ، ولكن يبدو أنه رغم كل ما يُبذل من مجهودات فى الكتابة والوعظ والخدمة أن هناك شيئاً ينقصنا . أفليست هى القوة من الأعالى عين ما نحتاج إليه ؟ أليس لأنه ، بالرغم من كل محبتنا للمسيح وجهادنا لأجل تمجيد اسمه ، لكننا لم نجعل غايتنا ما كان يشغل قلبه عندما ارتقى إلى يمين العظمة فى الأعالى : إن تلاميذه ينتظرون وعده بأن يلبسوا قوة من الأعالى ، حتى بهذه القوة ، وفى إحساسهم بحضور السيد يستطيعون أن يشهدوا عنه ؟ ليت الله يقيم من بيننا كثيرين يكرسون حياتهم ليدفعوا المؤمنين إلى حياة المعرفة الكاملة بالروح القدس ، عن طريق خدمة الكلمة ، أو بالكتابة ، وفى كل عمل يعمل فى كنيسة الله .

وفى كل دراستى لهذا الموضوع ، وما ألاحظه فى حياة المؤمنين ، وفى اختباراتى الشخصية ، قد تأثرت بالغ الأثر بفكر واحد ، ألا وهو أن صلواتنا التى نرفعها لأجل إظهار عمل الروح القدس بكل قوة فينا وبيننا ، يمكن أن تلقى استجابة أكيدة قوية عندما يصبح كل مؤمن فينا أكثر إدراكاً لسكنى الروح القدس فيه وعندما يظهر حضوره بأكثر وضوح فى الحياة . فنحن لنا الروح القدس فى داخلنا ، لكن فقط الأمين فى القليل يقام على الكثير ؛ فإن كنا نخضع ذواتنا أولا لقيادة الروح ، ونعترف بحضوره فينا ، وعندما نتنبه كمؤمنين للتحقق من إرشاده فى كل ما يتعلق بحياتنا اليومية ؛ فعندئذ سيسر الله أن يأتمننا على مقاييس أعظم لقوته المجيدة . وإن كنا نسلم أنفسنا بالتمام له ، الذى هو سر حياتنا ، ليملك فى الداخل ، فإنه سيهب نفسه لنا مالكاً علينا بصورة أكمل ، لكى يعمل فينا .

ولست أطلب شيئاً أكثر من أن يستخدم الرب ما سطرته فى هذا الكتاب لتوضيح هذا الحق ليصبح أكثر فاعلية : أن الروح القدس ينبغى أن

يكون سر حياتنا ، وبالإيمان الحى نقبل سكناه ونعتز به ، حتى يصبح وجوده جزءاً من وجدان الإنسان الجديد . الروح القدس يمتلكنى . وبهذا الإيمان ينبغى أن نخضع الحياة كلها لقيادته ، حتى الأمور البسيطة ، بينما نسلم للصلب والموت كل ما يصدر عن الجسد أو الذات . فإن كنا بهذا الإيمان ننتظر الله لأجل قيادته وعمله الإلهى واضعين أنفسنا بجملتها رهن إشارته ، فلا يمكن أن تبقى صلواتنا بدون استجابة ، بل ستكون هناك أفعال ومظاهر لقوة الروح فى الكنيسة وفى العالم بصورة لم نكن ننتظرها ، فقط يريد الروح القدس أوانى قد تكرست بجملتها له ، وعندئذ سيسره أن يعلن مجد المسيح ربنا .

وإنى أستودع أحبائى ، وشركائى فى الإيمان ، لإرشاد الروح القدس ، فليتنا كلنا ، بدراستنا لأعماله ، نصبح شركاء المسحة التى تستطيع أن تعلمنا كل شىء .

١٥ أغسطس ١٨٨٨ — **أندرو مورى**

ولنجون ــ رأس الرجاء الصالح

الفصل الأول

روح جديدة . . وروح الله

« وأعطيكم قلباً جديداً ، وأجعل روحاً جديدة فى داخلكم ، وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم ، وأجعل روحى فى داخلكم »
(حزقيال ٣٦ : ٢٦ و ٢٧)

أظهر الله نفسه للإنسان فى تدبيرين عظيمين . فنى القديم كان عصر الوعد والإعداد ، وفى الجديد عصر التتميم والامتلاك . وهناك عمل مزدوج لروح الله يختلف باختلاف التدبيرين . فى العهد القديم كان روح الله يحل على الناس مؤثراً عليهم بطرق معينة وفى أوقات خاصة ، عاملا فيهم من أعلى ومن الخارج . وفى العهد الجديد نرى الروح القدس يدخل فيهم ، ويسكن فيهم ، ويعمل من الداخل ويظهر تأثيره فى الخارج وإلى أعلى . فى الأول يظهر روح الله أنه القدوس القدير ، وفى الأخير بأنه روح الرب يسوع المسيح .

والفرق بين عمل الروح القدس المزدوج فى الحالتين لا ينبغى أن يعتبر وكأنه بانتهاء العهد القديم قد توقف العمل الأول ، ولم يعد فى الجديد عمل الإعداد ، كلا ، ولكن كما كان فى القديم انتظارات مباركة من وراء حلول روح الله ، هكذا الآن فى الجديد لا يزال العمل المزدوج يسير ، فالمؤمن فى هذه الأيام ، بسبب نقص فى المعرفة أو ضعف فى الإيمان ، أو لعدم الأمانة لا يصل إلى مقياس العهد القديم لعمل الروح . وحقاً إن الروح القدس قد أعطى ليسكن فى كل واحد من أولاد الله ، ومع ذلك فإن اختباره لا يتخطى قليلا حدود النصف الأول من الوعد ، أعنى به الروح الجديدة التى تعطى لنا بالتجديد . أما روح الله نفسه كأقنوم حى قد حل فينا فأمر غير معروف على الإطلاق . فعمل الروح فى التبكيت على الخطية ، وعلى البر ، وفى قيادته للتوبة والإيمان والحياة الجديدة ، ليس إلا عملا تمهيدياً . ومجد سكنى الروح فى العهد الجديد

ينحصر فى سكناه الإلهى بذاته فى قلب المؤمن ، ليعلن الآب والابن . وعندما يفطن المؤمنون إلى هذا الحق فعندئذ فقط يستطيعون أن يطالبوا بملء البركة المعدة لهم فى يسوع المسيح .

وفى سفر حزقيال (٣٦ : ٢٦ و ٢٧) تتضح أمامنا هذه البركة المزدوجة التى يسكبها الله علينا بروحه القدوس ، يتضمنها وعد واحد . أولا : « أجعل روحاً جديدة فى داخلكم » ، ويقصد بذلك أن روح الإنسان نفسه تتجدد وتنال الحياة بعمل روح الله . وبعد أن تتم هذه تأتى البركة الثانية : « أجعل روحى فى داخلكم » ليتخذ من الروح الجديدة مسكناً له ، فحيث يوجد الله لا بد له من مسكن ، فبالنسبة لآدم كان لا بد أن يخلق جسداً قبل أن ينفخ فيه بروح الحياة ، وبين شعبه فى القديم كان من اللازم أن تبنى خيمة الاجتماع والهيكل أولا قبل أن ينزل الله ، وهكذا فإن الشرط اللازم لحلول روح الله فينا هو أن نعطى قلباً جديداً وروحاً جديدة ، وهذا واضح فى صلاة داود ، أولا : « قلباً نقياً اخلق فىّ يا الله ، وروحاً مستقيماً جدد فى داخلى » ، وبعد ذلك : « وروحك القدوس لا تنزعه منى » ، أو ما تدل عليه هذه الكلمات : « المولود من الروح هو روح » ، فروح الله هو الذى يلد ، والروح الجديدة تولد منه ، ونفس الشيئين نجدهما متميزين فى هذه الكلمات : « الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله » ، فالروح التى لنا هى الروح الجديدة التى نلناها بالتجديد وفيها يسكن روح الله القدوس - وهو يتميز عنها - شاهداً فيها ولها وبها .

ويمكن بسهولة معرفة أهمية هذا الفرق ، وعندئذ يمكننا أن نعرف العلاقة الحقيقية بين التجديد وسكنى الروح ، فالأول هو عمل الروح القدس الذى يبكتنا على الخطية ويقودنا إلى التوبة والإيمان بالمسيح ، ويضع فينا طبيعة جديدة . وبواسطة الروح يتمم الله الوعد : « أعطيكم قلباً جديداً » . والمؤمن الآن هو ابن لله ، هيكل معد للروح القدس ليسكن فيه ، وإذا توفر الإيمان

فإن الجزء الثانى من الوعد يتحقق تماماً مثل الأول ، ولكن إذ يكتفى المؤمن بالوقوف عند حد التجديد الذى حدث فى روحه ، فإنه لن يحصل على حياة الفرح والقوة المعينة له ، ولكن عندما يصدق وعد الله أن هناك ما هو أفضل حتى من الطبيعة الجديدة ، وأعظم من الهيكل الداخلى ، أن هناك روح الآب والابن يسكن فيه ، فهنا يلمع أمامه رجاء مجيد لحياة القداسة والبركة ، وتصبح رغبته الأولى والوحيدة أن يعرف الروح القدس معرفة كاملة ، كيف يقوم بعمله وماذا يريده منه ، وأن يعرف كيف الوصول إلى الاختبار الكامل لسكناه ، وإعلان ابن الله فينا بعمل الروح القدس .

وثمة سؤال : كيف يتم هذان الجزآن من الوعد الإلهى ؟ هل فى آن واحد أم بالتتابع ؟ . والجواب فى منتهى السهولة : من جانب الله نعطى العطية المزدوجة فى آن واحد ، فالروح القدس لا يتجزأ ، فعندما يعطى الله الروح فهو إنما يعطى نفسه بكل ما له . وهذا ما حدث يوم الخمسين ، فعندما نال الثلاثة الآلاف الروح الجديدة بالتوبة والإيمان ، فحينئذ بعدما تعمدوا حل الروح القدس كختم الله على إيمانهم . حدث هذا فى يوم واحد . فعن طريق كرازة التلاميذ وصل الروح الذى حل على التلاميذ إلى قلوب السامعين ، فنخسوا فى قلوبهم ، وتغير فيهم الفكر والقلب والروح ، وحينئذ قبلوا معمودية الروح القدس ، ليسكن فيهم . وهكذا إلى الآن ، فحينما يعمل روح الله بقوة وتكون الكنيسة فى قوة الروح ، نجد أن كل من يولد فيها ينال ـ وهو فى بدء حياة الإيمان ـ الختم الواضح المميز ، ويتمتع بسكنى الروح . ومع ذلك فنجد فى الكتاب المقدس دلائل تشير إلى أنه قد تكون هناك ظروف ، إما بحسب موهبة الخادم أو إيمان السامعين ، فيها نجد أن شطرى الوعد لا يحدث تحقيقهما فى آن واحد ، فهذا ما حدث مع الذين آمنوا فى السامرة بكرازة فيلبس ، ومع المؤمنين الذين قابلهم بولس فى أفسس ، فبالنسبة لهؤلاء تكرر الاختبار الذى حدث مع التلاميذ أنفسهم ، فنحن نعتبرهم أشخاصاً قد تجددوا قبل موت

الرب ، ولكن فقط فى يوم الخمسين تم الوعد « ويكون فيكم » ، وما رأيناه فيهم ، كما فى العهدين القديم والجديد - ظهور نعمة الروح القدس فى صورتين منفصلتين - قد يظل يحدث إلى يومنا هـــذا ، فعندما يكون مستوى الحياة الروحية فى كنيسة ما منخفضاً وعليلا ، وعندما لا تتضمن المناداة بالكلمة ، وتخلو شهادة المؤمنين ، من الإعلان الواضح عن الحقيقة المجيدة لحلول الروح القدس ، فلا يجب أن نندهش إن كانت معرفة المؤمنين واختبارهم عن الروح القدس يقف عند حد أنه روح التجديد ، أما حضوره وحلوله فيظل سراً غامضاً .

ومن المعترف به عموماً فى الكنيسة أن الروح القدس غير معروف كما يجب ، بأنه هو المساوى للآب والابن ، الأقنوم الإلهى ، الذى به فقط يمكننا بالحق أن نصل إلى معرفة وامتلاك الآب والابن ، والذى هو سر جمال الكنيسة وسبب بركتها فى عصر الإصلاح كان يجب أن يُزال من أفكار الناس سوء الفهم المخيف الذى يجعل من بر الإنسان أساساً للقبول أمام الله ، وكان يجب التمسك بالحق الذى ينادى بمجانية نعمة الله . وكان على الأجيال التى جاءت بعد ذلك مسئولية البناء فوق ذلك الأساس ، وإظهار ما تستطيع النعمة الغنية أن تفعله للمؤمن بواسطة حلول روح الرب يسوع . لكن الكنيسة خلدت إلى الراحة قانعة بما تسلمته ، أما الصلة التى سيكون عليها الروح القدس بكل مؤمن ، إذ يحمل على عاتقه تبعة إرشاده وتقديسه وتزويده بالقوة ، فلم تحتل المكانة التى يجب أن تكون لنا فى وعظنا وفى حياتنا .

وكم من مؤمنين غيورين يشتركون فى الاعتراف الذى صرح به أخيراً أحد المؤمنين الأحداث بقوله : إننى أعتقد أننى أدرك عمل الآب والابن ، وهذا يملأنى بهجة ، لكنى بالكاد أستطيع أن أرى المكانة التى للروح القدس . آه ! ليتنا نتحد مع كل الذين يرفعون توسلات لكى يعمل الله فى كنيسته أعمالا مجيدة بالروح القدس ، ولكى يبرهن كل واحد من أولاد الله أن فيه قد تم

الوعد المزدوج : « أجعل روحاً جديدة فى داخلكم . . وأجعل روحى فى داخلكم » لنصلى حتى ندرك أيضاً مقدار البركة التى ننالها بحلول الروح فينا ، لنفتح كل كياننا الداخلى للإعلان الكامل لمحبة الآب ونعمة الرب يسوع .

« فى داخلكم » ! « فى داخلكم » ! هذه الكلمة التى تكررت مرتين فى هذا الشاهد الكتابى (حز ٣٦ : ٢٦ و ٢٧) هى واحدة من الكلمات التى تميط اللثام عن أسرار العهد الجديد : « أجعل نواميسى فى أذهانهم وأكتبها على قلوبهم » ، « وأجعل مخافتى فى قلوبهم فلا يحيدون عنى » . لقد خلق الله قلب الإنسان لسكناه ، فدخلت الخطية ودنسته ، وزهاء أربعة آلاف سنة ، سعى روح الله جاهداً ليعود فيملك على قلب الإنسان ، وفى التجسد وكفارة المسيح تم الفداء ووضعت دعائم ملكوت الله ، واستطاع الرب يسوع أن يقول : « أقبل عليكم ملكوت الله » و « ملكوت الله داخلكم » . فإلى الداخل ينبغى أن نتطلع لإتمام العهد الجديد ، ليس عهد فرائض لكن عهد حياة ، وفى قوة حياة لا تزول توضع فى قلوبنا نواميس الله ومخافته . روح المسيح نفسه يكون فينا كمصدر حياتنا ، فيستعلن مجد المسيح المنتصر ليس فقط فى الجلجثة ، أو فى القيامة ، أو عن يمين عرش العظمة ، ولكن فى قلوبنا ، فى داخلنا ، يكشف الفداء عن حقيقته وعن أمجاده بكل وضوح . فى داخلنا ، فى أعماق نفوسنا ، هناك قدس الأقداس الذى فيه تابوت العهد المرشوش بالدم ، الذى فيه الناموس مكتوباً بحروف أبدية بروح الله الساكن فينا ، وحيث يأتى الآب والابن ليسكنا هناك بالروح القدس .

معمودية الروح

« وشهد يوحنا قائلا : الذى أرسلنى لأعمد بالماء ذاك قال لى الذى ترى الروح نازلا ومستقراً عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس »
(يوحنا ١ : ٣٣)

اشتملت كرازة يوحنا المعمدان على أمرين يختصان بشخص المسيح : الأول أنه هو حمل الله الذى يرفع خطية العالم ، والثانى أنه سيعمد بالروح القدس ونار. فدم الحمل ومعمودية الروح كانا هما الحقيقتين الأساسيتين اللتين انطوى عليهما تعليمه ووعظه ، وهما فى الحقيقة لا يمكن فصلهما ، فالكنيسة لا يمكن أن تؤدى عملها بقوة ، ولا يمكن لفاديها الممجد أن يتمجد فيها ، إلا عندما تنادى بعمل الدم كالأساس وبمعمودية الروح القدس كالهيكل الذى يرتفع فوق هذا الأساس .

وحتى الآن لم يحدث ذلك حتى بين أولئك الذين بكل قلوبهم يعترفون بالكتاب كمرشد لهم . فالكلام عن حمل الله ، عن آلامه وكفارته ، وعن الغفران والسلام اللذين نحصل عليهما فيه ، يمكن أن يقبله ذهن الإنسان بسهولة ، ويمكن أن يكون له تأثيره السريع على مشاعره ، أكثر من الكلام عن الحق الروحي الذى يختص بمعمودية الروح القدس وحلوله وإرشاده . إن سفك الدم الكريم كان حدثاً ظاهراً مرئياً ليس من العسير فهمه ، أما انسكاب الروح القدس فهو سر إلهى خفى . الدم الذى سال كان لأجل الأثمة والعصاة ، أما موهبة الروح فهى للتلميذ المحب والمطيع . ولا عجب إن كانت الكنيسة لا تحيا حياة التكريس العميق لسيدها وفاديها ، لأن الكلام عن الإيمان بمعمودية الروح لا يجد تجاوباً مثل موضوع الفداء والغفران .

لم تكن هذه إرادة الله ، فالوعد فى العهد القديم قد تكلم عن روح الله فينا ، ويوحنا الذى جاء ليعد الطريق قد اتخذ نفس السبيل ، فلم يتكلم عن

حمل الكفارة بغير أن يشير إلى القصد من فدائنا . لم تكن الخطية هى فقط تعدياً يستحق العقاب ، بل كانت تدنساً وموتاً ، ولم تسبب فقط فقدان رضى الله ، لكنها جعلتنا غير مهيئين للشركة الإلهية التى بدونها لا يمكن أن تقنع المحبة العجيبة التى خلقت الإنسان ، فالله أرادنا حقاً أن نكون له ، بقلوبنا وعواطفنا . أراد أعماق النفس الداخلية ، الذات بجملتها ، أن تكون مستقراً تأوى إليه محبته ، هيكلا لعبادته . وقد اشتملت كرازة يوحنا على البرنامج الكامل لعمل الفداء ، من بدايته إلى نهايته ، إن دم الحمل يطهر هيكل الله ، ويرد له عرشه فى القلب ، وليس شىء أقل من معمودية الروح وسكناه يستطيع أن يشبع الله أو الإنسان .

ولنا فى معمودية الرب يسوع دروس نافعة . إن فى سلطانه فقط أن يعطى ما قد قبله هو ، فلأن الروح قد استقر عليه ، فلذا يمكنه أن يعمد بالروح . وماكان يعنيه نزول الروح واستقراره عليه ؟ . لقد وُلد من الروح ، وفى قوة الروح كان ينمو فى طفولة وشباب مقدس ، ودخل مرحلة الرجولة بلا خطيئة ، ثم جاء إلى يوحنا مقدماً نفسه ليكمل كل بر بخضوعه لمعمودية التوبة ، وجزاء لطاعته ، وكختم من الآب دليل رضاه على خضوعه لقيادة الروح ، فقد نال سكيباً جديداً من قوة الحياة السماوية ، بالإضافة إلى حضور الآب المحسوس فى داخله ، والقوة تلبسه لتؤهله لعمله ، ويصبح أكثر إحساساً بما له من قيادة الروح وقوته أكثر من الأول ، فهو الآن ممسوح بالروح القدس والقوة .

ولكن مع أنه نال المعمودية ، ولكنه لا يستطيع أن يعمد الآخرين . يجب أولا - فى قوة معموديته - أن يواجه التجربة وينتصر عليها . يجب أن يتعلم الطاعة من الألم ، بل وبروح أزلى عليه أن يقدم نفسه ذبيحة لله فى خضوع لمشيئته ، وحينئذ فقط يأخذ السلطان لكى يعمد تابعيه .

وما نراه فى الرب يسوع يعلمنا ما هى معمودية الروح ، إنها ليست النعمة

التى تحول قلوبنا إلى الله ، فنصبح متجددين ، ونسعى لنحيا كأولاد الله ، فعندما ذكر الرب يسوع تلاميذه بنبوة يوحنا (أع ١ : ٤٠) كانوا قد أصبحوا فعلا شركاء هذه النعمة ، لكن عمادهم بالروح كان يعنى شيئاً آخر . كانت المعمودية لهم هى التمتع بحضور السيد الممجد معهم بصورة ملموسة ، أن يعود من السماء ليسكن فى قلوبهم ، ويشركهم فى مجـــد حياته الجديدة . كانت لهم معمودية الفرح والقوة ، فى شركة حية مع الرب يسوع الجالس على عرش المجد ، وكل ما كانوا سينالونه فيما بعد من الحكمة والشجاعة والقداسة ينبثق من هـــذه الحقيقة : أنه كما كان الروح بالنسبة للرب يسوع عندما تعمد كالرابطة الحية التى تربطه بالآب وبقوة حضوره ، فهكذا يكون بالنسبة لهم ، فى الروح يظهر الابن ذاته لهم ، ثم يأتى الآب والابن ويجعلان منزلا فيهم .

« الذى ترى الروح نازلا ومستقراً عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح » . هـــذه الكلمات توجه إلينا كما هى إلى يوحنا ، فلكى نعرف معنى المعمودية بالروح ، كيف وممن نحصل عليها ، ينبغى أن نرى ذاك الذى نزل الروح واستقر عليه . يجب أن نرى الرب يسوع معمداً بالروح ، ونحاول أن نفهم كيف كان يحتاج إليها ، وكيف تجهز لقبولهـا ، وكيف خضع لهـا وكيف فى قوتها قـد مات الموت الذى ماتـه ، ثم قام ثانية . وكل ما يعطينا الرب يسوع إياه قـد قبله هو أولا ، وامتلكه شخصياً . وكل ما ناله وأحرزه لنفسه يقدمه لنا ، فالذى ترى الروح مستقراً عليه هو الذى يعمد بالروح .

وفيما يختص بمعمودية الروح هـذه توجـد أسئلة ليس من السهل الإجابة عليها كما يختلف فيها الجواب من شخص لآخر ، هل كان انسكاب الروح فى يوم الخمسين هو الإتمام الكامل للوعد ؟ وهل هـذه هى معمودية الروح الوحيدة التى فيها انسكب الروح مرة لأجل الجميع ، للكنيسة المولودة حديثاً ؟ وألا يعد حلول الروح القدس على التلاميذ فى الأصحاح الرابع من سفر الأعمال ، وعلى مؤمنى السامرة (أع ٨) ، وعلى الأمميين فى بيت كرنيليوس (أع ١٠) وعلى

الإثنى عشر تلميذاً فى أفسس (أع ١٩) ، ألا يعد هـذا أيضاً إتماماً للوعـد : « هو الذى يعمد بالروح القدس » ؟ وهل يعد ختم الروح الذى يناله المؤمن عند التجـديـد هو العماد بالروح ؟ أم أن المعمودية ، كما يظن البعض ، هى بركة محددة واضحة ينالها المؤمن فيما بعـد ؟ وهل هى بركة تعطى مرة واحـدة أم أنها يمكن أن تتكرر وتتجدد ؟ . سوف نجد فى هذه الدراسة ضياء من حـكمة الله يساعدنا للوصول إلى حل لمثل هذه المسائل ، ولكن المهم ألا نشغل أنفسنا من البداءة بمسائل كهذه لهـــا أهمية ثانوية ، بل نوجه كل اهتمامنا ، ونضع قلوبنـا بجملتها على الدروس العظيمة التى يريدنا الله أن نتعلمهـا من موضوع معمودية الروح القدس ، ونخص بالذكر منها درسين :

أولا : أن معمودية الروح هى تاج ومجـد عمـل الرب يسوع ، ونحن لا نستطيع أن نكون فى غنى عنها ، ويجب أن نتأكد أننا حصلنا عليها إن كان لنا أن نحيا الحياة المسيحية الحقة . إننـا فى حاجة إليها ، والرب يسوع القـدوس كان فى حاجة إليها ، وتلاميذ المسيح المطيعون كانوا فى حاجة إليها ، وهى أمر يفوق عمل الروح فى التجـــديد . إنه روح المسيح بشخصه الذى يجعل من حضوره فينا حقيقة مؤكـدة ، ساكناً فى القلب بصفة دائمة فى قوة طبيعته الممجـدة ، الذى رفعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم . إنه روح حياة المسيح يسوع الذى يحررنا من ناموس الخطية والموت ، وينقلنا لنختبر شخصياً الحرية من الخطية ، الأمر الذى لأجله افتـدانا المسيح ، والذى يعد بالنسبة لكثيرين من المتجددين فقط كبركة مدخرة لحسابهم ، دون أن يتملكوها أو يتمتعوا بها . إنها القوة التى إذ نتزود بها تملأنا بالشجاعة لمواجهة الأخطار ، وتعطى النصرة على العالم وكل الأعداء . إنها إتمام لما أشار إليه الرب فى وعده : « سأسكن فيهم وأسير بينهم » . فلنسأل الآب لـكى يكشف لنا كل ما ذخرته محبته لنا ، حتى تمتلىء نفوسنا بمجد هذا الفكر « الذى يعمد بالروح » .

ثانياً : أن الرب يسوع هـــو الذى يعمد بالروح ، وسواء كنا ننظر إلى هذه المعمودية كشىء قد حصلنا عليه آنفاً ، وأننا فقط نحتاج إلى إدراك أكمل

له ، أو أنه أمر لا زلنا فى حاجة إليه ، ففى كلتا الحالتين يكون قبول معمودية الروح أو بقاؤها أو تجديدها فى الشركة مع الرب يسوع وفى السير معه بكل أمانة وطـاعة ، فهو الذى قال « من آمن بى تجرى من بطنه أنهار ماء حى » . فما نحتاج إليه هو الإيمان الحى بالرب يسوع الحال فينا ، وعندئذ تجرى أنهار الماء الحى بغير ما يعوقها . الإيمان هو غريزة الطبيعة الجـديدة به يمكنها أن تميز وتحصل من الله عـلى ما تغتذى وترتوى به ، فـدعونا فى قوة الروح - الذى يسكن فى كل مؤمن منا - نثق فى الرب يسوع الذى له أن يملأ بالروح ، ونلتصق به بالمحبة طائعين له . إنه هو الذى يعمد ، وبالالتصاق به والتكريس له ، وبالثقة التى لنا من نحوه أنه قد أعطانا نفسه ويعطيها أيضاً بالتمام ، دعونا نتطلع إليه ، منتظرين الحصول على ما تتضمنه معمودية الروح .

وإذ نفعل ذلك لنتذكر بنوع خاص أمراً واحـداً ، أن الأمين فى القليل هو الذى يقام على الكثير . فكن أميناً لـكل ما وصلت إليه من معرفة عن عمل الروح ، وبكل احترام عميق انظر إلى نفسك كهيكل مقـــدس لله . انتظر وأرهف السمع إلى أقل همسة للروح القـدس فى داخلك ، واصغ أيضاً بنوع خاص إلى الضمير الذى تطهر بالدم ، واحفظ هـذا الضمير نقياً تماماً بالطاعة له فى بساطة الأطفال . قد يوجد فى قلبك الكثير من الخطايا اللاإرادية تشعر بعجزك أمامها . اتضع بكل انسحاق بسبب هذا الفساد الفطرى الذى إستفحل أيضاً بممارسة الخطية ، وحالما تظهر خطية من هذا النوع أسرع وتطهر بالدم .

ولكن من جهة أفعالك الإرادية تعهد للرب يوماً فيوماً أنك ستفعل كل ما تعرف أنه مرضى أمامه . اخضع لتأديب الضمير عندما تسقط ، لكن عـد ثانية ولك رجاء فى الله . وجدد العهد : سأفعل كل ما يريدنى الله أن أفعله .. فى كل صبـاح انتظره طالباً باتضاع إرشاده لك فى طريقك ، وسيصبح صوت الروح أكثر وضـوحاً وتمييزاً ، وسوف تحس أكثر بقـوة الروح فيك . ثـــلاث سنين قضاها التلاميذ مع الرب يسوع فى مدرسة الروح ثم جاءت البركة ، فكن له التلميذ المحب والمطيع . وليكن لك إيمان بالذى استقر الروح عليه ، وله كل ملء الروح ، فأنت أيضاً تصبح مهيئاً لملء بركة معمودية الروح .

الفصل الثالث

السجود بالروح

« تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق ، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له ، الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » (يو ٤: ٢٣و٢٤)

« لأننا نحن الختان الذين نعبد الله بالروح ونفتخر فى المسيح يسوع ولا نتكل على الجسد » (فيلبى ٣ : ٣) .

السجود هو أعظم فخر الإنسان ، فقد خلق ليكون فى شركة مع الله ، والسجود هو أسمى تعبير لهذه الشركة . فكل ما يمارسه الإنسان فى الحياة الروحية من تأمل وصلاة ، محبة وإيمان ، تسليم وطاعة ، يعد السجود هو ذروتها . فيه أعرف الله فى قداسته ومجده ومحبته ، وأتيقن من حقيقة نفسى كمخلوق خاطىء ، وكابن لله مفتدى . فى السجود أستجمع كل كيانى وأستودع نفسى بين يدى إلهى مقدماً له الإكرام والمجد الذى يليق به .

ويعد السجود هو أصدق اقتراب وأكمله وأقربه لله ، فليس من عاطفة أو عمل يصدر عن الحياة إلا ويتضمنه السجود . السجود هو أسمى ما يصل إليه الإنسان ، لأن فيه الله الكل فى الكل .

وقد أعلن الرب يسوع أن مجيئه كان بداية سجود جديد ، فكل ما كان الوثنيون أو السامريون يطلقون عليه سجوداً ، وحتى كل ما عرفه اليهود عن السجود بحسب إعلان ناموس الله ، جاء الوقت لكى يعطى الفرصة لظهور شىء آخر جديد ومختلف تماماً هو السجود بالروح والحق ، هذا هو السجود الذى أزيح عنه الستار بحلول الروح ، وهذا وحده الذى يعد سجوداً مرضياً أمام الآب ، ولأجل هذا السجود بالذات قد قبلنا الروح القدس . ويجدر بنا ونحن فى مستهل دراستنا عن عمل الروح القدس أن نضع فى اعتبارنا هـــذا الفكر المبارك أن الغرض العظيم الذى لأجله نلنا الروح القدس ليسكن فينا

هو السجود بالروح والحق ، « لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له » ، ولأجل هذا قد أرسل ابنه وروحه القدوس.

بالروح « عندما خلق الله الإنسان نفساً حية ، وفي هذه النفس نذكر شخصيته وعواطفه ، ارتبطت من الجانب بالعالم الخارجي المنظور بواسطة الجسد ، ومن الجانب الآخر بالعالم الروحي غير المنظور بواسطة الروح . والنفس لها أن تقرر إن كانت تخضع ذاتها للروح وبالروح ترتبط بالله وبإرادته أو تخضع للجسد ومطاليب المنظور . وبسقوط الجنس البشري رفضت النفس سيادة الروح ، وأصبحت عبداً للجسد وشهواته ، وأصبح الإنسان جسداً ، وفقدت الروح سيادتها ، وأصبحت ليست أكثر من قوة ساكنة ، ولم تعد بعد هي المسيطرة وإنما مجرد أسير يرسف في الأغلال ، وأصبحت الروح الآن تقف مواجهة أمام الجسد تقاومه وتعارضه ، والجسد هو الاسم الذي أطلق على حياة النفس والجسد كليهما معاً في خضوعهما للخطية .

وعندما يتكلم الرسول بولس عن الإنسان غير المجدد بمقارنته مع الروحي (١ كو٢: ١٤) يطلق عليه لفظ الإنسان الطبيعي ، أو النفساني ، أو الحيواني ، إذ له حياة طبيعية فحسب ، أما النفس فلديها كل الإمكانيات الذهنية والأدبية التي يمكن توجيهها ناحية الأمور الإلهية ، وهذا يختلف عن تجديد الروح القدس . ولأن النفس قد أصبحت تحت سلطان الجسد ، فقد قيل عن الإنسان إنه قد أصبح جسداً . وحيث أن جسم الإنسان يتألف من لحم وعظام ، واللحم هو ذلك الجزء من الجسم الذي قد تزود بنوع خاص بالإحساس ، وبواسطته نحس بالمؤثرات التي تأتي من الخارج ، فالجسد يشير إلى الطبيعة البشرية بعد أن خضعت لعالم المحسوس . ولأن النفس بجملتها قد أصبحت تحت سلطان الجسد ، لذا يتكلم الكتاب عن كل صفات النفس أنها تنتمي للجسد ، وتحت سلطانه ، لذا فهي تقاوم العبادة والسجود اللذين قد يصدران عنها ، وهناك حكمة جسدية وحكمة روحية (١ كو ٢ : ١٢ ، كو ١ : ٩) ، وهناك خدمة لله تتكل على الجسد وتفتخر بالجسد ، وخدمة لله بالروح (في ٣ : ٣ و ٤ ، غل ٦ : ١٣) ،

وهناك فكر جسدى وفكرى روحى (كو ٢ : ١٨ ، ١ : ٩) ، وهناك مشيئة من الجسد ومشيئة من الله تعمل بروحه (يو ١ : ١٣ ، فى ٢ : ١٣) ، وهناك سجود هو إشباع للجسد ، لأنه يؤدّى فى قوة الجسد (كو ٢ : ١٨ و ٢٣) وسجود لله بالروح وهذا هو السجود الذى لأجله جاء الرب يسوع ، إذ جعل فينا روحاً جديدة فى أعماق نفوسنا الداخلية ، وفى هذه الروح يأتى الروح القدس ليسكن .

« بالروح والحق » . ومثل هذا السجود بالروح هو سجود بالحق . وكما أن كلمته «بالروح» لا تعنى فى الداخل بالمقارنة بالممارسات الخارجية ولكن تعنى بروح الله بعكس ما تفعله قوة الإنسان الطبيعية . هكذا بالمثل فإن كلمته «بالحق» لا تعنى بالقلب ، أو بإخلاص ، أو باستقامة . ففى كل سجود "قديسين فى العهد القديم قد عرفوا أن الله يطلب الحق فى الإنسان الباطن فطلبوه بكل قلبهم ، وبكل استقامة ، ومع ذلك لم يصلوا إلى السجود الذى هو بالروح والحق الذى قد أتى الرب يسوع بنا إليه عندما شق حجاب الجسد . والحق هنا يعنى الامتلاك الفعلى لكل ما يتضمنه السجود لله من مطاليب ووعود . يتكلم يوحنا عن الرب يسوع أنه « وحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً » ، ويستطرد قائلا : « لأن الناموس بموسى أعطى أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا » . فإن كنا نعتبر الحق عكس الكذب ، فإن ناموس موسى كان حقاً تماماً مثل إنجيل المسيح ، فكلاهما من الله ، ولكن إن كنا ندرك ما تعنيه الكلمة أن الناموس كان فقط ظلا « للأمور العتيدة » ، وأن المسيح قد أتى إلينا بالأشياء ذاتها ، فمن ثم نرى كيف كان مملوءاً بالحق ، لأنه كان هو نفسه الحق ، والحقيقة ، وذات الحياة ، والمحبة والقوة التى لله كما قد أعلنت لنا . ومن هنا نرى أيضاً أن السجود بالروح هو فقط الذى يكون سجوداً بالحق ، فى التمتع الفعلى بتلك القوة الإلهية التى هى حياة المسيح الشخصية وشركته مع الآب ، كما أظهرت لنا ، وستبقى فينا بعمل الروح القدس .

« الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق » . ليس كل

الساجدين ساجدين حقيقيين . قد يكون هناك كثير من الغيرة والإخلاص فى السجود بغير أن يكون سجوداً بالروح والحق . قد يكون الفكر منحصراً تماماً ، والمشاعر فى غاية التأثر ، والإرادة حاضرة ، ومع ذلك ليس فيه الكثير من السجود بالروح الذى يتم بحسب حق الله . قد يكون هناك تمسك شديد بالحق الكتابى ، ومع ذلك بسبب ظهور النشاط الصادر عن مجهود الإنسان وليس بعمل الله ، فقد لا يكون السجود هو الذى يعطيه المسيح والذى هو من نفخة الروح . والسجود الذى يطلبه الآب يجب أن يتوفر فيه التوافق والانسجام والاتحـــاد بين الله الذى هو روح والساجدين الذين يتقدمون بالروح ، الله طالب مثل هؤلاء الساجدين له .

إن كنا نريد أن نكون ساجدين بالروح والحق - ساجدين حقيقيين - فنحتاج أولا أن نفطن للخطر الذى نتعرض له بسبب الجسد وسجوده . ونحن كمؤمنين لنا طبيعة مزدوجة : الجسد ، والروح . الأولى هى الجزء الطبيعى الذى هو على استعداد أن يقحم نفسه دائماً فى أعمال السجود لله ، والثانية هى الطبيعة الروحية التى قد تكون فى غاية الهزال وربما لا نعرف بعد كيف نعطيها نفوذها كاملا . قد يجد العقل لذة فى دراسة كلمة الله ، وقد تتحرك مشاعرنا بسبب الأفكار المباركة التى تكشف عنها كلمة الله ، وقد نسر - كما نرى فى (رومية ٧ : ٢٢) - بناموس الله بحسب الإنسان الباطن ، ومع ذلك نكون عاجزين عن إتمام هذا الناموس وتقديم الطاعة والسجود الذى نراه ونوافق عليه .

نحن نحتاج إلى سكنى الروح فينا كما بالنسبة للحياة هكذا للسجود ، ولكى نقبل هذه العطية يلزمنا أول كل شىء أن نسكت الجسد « اسكتوا يا كل البشر قدام الرب » ، « لكيلا يفتخر كل ذى جسد أمامه » . لقد أعلن الآب لبطرس سابقاً أن يسوع هذا هو المسيح ، ومع ذلك لم ترق لبطرس فكرة الصليب ، ولم يكن فكره بحسب الله ولكن بحسب الناس . لذا فينبغى أن ننبذ أفكارنا الخاصة عن الأمور الإلهية ، ونكف عن مجهوداتنا الشخصية

لإيقاظ المشاعر الطيبة أو عمل ما هو مرضى ، ونتخلى عن كل محاولة للسجود بقوتنا ، فيجب أن كل اقتراب لله يتم بكل هدوء ، فى خضوع حقيقى للروح القدس فإن كنا نريد أن نسجد بالروح فيجب علينا أولا أن نسلك بالروح . « لستم فى الجسد بل فى الروح إن كان روح المسيح ساكناً فيكم » وإذ يسكن الروح فىَّ ويسود على الحياة أكون فى الروح ، ويمكننى حينئذ أن أسجد بالروح.

« تأتى ساعة وهى الآن ، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق ، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له » نعم ، إن الآب يطلب هؤلاء الساجدين له ، وما يطلبه الله لابد واجده ، لأنه بنفسه يصنعه . ولكى نكون من هؤلاء الساجدين ، فقد أرسل الآب ابنه لكى يطلب ويخلص ما قــد هلك ، ليخلصنا بهذا الخلاص ، لنكون ضمن الساجدين الحقيقيين له ، الذين يدخلون إلى الداخل خلال حجاب الجسد المنشق ، ويسجدون له بالروح ثم أرسل روح ابنه ، روح المسيح ، ليكون فينا الحق ، وليجعل حضوره فينا حقيقياً ، وليضع فينا نفس الحياة التى عاشها المسيح . شكراً لله ! لقد أتت الساعة وهى الآن ، فنحن نعيش فيها ، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق . لنثق أن الروح قد أعطى ، وهو يسكن فينا لنفس هذا الغرض ، لأن الله طالب مثل هؤلاء الساجدين . فلنبتهج واثقين أننا نستطيع أن نصل إلى هذا المقياس ، أن نكون ساجدين حقيقيين ، لأن الروح قد أعطى لنا .

لنثق فى خوف ورهبة مقدسة أنه يسكن فينا ، وبكل اتضاع وفى صمت الجسد نخضع ذواتنا لتعليمه وقيادته ، ولننتظر بالإيمان أمام الرب لكى يعمل ، بينما نقوم بهذا السجود وليت كل استنارة جديدة عن معنى عمل الروح ، وكل اختبار للإيمان عن سكناه أو عن عمله ، يقودنا إلى هذه الحقيقة التى تعد ذروة المجد : السجود للآب بكل إجلال ، وأن نقدم له الحمد والشكر والمجد والمحبة التى تليق به وحده .

الفصل الرابع

الروح والكلمة

« الروح هو الذى يحيى ، أما الجسد فلا يفيد شيئاً ، الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة . . . يا رب إلى من نذهب ؟ كلام الحياة الأبدية هو عندك » (يوحنا ٦ : ٦٣ ، ٦٨) .

« الحرف يقتل ولكن الروح يحيى » (٢ كو ٣ : ٦) .

تكلم الرب عن نفسه أنه خبز الحياة ، وعن جسده ودمه بأنهما المأكل والمشرب اللذين للحياة الأبدية ، وبدا هذا الكلام لكثير من التلاميذ أنه صعب ولم يستطيعوا أن يفهموه ، فأجابهم أنه عندما يأتى الروح القدس ويحل فيهم سيوضح لهم كلامه لأن « الروح هو الذى يحيى ، أما الجسد فلا يفيد شيئاً ، الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة » .

« الروح هو الذى يحيى » ، وفى هذه الكلمات ، وكلمات بولس المرادفة « الروح يحيى » ، نجد أقرب تعريف عن الروح (١ كو ١٥ : ٤٥) « روحاً محيياً » . فالروح القدس يعمل أول كل شىء سواء فى الخليقة أو فى محيط النعمة كنبع الحياة ، ومن الأهمية القصوى أن نتمسك بهذه الحقيقة جيداً ، فعمله لختم المؤمنين وتقديسهم ، ولكى يزودهم بالحكمة والقوة ، يستند إلى هذه الحقيقة . إننا بقدار ما نعرفه ونكرمه ونهىء له الفرصة ، وكلما انتظرناه كمن هو حياة نفوسنا ، فعندئذ نستطيع أن نختبر أعمال نعمته الأخرى ، فهذه ليست سوى العلامات الخارجية التى تدل على وجود الحياة فى الداخل ، ويمكننا أن نستمر متمتعين بها طالما كانت الحياة الداخلية فى قوة « الروح هو الذى يحيى » .

وعلى عكس الروح يتكلم الرب عن الجسد فيقول : « الجسد لا يفيد شيئاً » وهو لا يتكلم هنا عن الجسد الذى تصدر عنه الخطية ، ولكن فى معناه الروحى كالقوة التى بها يسعى الإنسان الطبيعى ـ أو حتى المؤمن الذى لم يخضع تماماً

للروح - لخدمة الله أو لمعرفة الأمور الإلهية والتمتع بامتيازاتها ويعبر الرب عن عدم جدوى كل المجهودات التي يبذلها الجسد بالقول « لا يفيد شيئاً »، فهذه المجهودات غير كافية ولا تجدى للوصول إلى الحقيقة الروحية، إلى السماويات عينها. ويشير بولس الرسول إلى نفس هذا المعنى، فيقابل الروح بالحرف الذي يقتل. لقد كان كل عهد الناموس هو عهد الحرف والجسد، ومع أنه كان له شيء من المجد لكن كما يقول بولس الرسول: « الممجد أيضاً لم يمجد من هذا القبيل بسبب المجد الفائق ».

ويطبق الرب هذا القول الآن بنوع خاص على الكلمات التي كان قد نطق بها لتوه وعلى الحق الروحي الذي تتضمنه: « الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة »، وهو بهذا يريد أن يعرّف التلاميذ أمرين: الأول هو أن كلامه هو بذرة حية لها القدرة على الإنبات والنمو مبرهنة بذلك على حيويتها. فكلمته تنكشف معانيها ويظهر سلطانها الإلهي في كل من يقبلها ويحفظها في قلبه. أراد الرب أن لا يفشل التلاميذ، وإن لم يستطيعوا فهم كلامه حالا، فكلامه هو روح وحياة، فهو ليس موجه للعقل ولكن للحياة. وعندما يأتي كلامه في قوة الروح غير المنظور أسمى وأعمق من كل إدراك، فإنه يدخل إلى منابع الحياة الداخلية. وكلماته لها حياة إلهية في ذاتها، وتستطيع أن تظهر تأثيرها الإلهي في اختبارات أولئك الذين يقبلونها. وحيث أن كلماته تتميز بطبيعتها الروحية - وهذا هو الدرس الثاني الذي أراد الرب أن يعلمه لتلاميذه - فإنها تلزمها طبيعة روحية لقبولها، كما أن البذرة تحتاج إلى تربة ملائمة، فيجب أن تتوفر عناصر الحياة في التربة كما في البذرة. فكلمة الله يكون قبولها ليس في الذهن فقط، وليس في الشعور أو حتى الإرادة فحسب، ولكن تمر بهذه جميعاً إلى أن تصل إلى الحياة نفسها ومركز هذه الحياة هو طبيعة الإنسان الروحية، ولها الضمير كصوت لها، هناك يجب أن تبسط الكلمة سلطانها. ولكن حتى هذا أيضاً لا يعد كافياً، فالضمير يسكن الإنسان كأسير بين دوافع لا يقوى على ضبطها، أما الروح

الذى ينبثق من الله ، الروح الذى جاء المسيح ليرسله إلينا ، عندما يصبح حياتنا ، فإنه يستقبل الكلمة وينقلها إلى الحياة . وبذلك تصبح الكلمة هى الحق والقوة فينا .

وفى دراستنا لأعمال الروح المجيدة ، لا يمكننا ، مهما بلغ الحرص ، أن نصل إلى الإدراك الصحيح الواضح لهذا الحق المبارك ، لكن هذه الدراسة ستجنبنا الوقوع فى أخطاء بسبب التطرف يميناً أو يساراً ، فلا نتوقع التمتع بتعليم الروح بدون الكلمة ، ولا نتمسك بتعليم الكلمة بدون الروح .

فمن الناحية الواحدة نقع فى خطأ عندما نهتم بتعليم الروح بدون الكلمة ، ففى الثالوث الأقدس الكلمة والروح هما واحد مع الآب ، والحقيقة ليست غير ذلك أيضاً بالنسبة لكلمات الكتاب التى هى وحى الله فالروح القدس قد جسم أفكار الله فى الكلمة المكتوبة لتكون لكل الأجيال ، وهو يقيم فينا الآن لنفس هذا الغرض بعينه ، لكى يكشف عن قوة ومعنى تلك الكلمة ، فإن كنت تريد ملءاً بالروح فامتلىء بالكلمة . إن كنت تريد للحياة الإلهية - التى يعطيها الروح بسكناه داخلك - أن تزداد قوة ، وتبسط سلطانها على كل جزء من طبيعتك ، فدع كلمة المسيح تسكن فيك . وإن كنت تريد أن الروح يقوم بعمله كمذكر لك ، فيأتى إلى ذهنك فى الوقت المناسب بكلمات يسوع التى تفى بحاجتك ، فدع كلمة المسيح تسكن فيك . وإن كنت تريد أن الروح القدس يظهر لك إرادة الله فى كل ظرف من ظروف الحياة ، ويعين لك ما يجب أن تفعله ، وينتقى لك من بين الوصايا التى قد تظهر متضاربة ما هو مناسب لحاجتك ، بدقة منزهة عن الشطط ، إذا ضع الكلمة فى قلبك دائماً ، معدة لاستخدامها . وإن كنت تريد أن الكلمة الأزلى يكون نورك ، فدع الروح القدس ينقش على قلبك الكلمة المكتوبة . « الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة » ، فخذ كلامه وخبئه فى قلبك ، وبه سيظهر الروح القدس من قوته المحيية .

ومن الناحية الأخرى يوجد خطأ آخر أكثر شيوعاً ، فإياك أن تظن أن الكلمة تستطيع أن تكشف عن الحياة التى فيها فى داخلك إلا عندما يقبلها الروح القدس الساكن فيك ويثبتها فى الحياة الداخلية ، فكم من القراءات الكتابية ، والدراسات الكتابية ، والعظات الكتابية هدفها الأول والرئيسى هو الوصول إلى معنى الكلمة ! ويظن الناس أنهم إن وصلوا إلى معرفة صحيحة ودقيقة لمعانى الكلمة فإن البركة التى ُقصد بالكلمة أن تعطيها ستأتى كنتيجة طبيعية ، لكن ليست هـــذه هى الحالة أبداً . الكلمة هى بذرة ، وفى كل بذرة يوجد جزء مكتنز تختفى فيه الحياة . قد نأتى بأثمن أنواع البذور ، سليمة وكاملة النضج ، لكن مع ذلك فإن لم توضع فى التربة الملائمة وتتعرض للضوء والرطوبة اللازمين ، فإن الحياة قد لا تخرج منها أبداً . وهكذا بالمثل فإننا قد نعى كلمات الكتاب وتعاليمه جيداً ونحرص عليها ، لكننا لا نعرف إلا القليل عن الحياة والقوة التى تعطيها . ونحن نحتاج دائماً أن نذكر أنفسنا وجماعة المؤمنين أن كلمات الكتاب التى تكلم بها أناس الله القديسون قديماً مسوقين من الروح القدس لا يمكن أن يفهمها إلا أناس الله القديسون عندما يعلمهم نفس الروح . « الكلام الذى أكلمكم به هـــو روح وحياة » . فلأجل فهمها والاستفادة منها « الجسد لا يفيد شيئاً ، الروح هو الذى يحى » ، روح الحياة الساكن فينا .

وها كم مثلا من الأمثلة الرهيبة يقدمه لنا تاريخ اليهود فى زمن المسيح : لقد ظنوا أنهم غيورون أشد ما تكون الغيرة على كلمة الله ومجده ، ومع ذلك فقد ظهر أن كل غيرتهم تقتصر على تفسيرهم البشرى لكلمة الله ، فقال لهم يسوع : « فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية ، وهى التى تشهد لى ، ولا تريدون أن تأتوا إلىَّ لتكون لكم حياة » لقد وثقوا بالحق فى الكتب أنها تقودهم للحياة الأبدية ، ومع ذلك فلم ينتبهوا قط أنها شهدت للمسيح ، ولذلك لم يريدوا أن يأتوا إليه . لقد درسوا الكتب وقبلوا المكتوب فى قوة الإدراك البشرى ، وليس فى قوة روح الله الذى وحده له أن يعطى الحياة .

إن سر ضعف حياة الكثيرين من المؤمنين الذين يقرأون الكتاب ويعرفونه جيداً ليس له سبب آخر سوى أنهم لا يعرفون أن الروح هو الذى يحى ، وأن الجسد والإدراك البشرى مهما كان حاداً وخارقاً ، فلا يفيد شيئاً . إنهم يظنون أن لهم فى الكتاب حياة أبدية ، لكنهم لا يعلمون إلا القليل عن يسوع الحى الذى يعطيهم الحياة بقوة الروح .

والأمر فى غاية البساطة ، فعلينا أن نقلع عن كل محاولة للنظر إلى الكلمة المكتوبة بـــدون الروح المحى . ليتنا لا نتناول الكتاب مطلقاً بأيدينا ، ولا نحاول أن نتقبله فى عقولنا ، أو نتكلم به على شفاهنا ، بدون أن نتحقق من حاجتنا لى الروح ونتذكر الوعـــد به . تطلع أولا إلى الله فى سجود وتعبد وخشوع ، ليعطيك ويجدد فيك عمل روحه فى داخلك ، ثم فى يقين الإيمان أخضع ذاتك للقوة التى تسكن فيك ، وانتظره لكى يفتح ليس فقط الذهن وحده بل الحياة التى فيك لتقبل الكلمة ، ليكن الروح القدس حياتك . وعندما يستقبل الروح والحياة التى فيك كلمة الله من الخارج التى هى غذاؤها ، فإن كلمات المسيح تكون هى بالحق روحاً وحياة .

وعندما نتبع تعليم الرب المبارك فيما يختص بالروح ، فإنه سيتضح لنا أنه كما أن كلام الرب هو روح وحيـاة . فإن الروح يجب أن يكون فينا كروح حياتنا . يجب أن يكون هو بنفسه حياتنا الشخصية الداخلية ، أعمق جداً من العقل والشعور والإرادة ، بل الأصل لهـذه جميعاً القوة المحركة لها . وكلما طلبنا دخولا إلى العمق ، وكلما عرفنا أنـه لا شىء يستطيع أن يصل إلى روح الحياة الموجودة فى كلمة الإله الحى ، وعندما ننتظر الروح القدس الذى فينا لكى يستقبل الكلمة ، وبقوته المحيية يكشفها لنا ، وينقلها إلى الحياة ذاتها التى نحياها ، فعندئذ نعرف بالحق ما تعنيه الكلمات : « الروح هو الذى يحى » . وسوف نرى أن كلام الرب الذى هـو روح وحيـاة ينبغى أن يلتقى بالروح والحياة فى داخلنا . وعندئذ فقط تتفتق الكلمة عن معانيها وتكشف عن كنوزها وتملأنا بالقوة فى الإنسان الباطن .

روح يسوع الممجد

« من آمن بي كما يقول الكتاب ، تجرى من بطنه أنهار ماء حى ، قال هـذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه ، لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد ، لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد »
(يوحنا ٧ : ٣٨ و ٣٩)

يقدم الرب هنـا وعداً أن كل من يأتى إليه ويشرب - أى كل من يؤمن به - ليس فحسب لن يعطش أبداً ، ولـكن سيصبح نفسه ينبوعاً تنبع منه أنهار ماء حى تفيض بالحياة والبركة . ويصرح يوحنا البشير الذى سجل هذه الكلمات أن هذا الوعد للمستقبل ، سيحين وقت إتمامه عندما ينسكب الروح .

وقد رأينا أن الله قد أظهر ذاته للإنسان بإعلان مزدوج : أولا كالله فى العهد القديم ، ثم كالآب فى العهد الجديد . ونحن نعلم أن الابن الذى كان منذ الأزل مع الآب ، قد دخل إلى مرحلة جديدة من الحياة عندما صار جسداً ، وعنـدما عاد إلى السماء كان لا يزال هو الابن الوحيد المولود من الله ، لـكن ليس كما كان ، لأنه الآن أيضـاً ابن الإنسـان ، البـكر من الأموات ، الذى يتمنطق بجسد الإنسان الممجد الذى كمله وقدسه .

وهكذا أيضـاً روح الله الذى انسكب يوم الخمسين كان فى الحقيقة شيئـاً جديداً ، ففى العهد القديم كان يطلق عليه دائماً روح الله أو روح الرب ، أما لفظ « الروح القدس » فلم يـكن قد أطلق عليه بعـد ، إلا فيما يختص بالعمل الذى كان سيقوم به فى إعداد الطريق للمسيح ، وتهيئة جسد له ، فهنـا فقط يذكر بهذا اللقب (لو ١ : ١٥ و ٣٥) . وعندما انسكب الروح فى يوم الخمسين كان هـذا فى صورة روح يسـوع الممجد ، روح المسيح الذى تجسد وصلب وتمجد ، لينقل هذا الروح إلينا ، ويوصل لنا ليس حياة الله كما هى ، لـكن

تلك الحيـاة بعد أن اتحدت فى طبيعة بشرية فى شخص يسوع المسيح . فالله يدعى قدوساً فى علاقته بالناس عندما يسكن بينهم أو فيهم . وهـذا الروح كما سكن فى يسوع بالجسد ، ويستطيع أن يسكن فينا أيضـاً فى الجسد ، ينطبق عليه القول حرفياً : الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد . فروح يسوع الممجد ، ابن الإنسان وابن الله ، لا يمكن أن يكون إلا بعد أن يتمجد يسوع .

وهذا الفـكر يوضح لنا السبب الذى لأجله لا يقال روح الله ، ولـكن روح يسوع ، ذاك الذى يرسله الآب ليسكن فينا . فالخطية لم تؤثر فقط على علاقتنا بناموس الله ، ولـكن على علاقتنا بالله نفسه ، وباختفاء الرضى الإلهى خسرنا الحياة مع الله . وقد جاء المسيح ليس فحسب لـكى يحرر الإنسان من الناموس ولعنة الناموس ، ولـكن ليعيد طبيعة الإنسان ذاتها إلى حياة الشركة مع الله ، ليجعلنا شركاء الطبيعة الإلهية . وقـــد استطاع أن يفعل ذلك ليس باستخدام سلطانه الإلهى للتأثير على الإنسان ، ولـكن بتغيير حقيقى للطبيعة البشرية . وهو إذ صار جسداً كان لا بد أن يقدس الجسد ويجعله إناءً مهيئاً لسكنى روح الله ، وبعد أن فعل ذلك كان عليه أن يموت لـكى يحمل لعنـــة الخطية ، ولـكى يقدم نفسه كحبة الحنطة لـكى يجد فينا ثمراً من تعب نفسه . وعندما تمجد بالقيامة وارتفع إلى يمين العظمة ، أرسل روحه ليجعلنا شركاء له فى كل ما قام به واكتسبه لنفسه ، شركاء فيـه وفى حياته الممجدة . وبفضل كفارته أصبح للإنسان الآن الحق والحجة لنوال ملء الروح القدس وسكناه فيه ، بموجب ما قد كمله لأجلنا فى نفسه من طبيعة بشرية جديدة مقدسة ، فقد استطاع الآن أن يأتى إلينا بما لم يكن له وجود من قبل ، حياة بشرية وإلهية فى نفس الوقت . وهكذا الروح أيضاً ، كما أنه هو روح الله نفسه قد أمكن أيضاً أن يكون هو حياة الناس أنفسهم . روح ابن الله يستطيع الآن أن يصرخ فى قلوبنا يا أبا الآب ، هذا الروح يصدق فيه القول : « الروح لم يكن قد أعطى بعد ، لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد » .

ولكن شكراً لله ! الآن قد تمجد يسوع ، ولنا الآن روح يسوع الممجد ، وأمكن الآن تحقيق الوعد : « كل من آمن بي تجرى من بطنه أنهار ماء حى » ، والصفقة العظيمة التى تمت عند تمجيد يسوع أصبحت حقيقة خالدة ، . عندما دخل المسيح وهو فى طبيعتنا البشرية وفى جسدنا إلى قدس الأقداس ، ثم ما أشار إليه بطرس الرسول بالقول : « وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب » . وقد أعطى له أن يدخل إلى ملء المجد الإلهى كنائب عنا ، كإنسان وكرأس للجنس البشرى ، وأصبح كيانه الإنسانى هو الإناء الذى يمتلىء ويفيض بالروح القدس كروح يسوع الممجد ـ فى كل من يؤمن بيسوع ، روح الحياة والوجود ، كما بالنسبة ليسوع هكذا أيضاً المؤمن بيسوع . وكما فى يسوع قد تم الاتحاد بين الله والإنسان ، وأصبح هذا الاتحاد كاملا بجلوسه عن يمين العظمة ، وبذا دخل إلى مرحلة جديدة من الحياة ، فى مجد لم يدرك بعد ، فهكذا بالمثل قد بدأ الآن عصر جديد فى تاريخ وعمل الروح ، وهو فى إمكانه الآن أن يشهد عن الاتحاد الكامل بين طبيعة الله والإنسان . وهو إذ أصبح حياتنا الذاتية ليجعلنا شركاء هذا الاتحاد ، فالآن لنا روح يسوع الممجد ، الذى سكبه وقد قبلناه نحن ليفيض فينا كالأنهار وليجعل أنهار البركة تجرى من بطوننا .

إن تمجيد يسوع وانسكاب روحه يرتبطان ببعضهما ارتباطاً وثيقاً ، ولا يمكن فصل الواحد عن الآخر . فإن كنا نريد أن نحظى بسكنى روح يسوع الممجد فنحتاج بنوع خاص أن نتعامل بالإيمان مع يسوع الممجد . ولا يجب أننا فى سذاجة نركن الراحة قانعين بالإيمان الذى يضع ثقته فى الصليب وفى غفرانه فحسب ، بل يجب أن نسعى لمعرفة الحياة الجديدة ، التى فيها يحل الله بمجده وقوته فى الطبيعة البشرية ، التى قصد بروح يسوع الممجد أن يكون هو الشاهد عنها والمخبر بها . هذا هو السر الذى كان مخفياً عن العصور

والأجيال ولكنه الآن قد أعلن بالروح القدس : المسيح فينا ، وبالحق يستطيع أن يحيى حياته الإلهية فينا نحن الذين فى الجسد . ونحن يهمنا جداً أن نعرف وندرك ما نعنيه أن يسوع ممجد الآن ، وأن الطبيعة الإلهية لها أن تشارك الله حياته وأمجاده ، وأن الروح لم يكن قد أعطى بعد لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد ، وهذا ليس فحسب لأننا سنراه يوماً ما فى أمجاده ، وحيث يكون هو نكون أيضاً معه ، كلا ، بل الآن أيضاً نعيش معه فى أمجاده يوماً فيوماً ، فالروح القدس قادر أن يكون لنا بقدر ما نرغب أن يكون فينا ، وهذا يقال أيضاً عن حياة الرب الممجد .

قال يسوع هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه لأن الروح لم يكن قد أعطى بعد ، لأن يسوع لم يكن قد مُجد بعد . شكراً لله ! لقد مُجد يسوع ، والآن يوجد روح يسوع الممجد ، وقد قبلناه . فى العهد القديم أعلنت فقط وحدانية الله ، وعندما ذُكر الروح كان هذا دائماً كروح الله ، أو القوة التى بها يعمل الله ، لكنه لم يعرف على الأرض كأقنوم . ولكن فى العهد الجديد عرفنا الله المثلث الأقانيم ، وفى يوم الخمسين جاء الروح القدس كأقنوم ليسكن فينا ، وهذا هو ثمرة عمل يسوع أننا الآن نحظى بحضور الروح القدس الشخصى على الأرض . وكما فى يسوع المسيح الأقنوم الثانى كان الابن مخبراً عن الآب ، وفيه سكن الآب ، وتكلم بواسطته ، فهكذا أيضاً الروح ، الأقنوم الثالث ، قد جاء ليخبرنا عن الابن وبه يسكن الابن ويعمل فينا . هذا هو المجد الذى به مجد الآب ابن الإنسان ، لأن الابن قد مجده . إنه به ، وفى اسمه ، يأتى الروح القدس كأقنوم ليسكن فى المؤمنين ، ويجعل حضور يسوع الممجد حقيقة أكيدة . وهذا ما قاله يسوع إن كل من يؤمن به لن يعطش أبداً ، بل تجرى من بطنه أنهار ماء حى ، وهذا وحده هو الذى يروى عطاش النفس ويجعل منها ينبوعاً يحيى الآخرين ، إنه سكنى الروح القدس بشخصه ، مظهراً حضور يسوع الممجد .

« من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى » قال هـذا عن الروح » ومرة أخرى نجد السر المبارك الذى يفتح كل الكنوز الإلهية ، فى هـذه الكلمات : من آمن بى إن يسوع هو الذى يعمد بالروح القدس ، فدعونا نؤمن به ، وكل من يرغب فى ملء البركة الموعود بها هنا عليه فقط أن يؤمن . فلنؤمن أن يسوع قد تمجد بالحق ، وبحسب غنى مجده يستطيع الله أن يعمل فينا الآن . لنؤمن أنه قد أعطانا روحه القدوس ليكون لنا فى هـــذه الحياة حضور الروح بشخصه فى داخلنا ، وبهذا الإيمان يصبح مجد يسوع فى السماء وقوة الروح فى قلوبنا مرتبطين ومتلازمين معـاً . لنؤمن أن فى شركة يسوع سيظل النهر يجرى فينا ومنا بصورة أقوى وأعظم . نعم لنؤمن فى يسوع . ولكن علينا أن نتذكر أن التأمل فى هذه الأمور ، وفهمها ، وتأكدنا منها وابتهاجنا بها ـ كل هذه ، رغم ضرورتها ، لكنها ليست فى حد ذاتها الإيمان .

الإيمان هو الخضوع . الإيمان هو تلك القوة التى تتميز بها الطبيعة المتجددة ، التى بانكارها للذات ، وموتها عنها ، تعطى مكاناً للذات الإلهية ، لله ، للمسيح الممجد ، ليأتى ويأخذ له ملكاً فينـا ، ويجرى عمله . الإيمان فى يسـوع ينحنى فى اتضـاع عميق وانكسار فى الروح ، ليتحقق من أن الذات ليس لهـــا شىء ، وأن الروح غير المنظور قد أخذ مكانه فى الداخل ليكون قائدها ، وقوتها ، وحياتها . الإيمان فى يسوع ينحنى أمامه فى خضوع وتسليم كامل ، واثقاً كل الثقة أن الانتظار أمامه سيجعل الأنهار تفيض وتجرى .

الفصل السادس

الروح فيكم

« وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد ، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه ، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم » (يوحنا ١٤ : ١٦ ، ١٧)

فى هذه الكلمات الواضحة - « يكون فيكم » - يعلن الرب ذلك السر العجيب الخاص بسكنى الروح ، بأنه سيكون ثمرة وتاج عمل الفداء الذى جاء لأجله . فلأجل هذا الغرض قد خلق الإنسان ، ولأجل سيادة الله فى قلب الإنسان قد جاهد الروح بلا جدوى مع البشر فى الأجيال السالفة . ولأجل نفس هذا الغرض قد عاش يسوع حياته ومات الموت الذى ماته ، وبدونه يكون تدبير الآب وعمله لم يصادف نجاحاً ، ولم يحقق أهدافه ، ولذلك فى الليلة الأخيرة ولم يبق على انتهاء فترة وجود المسيح مع التلاميذ بالجسد إلا وقت قصير ، بدأ فى كشف النقاب عن هذا السر الإلهى ، أنه بعد رحيله عنهم فإن خسارتهم سيعوض عنها ببركة أعظم من وجوده معهم بالجسد ، فسيأتى إليهم من يسكن معهم إلى الأبد ويكون فيهم . وبسكناه فيهم سيعدهم لقبول الرب نفسه فى داخلهم ، ومعه الآب أيضاً « يكون فيهم » .

لقد أعلن لنا الآب عن نفسه بطريقتين : ففى ابنه نجد إعلاناً عن هيئته المقدسة ، داعياً إيانا أن نتغير إلى صورة ابنه بقبولنا له فى قلوبنا وحياتنا . وفى روحه يرسل قوته الإلهية لتدخل فينا ، وبذا يجعل الداخل مهيئاً لقبول الآب والابن . فعصر الروح هو عصر الحياة الداخلية . فزمن الكلمة - أو الابن - الذى بدأ بخلق الإنسان على صورة الله ، واستمر عبر كل مراحل الإعداد إلى وقت ظهور المسيح بالجسد ، كان زمن العمل من الخارج ، وكان عملا تمهيدياً . وإن كنا فى بعض الأوقات قد رأينا أعمال الروح القوية المقتدرة ، لكن سكناه فى الإنسان لم يكن معروفاً ، ولم يكن الإنسان قد أصبح بعد مسكناً لله فى الروح .

والآن، وقبل أي شيء آخر، ينبغي أن نتحقق من هذا الأمر أولا، أن الحياة الأبدية تصبح هي حياة الإنسان الذاتية، تختفي داخل كيانه ووجدانه في صورة حياة وإرادة بشرية. فكما أن في روح الله تتجمع كل صفات الله، وكما أن في الآب والابن يعتبر الروح هو القاعدة التي تتركز فيها الشخصية، فهكذا جعل روح الحياة الإلهية هذا فينا أساس حياتنا وشخصيتنا أيضاً، ذات الكيان والوجدان أن يكون واحداً معنا ويسكن فينا، كما أن الآب في الابن والابن في الآب فلننحن في خشوع سجوداً وإكراماً لنقبل البركة العظمى.

فإن كنا نريد أن نعي جيداً ونختبر وعد الرب المبارك هذا، فيجب أن نذكر قبل كل شيء أن ما يقصده الرب هنا هو سكنى إلهية، وحيثما يوجد الله يخفي ذاته. فهو يختفي في الطبيعة، وأغلب الناس لا يرونه هناك وعندما تقابل مع القديسين في العهد القديم كان يظهر في صورة الضعف الإنساني، حتى إنه في أغلب الأحيان بعد ذهابه عنهم كانوا يقولون: «بالحق كان الرب هنا وأنا لم أعلم». والابن المبارك قد جاء ليخبر عن الله، ومع ذلك فقد ظهر كعرق من أرض يابسة، لا صورة له ولا جمال، وحتى تلاميذه تعثروا به في بعض الأحيان. فالناس دائماً يتوقعون أن ملكوت الله يأتي بمراقبة، ولا يعلمون أنه سر مخفي يكون إدراكه فقط بما يعلنه الله ذاته بطريقته الخاصة في القلوب التي خضعت وتهيأت له. والمؤمنون دائماً معرضون، عندما يخطر ببالهم موعد الروح، أن ترتسم في أذهانهم صورة معينة عن الطريقة التي يمكنهم بها معرفة قيادته واستقبالها في أفكارهم وكيف يكون تأثير إرادته المحيية على مشاعرهم، وكيف يظهر عمله للتقديس واضحاً في إرادتهم وسلوكهم. وهؤلاء هم في حاجة لأن نذكرهم أن الروح القدس يأتي ليسكن في ما هو أعمق من العقل والشعور والإرادة، وأعمق من النفس، في أعماق الروح التي هي نسمة من الله.

لذا فهذه السكنى - أول كل شيء - يكون إدراكها بالإيمان، حتى عندما

أعجز عن أن ألمس أقل دليل على عمله ، فيجب أن أؤمن أنه يسكن فيّ . وبذلك الإيمان ينبغى علىّ ، فى شعور بالطمأنينة والثقة ، أن أركن إلى عمله وأن أنتظره . وبذلك الإيمان ينبغى أن أنكر تماماً حكمتى وقوتى الذاتية ، وفى بساطة الأطفال وإنكار للذات أستند عليه لكى يعمل . قد تكون أعماله الأولى غير واضحة حتى بصعوبة يمكن تمييزها أنها صادرة عنه ، فقد تبدو أنها ليست أكثر من صوت الضمير ، أو ترديد عادى لبعض الحقائق الكتابية ، لكن هذه هى الفرصة المناسبة للإيمان ليتمسك بوعد السيد وبعطية الآب ، أن أثق أن الروح موجود بالداخل ، وأنه سيقودنى . وبهذا الإيمان ليتنى أخضع له دائماً وأفتح كيانى ليملك فىّ ويتسلط ، فينبغى أن أكون أميناً لكل ما يبدو أنه قريب من صوته . وبهذا الإيمان وهذه الأمانة تؤهل النفس لمعرفة صوته أكثر من ذى قبل ، ومن أعماق الروح تتحرك قوته لتملك على العقل والإرادة ، ويمتد سكناه فى مخادع القلب إلى أن يصل إلى الملء الكامل .

الإيمان هو مقدرة الطبيعة الروحية على تمييز الأمور الإلهية مهما بدت هذه فى مظاهر من الضعف لا تتفق معها ، فإن كان هذا صحيحاً بالنسبة للآب فى مجده كإله ، والابن الذى هو صورة الله ، فكم يكون صحيحاً بالنسبة للروح قوة الحياة الإلهية غير المنظورة ، عندما يأتى ليختفى فى ضعف الإنسان ؟!

آه ! ليتنا نغرس فى أنفسنا وندرب إيماننا أكثر على الثقة فى الآب ، الذى أعطانا - فى ابنه - الروح فى قلوبنا ، وأن نثق فى الابن أيضاً ، الذى يعتمد إعلان شخصه وعمله ومجده على عطية الروح الذى يسكن فينا . وهكذا ليت إيماننا يزداد فى الحضور الإلهى لهذه القوة العظيمة التى لا نحس بها أحياناً ، هذا الأقنوم الحى ، الذى تنازل ليخفى ذاته فى ضعفنا ونقصاننا ليؤهلنا لنكون مسكناً للآب والابن . فليكن سجودنا وتعبدنا للرب الممجد يهدف دائماً لأن نظفر باستجابته المباركة لكل صلاة كختم قبولنا ، والوعد لمعرفة أعمق ، وشركة أقرب ، وبركة أعظم . « الروح فيكم » .

وتتضح الأهمية العظمى لسكنى الروح من الحيز الذى يشغله هذا الموضوع فى حديث الرب الوداعى . ففى هذا الأصحاح والأصحاحين التاليين يتكلم الرب عن الروح القدس كالمعلم ، والشاهد ، والممثل الشخصى للرب ، والممجد له ، والمبكت للعالم ، وفى نفس الوقت - وهو يتكلم عن سكناه وسكنى الآب ، عن الاتحاد بين الكرمة والأغصان ، عن السلام والفرح والصلاة المقتدرة التى ستكون لتلاميذه - نجده يربط بين هذه و « ذلك اليوم » الذى سيأتى فيه الروح . ولكن قبل هذه كلها يقدم الوعد « يكون فيكم » كالشرط الوحيد لنوالها والمصدر الوحيد لها . ولا يفيدنا كثيراً أن نعرف كل ما يستطيع الروح أن يفعله لأجلنا ، أو اعترافنا باتكالنا الكامل عليه ، إلا إذا تحققنا من أهمية ما أعطاه السيد المكان الأول فى اهتمامه ، أعنى به أن الروح سيكون معلمنا وقوتنا فقط على أساس سكناه فينا . وإذ تقبل الكنيسة والمؤمن قول الرب « ويكون فيكم » وتعيش ويعيش بهذا الإيمان ، فإن علاقتنا الصحيحة بالروح المبارك ستتحقق ، وهو سوف يحمل على عاتقه المسئولية ويتولى القيادة إنه سيملأ الكيان المسلم له ليكون سكناً له ، سيملأه بقوة ، ويباركه بغنى .

والدراسة الدقيقة للرسائل تؤكد هذه الحقيقة ، فيكتب الرسول بولس إلى أهل كورنثوس ، موبخاً إياهم على خطايا مشينة محزنة ، ومع ذلك فيقول لهم جميعاً - متضمناً أضعف مؤمن بينهم - « أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم ؟ » ، « ألستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس ؟ » . إنه متأكد أنهم إن آمنوا بهذا الحق وأعطى المكان الذى له بحسب فكر الله ، فهذا لن يكون فحسب الدافع لحياة مقدسة جديدة بل أيضاً القوة التى تضمن تحقيق هذه الحياة . وإذ يكتب الرسول إلى الغلاطيين المرتدين ، لم يجد توسلا يوجه إليهم أقوى من هذا ، أن الله أرسل روح ابنه إلى قلوبهم ، وأن سر حياتهم هو الروح الذى فيهم ، وهم إن استطاعوا فهم هذه الحقيقة وآمنوا بها ، فسوف يسلكون أيضاً بالروح .

إن هذا هو التعليم الذى تحتاج إليه كنيسة المسيح فى هذه الأيام . إننى أشعر فى قرارة نفسى أن السواد الأعظم من المؤمنين يجهلون هذا الحق عن الروح القدس ، وإلى أى مدى يؤثر هذا عليهم فى حياة ضعيفة وخدمة غير مثمرة . قد تكون هناك صلوات كثيرة لأجل عمل الروح القدس ، وقد يكون اعتقادنا كاملا - سواء فى الوعظ أو فى الصلاة - بضرورة الاتكال الكلى والاستناد الكامل عليه ، ولكن إن لم نعرف ونختبر سكناه الإلهية بذاته بصفة دائمة فلا يجب أن نتعجب إن كان هناك فشل مستمر . إن الروح القدس - الذى يتصف بالوداعة كالحمام - يريد مكان راحته خالياً من أى اقتحام أو إزعاج ، ويريد الله أن يملك بالتمام فى هيكله ، ويريد يسوع بيته كله له . إنه لا يستطيع أن يقوم بعمله هناك ويستطيع أن يباشر سلطانه أو يظهر ذاته ومحبته كما يريد ، إلا إذا كان البيت كله والداخل بجملته ملكاً للروح القدس وممتلئاً به . وإذ يضىء لنا المعنى الكامل لسكنى الروح ، وعندما نقبله كحقيقة إلهية ، يكون تحقيقها واستمرارها ليس بأقل من قوة إلهية . وعندما نتضع فى التسليم مفرغين أنفسنا من كل شىء ، فى إيمان واحترام ، لنقبل الوعد ونعيش عليه - « يكون فيكم » - فسيسر الآب لأجل يسوع أن يتمم الوعد لنا ويمنحنا أن نختبره ، وسوف نعرف أن بداية حياة التلميذ الحقيقى وسر وجودها وقوتها هو فى سكنى الروح .

الروح للطائع

« إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياي . وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر . . . روح الحق » (يوحنا ١٤ : ١٥ ـ ١٧) .

« الروح القدس أيضاً الذى أعطاه الله للذين يطيعونه » (أع٤ : ٣٢)

الحق الذى تكشف عنه هـــذه الكلمات كثيراً ما يدفعنا للتساؤل : كيف يكون هذا ؟ ! نحن فى حاجة إلى الروح ليجعلنا طائعين ، ورغبتنا فى نوال قوة الروح ليس إلا لأننا نحزن كثيراً بسبب العصيان الذى لا يزال فينا ، و نود لو تحررنا منه . فكيف إذاً يطالبنا المخلص بالطاعة كشرط لازم للحصول على عطية الآب ، وقبولنا للروح ؟ .

لكن سيزول العجب إن كنا نتذكر ما تكلمنا عنه أكثر من مرة أن هناك ظهورين لروح الله ، أحدهما فى العهد القديم ، والآخر فى العهد الجديد . فى الأول كان يعمل كروح الله ليعد الطرق لإعلان أعظم من الله الذى هو أبو يسوع المسيح ، وبهذه الطريقة قد عمل الروح فى التلاميذ ، كالروح الذى يغير ويمنح الإيمان . لكن ما كانوا ينتظرون قبوله ليس بعد تلك الأيام بقليل هو أعظم من ذلك ـ إنه روح يسوع الممجد ، الذى يحضر القوة من الأعالى . ومع أن الروح الآن فى العهد الجديد قد حل فى المؤمنين كروح المسيح لكن لا يزال هناك ما يماثل التدبير المزدوج ، فحيث لا تتوفر المعرفة الكافية عن عمل الروح ، أو حيث يكون تأثير أعماله فى الكنيسة أو المؤمن ضعيفاً ، فهؤلاء رغـــم كونهم مؤمنين لكنهم لم يصلوا إلى أكثر من معرفة أعماله التمهيدية الأولية ، ومع كونه فيهم لكنهم لا يعرفونه فى قوته كروح الرب الممجد . إنه قد حل فيهم ليجعلهم طائعين ، وعندما يظهرون خضوعهم لعمله الأولى هذا ـ أعنى به حفظ وصايا المسيح ـ فحينئذ فقط يتقدمون إلى الاختبار الأعلى عن حلوله المحسوس ، كالممثل الشخصى ليسوع والمخبر عن أمجاده .

«إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر».

بالطاعة، والطاعة وحدها تدوم العلاقة بالله القدوس، ويستمر الدخول إلى اختبارات أعمق عن محبته وحياته. إن إرادة الله المعلنة هى التى تكشف عن صفاته وكمالاته غير المنظورة. فبقبول إرادته، وتنفيذها، ونبذ إرادتنا تماماً، والسلوك بحسب ما يرضيه، نتأهل للدخول إلى محضر الله. ألم يكن الأمر كذلك حتى مع ابن الله؟ فبعد حياة قضاها فى اتضاع وطاعة مقدسة لمدة ثلاثين عاماً نطق بهذه الكلمة التى تدل على التكريس الكلى: «يليق بنا أن نكمل كل بر»، ثم قـدم نفسه للمعمودية عن خطايا شعبه. ولأجل ذلك تعمد بالروح، وحل الروح عليه بسبب طاعته. ومرة أخرى إذ تعلم الطاعة مما تألم به وأطاع حتى الموت موت الصليب نجد أنه قد قبل من الآب موعد الروح (أع ٢ : ٣٣)، ليسكبه على التلاميذ، فكان ملء الروح لأجل الكنيسة، التى هى جسده، مكافأة الطاعة. وهـذا القانون الخاص بحلول الروح، كما رأيناه فى الرأس، يظل صحيحاً وثابتـاً بالنسبة لـكل عضو من أعضاء الجسد، أن الطـاعة هى الشرط الذى لا غنى عنـه لحلول الروح. «إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر».

لقـد جاء يسوع المسيح ليعد الطريق لمجىء الروح، أو بمعنى أفضل، كان مجىء المسيح الظاهرى بالجسد ممهداً لمجيئه غير المنظور بالروح لإتمام الوعد الخاص بسكنى الله فى الإنسـان. كان مجيئه المنظور موافقاً للنفس، للعقل والحس، ومؤثراً عليها جميعاً. ويكون فقط بحسبما نقبل مجىء المسيح المنظور، وبحسبما تـكون المحبة والطاعة له، أنه يعطى الإعلان الداخلى المحسوس. ولقـد كان الاتصال الشخصى بيسوع وقبوله الشخصى كرب ومعلم ليصبح موضوع المحبة والطاعة، كان هـذا هو تهيئة التلاميذ لقبول معمودية الروح. وهكذا الآن عندما نصغى إلى صوت الضمير، ونسعى مخلصين لحفظ وصايا يسوع، ونبرهن على محبتنا له، أن القلب يصبح مهيئاً لملء الروح. أما عن محاولاتنا فهى تقصر

عن بلوغ مآربنا ، وقد نكون مضطرين لأن نحزن لأننا لسنا نفعل ما نريده ، لكن إن رأى السيد فينا خضوعاً كاملا قلبياً لإرادته ، والطاعة المخلصة لما لدينا الآن من قيادة الروح فلنا أن نثق أن العطية الكاملة لن تحتجز عنا .

ألا نجد فى هذه الكلمات السببين الرئيسيين لأن حضور الروح فى الكنيسة واستعلان قوته لم يتم إلا بصورة ضعيفة جداً ؟ وألم نفطن إلى أنه كما أن طاعة المحبة ينبغى أن تسبق ملء الروح فإن ملء الروح لا بد أن يتبعها ؟ يخطىء كل من يطلب ملء الروح قبـــل أن تكمل طاعته ، وليس أقل خطأ من يظن أن الطاعة ستكون ثمرة تملء بالروح .

إن الطاعة يجب أن تسبق معمودية الروح . لقد نادى يوحنا بيسوع أنه المعمدان الحقيقى الذى يعمد بالروح القـدس والنار ، ولأجل هـذه المعمودية أخذ يسوع تلاميذه فى فترة تدريبية لمدة ثلاث سنوات ، وقد ربطهم بنفسه شخصياً وعلمهم أن يتركوا كل شيء لأجـله ، وقـدم نفسه لهم كالسيد والمعلم ، وعلمهم أن يفعلوا وصاياه ويتمموا أقواله ، وفى خطابه الوداعى تـكلم إليهم مرة تلو الأخرى عن الطاعة لوصاياه كالشرط الأساسى لـكل بركة روحية فى المستقبل . إن ما يدعو للقلق أن الكنيسة لم تعط لهذه الكلمة « الطاعة » الأهمية التى أعطاها لها المسيح ، وسبب ذلك هو الآراء الخاطئة عن خطر البر الذاتى ، وعن قوة الخطية وحتمية الوقوع فيهـا ، والإحجام الطبيعى فى الجسـد عن قبول مستويات أعلى من القداسة .

وبينما تشغل موضوعات مجانية النعمة وبساطة الإيمـان اهتمام الوعاظ ، نجد أن الضرورة القصوى لتوفر الطاعة والقـداسة لم تلق نفس الاهتمام ، فالاعتقاد السائد هو أن الذين حصلوا على ملء الروح هم فقط الذين فى إمكانهم أن يطيعوا ، ولم يعرفوا أن الطاعة هى الأساس الذى يجب أن يوضع أولا ، وأن معمودية الروح والإعلان الكامل عن الرب الممجد الذى يقيم فينا أعماله المجيدة هو البناء الذى يشيد فوق الأسـاس ، وأن حضور الله هو البركة التى

ينالها الطائع . ولم يعرفوا أن الخضوع الكامل ببساطة لكل ما يمليه الضمير ، ولكل أوامر الكلمة ، وأن « السلوك كما يحق للرب فى كل رضى » ينبغى أن يكون هو جواز العبور للحياة الكاملة فى الروح ، التى فيها يشهد الروح عن سكنى الرب وحلوله فى القلب .

والنتيجة الطبيعية لإهمال هذا الحق هى إغفال حق آخر مماثل : أن الطائع يجب وله أن يطلب ملء الروح . إن وعد سكنى الروح بصورة فعالة ومحسوسة ، هذا الوعد يقدم بنوع خاص للطائع ، ويجهله كثيرون من المؤمنين ، والشطر الأكبر من الحياة يقضى فى النحيب بسبب الحزن على اختفاء قوة الروح .

إن موضوع الروح الذى يعطى بنوع خاص للمطيع ليجعل حضور يسوع فيه حقيقة مستمرة وليعمل فيه أعمالا أعظم مثلما عمل الآب فى يسوع ، هذا أمر قلما فكرنا فيه ، ولم نفهم بعد المعانى التى تنطوى عليها حياة يسوع كمثال لنـــا ، وكيف كان واضحاً له تماماً أن حياته الأرضية المنظورة التى قضيت فى التجربة والطاعة كانت تمهد لحياة روحية غير منظورة هى حياة القوة والمجد . هذه هى الحياة الداخلية التى قد صرنا شركاء فيها بعطية روح يسوع الممجد . وباشتراكنا الشخصى الداخلى فى تلك العطية يجب أن نسلك الطريق الذى كرسه لنا ، فكما أننا بصلب الجسد نخضع ذواتنـا لإرادة الله ، ليعمل فينا حسب مشيئته وليتمم إرادته من جهتنا ، فسوف نعرف أيضاً أننا لكى نلتقى بالله يجب أن يكون ذلك بصنع مشيئته ، وعندما نقبل إرادته ونتممها يتهيأ القلب ليصبح مسكناً للروح القدس . إن استعلان الابن فى طاعته الكاملة كان الشرط اللازم لإعطاء الروح ، ومن ثم فإن قبولنا للابن فى محبة وخضوع هـــو الطريق لنوال الروح .

لقد ملك هذا الحق على قلوب الكثيرين فى هذه الأيام الأخيرة عندما أدركوا أهمية الكلمات : التسليم الكامل والتكريس الكلى . وإذ عرفوا أن الرب يسوع

يطالب حقاً بالطاعة المطلقة ، وأن تسليم الكل له ولإرادته أمر لازم جداً ، ويتسنى لهم تحقيقه فى قوة نعمته ، وإذ تم لهم ذلك بإيمانهم فى قوته ، فقد وجدوا الطريق إلى حياة السلام والقوة التى لم تكن معروفة قبلا . لكن الكثيرين جداً غيرهم يحتاجون أن يعرفوا أنهم لم يدركوا بعد هذا الدرس تماماً ، وسوف يكتشفون أن هناك تطبيقات لهذه القاعدة أبعد مما أدركناه . وكما رأينا أن فى قوة الروح الذى سكن فينا ، عندما يسيطر على الحياة ، يصبح كل فكر وحركة أسيراً وأسيرة لطاعة المسيح ، وأن علينا أن نسلم ذواتنا له بالإيمان ، فلا بد أن نرى أيضاً أن روح الرب الممجد سيجعل حضور يسوع معنا أمراً محسوساً ، وسيعمل فينا وبنا أعماله المجيدة بطريقة أعظم جداً مما نطلب أو نفتكر . إن فى قصد الله والمسيح أن يكون سكنى الروح القدس فى الكنيسة أكثر ، نعم ! أكثر كثيراً جداً مما اختبرناه حتى الآن .

آه ، ليتنا نخضع ذواتنا له بالمحبة والطاعة ، ونحن على أتم استعداد أن نضحى بكل شىء لأجل يسوع حتى تتسع قلوبنا لملء بركته المذخرة لنا فيه .

ليتنا نصرخ إلى الرب بكل غيرة واهتمام لكى يوقظ كنيسته وشعبه لإدراك هذا الدرس المزدوج : أن طاعة المحبة هى الشرط الذى لا غنى عنه للاختبار الكامل لسكنى الروح ، وأن الاختبار الكامل لسكنى الروح هو ما ينبغى أن تطالب به طاعة المحبة . والآن فليقل كل منا للرب إنه يحبه ويحفظ وصاياه ، ومهما يكن ذلك فى كثير من الضعف والفشل فدعونا أيضاً نستمر فى أن نردد هذا القول كغرض نفوسنا الوحيد ، وهو لا بد أن يقبل ذلك منا . ودعونا نؤمن أن الروح قد حل فينا فعلا عندما سلمنا نفوسنا له فى طاعة الإيمان ، ولنؤمن أيضاً أن السكنى الكاملة هى لنا بكل ما تتضمنه من إعلان يسوع فينا . وليتنا لا نقتنع بشىء أقل من الإحساس المبارك ، فى روح المحبة والاحترام والخشوع ، أننا هيكل لله الحى لأن روح الله يسكن فينا .

معـــرفة الروح

« روح الحق الذى لا يستطيع العـــالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه ، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم » (يو ١٤ : ١٧) .

« أما تعلمون أنــكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم ؟ » (١ كو٣: ١٦)

ليس من السهل أن نصف بإيجاز قيمة المعرفة ، أعنى المعرفة الروحيـة الحقيقية فى حياة الإيمان . قلنا إن الإنسان لا يمكن اعتباره غنياً بسبب ميراث آل إليه ، أو كنز مخفى فى حقله ، طالما أنه لا يعرف عنـه شيئاً أو لا يعرف كيف تؤول له ملـكيته ، وكيف يمارس حقه فيه ، فهكذا أيضاً نعمة الله لا يمكن أن تـكشف عن ملء بركاتهـا وعظمة عطاياها إلا إذا عرفناها ، وفى معرفتنا نفهمها حق الفهم ونصبح مالـكين لها . إن كل كنوز الحـكمة والعلم قد ذخرت لنا فى المسيح وبسبب فضل معرفة المسيح يسوع ربنا يجد المؤمن نفسـه مستعداً أن يحسب كل شىء خسـارة ، لـكن بسبب النقص فى المعرفة الحقيقية عن كل ما قد أعده لنا الله فى المسيح نجد أن حياة المؤمنين فى مستوى منخفض وفى ضعف شديد . لقد صلى بولس لأجل أهل أفسس لـكى يعطيهم الآب روح الحكمة والإعلان فى معرفته ، لتستنير عيون أذهـانهم ليعرفوا رجاء دعوتهم ، وغنى مجـد ميراثه وعظمة قدرته الفائقة العاملة فيهم . ومثل هذه الصلاة لم نرفعها نحن كما ينبغى ، سواء لأجل أنفسنا أو لأجل الآخرين . ولـكن تُرى ما هى الأهمية الخاصة لمعرفة المعلم الذى فيه نحصل على كل معرفة أخرى ؟ إن الله الآب قد أعطى كل أولاده ليس المسيح فقط الذى هو الحق ، وأساس كل حياة ونعمة ، ولـكنه أعطاهم الروح القدس الذى هو نفسه روح المسيح والحق « قد أخذنا الروح الذى من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله » .

ويعترضنا الآن هذا السؤال الهام : كيف نستطيع أن نعرف أن الروح القدس هو الذى يعلمنا ؟ فلكى تكون معرفتنا بالأمور الإلهية سبب يقين وراحة لنا . يجب أن نعرف المعلم ذاته ، ومعرفته هى الضمان الذى يؤكد لنا أن معرفتنا الروحية ليست أوهاماً ويجيب الرب المبارك على هذا السؤال بما يتضمنه من معانى خطيرة ، بأن يؤكد لنا أننا سنعرف الروح .

حينما يأتى رسول يخبر عن ملك ، أو عندما يقدم واحد شهادة عن صديقه ، لا يتكلم قط عن نفسه ، وإن تكلم عن نفسه فكلا من الرسول والشاهد وهما يقدمان شهادتهما إنما يجذبان التفاتنا إليهما ، ويتطلب الأمر اعترافنا بهما وبوجودهما هكذا أيضاً الروح القدس وهو يشهد عن المسيح ويمجده يجب أن يُعرف ويُعترف به على أساس إرساليته الإلهية . وبهذا فقط يمكن أن يكون لنا التأكيد أن المعرفة التى نحصل عليها هى بالحق من الله ، وليست ناتجة عما جمعه الذهن البشرى من معلومات مصدرها كلمة الله المكتوبة . إن معرفة خاتم الملك هو الضمان الوحيد ضـــد الصورة المزيفة ، ومعرفة الروح هى الأساس الإلهى لليقين .

والآن كيف يمكننا بهذه الوسيلة أن نعرف الروح ؟ يقول يسوع : « وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم » . إن استمرار سكنى الروح هو الشرط اللازم لمعرفته ، وحضوره سيكون دالا عليه . فعندما نسمح له أن يسكن فينا ، وإذ نعطيه ، بإيماننا به وطاعتنا له ، أن يملك ملكاً كاملا ، ونسمح له أن يشهد عن يسوع الرب من السماء ، فإنه سيقدم حججه ويبرهن عن نفسه أنه هو روح الله . « الروح هو الذى يشهد لأن الروح هو الحق » ، ولأن معرفة الكنيسة واعترافها بالروح كالمعلم المقيم فى كل مؤمن ليس كما ينبغى أن يكون لذا فإن أعمال الروح فى الكنيسة تبدو قليلة وضعيفة ، وهناك الكثير من المشقة والخوف ، والتردد والشك فى تبين شهادة الروح وتمييزها . ولكن إذا استعاد حق واختبار سكنى الروح مكانته بين شعب الله ؛ وأصبح الروح

فى حرية مرة أخرى ليعمل بيننا بقوة . فإن حضوره المبارك سيكون هو الدليل الكافى عنه ، وسنعرفه بالحق . « أما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم » .

ولكن طالما أن حضوره لم يدرك إلا قليلا ، وأعماله لم تزل تعاق ، فكيف يُعرف الآن ؟ على كل من يرغب بإخلاص ليس فقط أن يعرف أن الروح فيه ولكن أن يعرفه بشخصه ، كقنية شخصية ومعلم شخصى ، عليه أن يدرس تعليم الكتاب فيما يختص بالروح . لا تكتف بتعليم الكنيسة أو تعليم الناس عن الروح ، ولكن اقصد الكلمة . لا تقف عند مجرد قراءتك العادية للكلمة أو بما تعرفه من التعاليم من قبل ، لكن إن كنت ترغب أن تعرف الروح فاذهب وفتش الكتب باحثاً عن هذا الأمر ، كمن يريد أن يطفى غليله بالارتواء من ماء الحياة . اجمع كل الأقوال التى وردت فى كلمة الله عن الروح ، وعن سكناه وعن عمله ، وخبىء هذه الأقوال فى قلبك عازماً ألا تقبل إلا ما تعلمه الكلمة ، بل أن تقبل بكل قلبك كل ما تعلمه لك .

ادرس الكلمة معتمداً على تعليم الروح . إن كنت تدرسها بحكمتك البشرية فإن دراستك لها ستبرهن لك آراء جانبها الصواب ، لكن إن كنت ابناً لله فلك الروح القدس ليعلمك ، حتى وإن كنت لا تعرف بعد كيف يقوم بعمله فيك . اطلب من الآب أن يعمل به فيك ليجعل الكلمة حياة ونوراً فى داخلك . فإن كنت فى روح الاتضاع والثقة فى قيادة الله تخضع بكل قلبك للكلمة ، فلا بد أن تختبر الوعد حقاً : « ويكون الجميع متعلمين من الله » . وقد سبقت الإشارة أكثر من مرة عن الانتقال من مرحلة الخارج إلى الداخل ، فليتك تتخلى تماماً عن أفكارك وأفكار الناس وأنت تقرأ الكلمة . اطلب من الله أن يعلن لك بروحه عن فكره فيما يختص بالروح ، وهو حتما سيفعل ذلك .

وما هى العلامات الأساسية التى تقدمها كلمة الله ، والتى بهـــا نستطيع أن نميز حضور الروح فينا ؟ هناك دليلان رئيسيان : الأول أكثره ظاهرى

أو خارجى ويشير إلى العمل الذى يعمله ، والثانى معظمه فى الحياة الداخلية ، فى الطباع التى يريد الرب توفرها فى أولئك الذين يسكن فيهم .

ولقد فرغنا للتو من الكلام عن طاعة المحبة التى تكلم عنها يسوع كشرط لازم لحلول الروح ، فتوفر الطاعة هو العلامة الأكيدة على حضوره . لقد أعطانا يسوع الروح ليكون معلماً لنا ومرشداً ، ويتكلم الكتاب كله عن عمله الذى يتطلب خضوع الحياة بجملتها : « إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون » ، « لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله » ، « جسدكم هو هيكل للروح القدس » ، « فمجدوا الله فى أجسادكم » ، « إن كنا نعيش بالروح فلنسلك أيضاً بحسب الروح » ، « نتغير إلى تلك الصورة عينها كما من الرب الروح (أو كما بروح الرب) » . وكل العبارات المماثلة تحدد بوضوح أعمال الروح ، فكما أن الله عُرف أولا بأعماله ، هكذا أيضاً الروح . إنه يعلن عن إرادة الله ، وقد تمم المسيح هذه الإرادة ، ويدعونا لأن نتبعه فى عملها فعندئذ يُخضع المؤمن نفسه للحياة حسب الروح ، ويقبل من صميم قلبه أن يهب نفسه لقيادة الروح وإماتة الجسد ، والطاعة لوصايا المسيح بدون استثناء ، وإذ ينتظر الروح ليحقق هذه فيه فلا بد أن يصل إلى معرفة الروح الذى يعمل فيه . كلما جعلنا غرض الروح هو غرضنا ، ووهبنا أنفسنا بالتمام الكل ما لأجله سيأتى ليضعه فينا ، فحينذاك نصبح متيقنين أن نعرفه أنه يسكن فينا ، وكلما قادنا لطاعة الله كما فعل المسيح فإن الروح نفسه لا بد أن يشهد لأرواحنا أنه يسكن فينا .

ويمكننا أن نعرفه أيضاً عن كثب وبصورة أكثر يقينية ، ليس فحسب عندما نخضع ذواتنا للحياة التى ينشئها فينا ولكن بدراستنا للعلاقة الشخصية التى تربطه بالمؤمن ، والطريقة التى بها نختبر عمله اختباراً أكمل . إن ما يتطلبه الروح يتضمن فى هـــذه الكلمة : الإيمان والإيمان يتعامل دائماً مع غير المنظور ، مع ما يبدو للإنسان دائماً بعيد الاحتمال . فعندما ظهر الله فى يسوع كان مختفياً فى صورة متواضعة ، ولمدة ثلاثين عاماً عاشها فى الناصرة لم يروا فيه

شيئاً أكثر من كونه ابن النجار ، وكان فقط ساعة عماده أن بنوته لله أظهرت بشكل كامل . وحتى بالنسبة لتلاميذه ، كثيراً ما اختفى مجده الإلهى عنهم . فكم بالأكثر عندما تدخل حياة الله إلى أعماق طبيعتنا الخاطئة ، أفلا يكون تمييزها بالإيمان ؟ ليتنا نستقبل الروح بإيمان متواضع مقدس ، ولا نكتفى بمجرد أن نعرف أن الروح فينا ، فهذا لن يفيدنا إلا قليلا ، لكن فى كل أعمالنا لنربِ فى أنفسنا عادة السجود باحترام وفى صمت خاشع أمام الله مقدمين الروح اعترافاً به ، فنلجم مشيئة الجسد الذى كثيراً ما يسرع للظهور فى كل مرة نخدم فيها الله . لننتظر الروح معتمدين عليه من كل القلب ، ولتكن لنا فرص التأمل الهادىء ، التى فيها ندخل إلى مخدع القلب الداخلى . لنتأكد أن كل ما هناك خاضع للروح حقيقة ، ثم ننحنى أمام الآب طالبين ومتوقعين أن يظهر أعمال الروح القدس المجيدة ، حتى إن كنا لا نبصر ولا نحس بشىء . دعونا نؤمن ، فالله يُعرف دائماً بالإيمان أولا ، وعندما نستمر مؤمنين نتهيأ لنعرف ونرى .

لا توجد طريقة لاختبار الثمرة إلا بتذوقها . ومعرفتنا للنور لا تكون إلا بالوجود فيه والتمتع بمزاياه . ولا سبيل لمعرفة شخص إلا بمصاحبته . لا يمكن أن تعرف الروح إلا عندما تمتلكه ويمتلكك . والطريق الوحيد لمعرفة الروح هو أن نحيا فى الروح ، وهو الطريق الذى يقودنا إليه السيد بقوله : « وأنتم تعرفونه لأنه يكون فيكم » .

أيها المؤمن ، لقد حسب بولس الرسول كل شىء خسارة لأجل فضل معرفة المسيح ، ألا نفعل ذلك نحن أيضاً ؟ ! ألا ينبغى أن نترك كل شىء لكى نعرف بالروح المسيح الممجد ؟ ! آه ، لنفكر فى هذا الأمر ، أن الآب قد أرسل الروح لننال نصيباً كاملا فى مجد المسيح الممجد ، أفلا نقدم أنفسنا ليحل فينا ، ولندعه يبسط سلطانه على كل أجزاء الحياة ، ليتسنى لنا أن نعرفه تماماً ، الذى فيه وحده يمكننا أن نعرف الابن والآب ؟ ! ليتنا الآن نسلم أنفسنا بجملتها لتكون مسكناً للروح المبارك ، ولنقبل تعليمها منه فهو عطية الابن التى أعطاه الآب إياها !

الفصل التاسع

روح الحق

« ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب ، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق ، فهو سيشهد لى » (يو ١٥ : ٢٦) .

« وأما متى جاء ذاك ، روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به » (يو ١٦ : ١٣) .

خلق الله الإنسان على صورته ، ليكون قادراً على أن يحيا فى الشركة معه فى مجده ولأجل الوصول إلى مشابهة الله هذه وُضعت أمام الإنسان فى الفردوس طريقتان ، وقد رمز إليهما بالشجرتين : شجرة الحياة وشجرة المعرفة . الأولى هى طريقة الله ، وبواسطة الحياة تتحقق معرفة الله والوصول إلى مشابهته ، وبالثبات فى إرادة الله والاشتراك فى حياة الله يسير الإنسان إلى الكمال . لكن الشيطان عندما أيد الطريقة الثانية أكد للإنسان أن المعرفة هى الشىء الوحيد الذى يجب أن نطلبه لكى نكون كالله . وعندما اختار الإنسان نور المعرفة على حياة الطاعة وضع القدم الأولى فى الطريق المخيف المؤدى إلى الموت ، وأصبحت الرغبة فى المعرفة هى أعظم ما يشتهيه ، وتدنست طبيعته بجملتها ، وصارت المعرفة أعظم عنده من الطاعة ومن الحياة .

وتحت تأثير هذه الخدعة التى تعد بالسعادة من وراء المعرفة ، لا يزال الجنس البشرى ينقاد إلى الضلال . ولا يظهر تأثيرها المخيف أشد هولا إلا حيث تكون الديانة الحقيقية ، وعندما يعلن الله عن ذاته ، حتى فى النفوس التى تجد فيها كلمة الله مكاناً نجد أنه كثيراً ما تتدخل حكمة العالم والجسد ، وحتى الحق الروحى يفقد قوته عندما يكون قبوله بحكمة الناس دون أن يدخل إلى حياة الروح . وحيث يصل الحق إلى الإنسان الباطن كما يريد له الله هناك تنشأ حياة الروح ، ولكنه قد يصل فقط إلى الأجزاء الخارجية من النفس - أعنى

بها العقل والمنطق ـ وإذ يشغل الحق مكاناً له هناك ويبعث فينا سروراً ، نستريح إذ نتوهم أنه هناك سيظهر تأثيره . لكن لن يكون له تأثيراً أكثر مما لحكمة وقدرة الإنسان على استقصاء الحقائق ، تأثير لا يمكن أن يمتد إلى منابع حياة الروح الحقيقية . فهناك حق صادر عن الفهم والوجدان ، وهو حق طبيعى فقط ، ظل شبيه بالحق الإلهى الذى هو عين الحق والحقيقة . إن كل ما كان فى استطاعة الناموس أن يقدمه هو الحق فى ظله وشكله ، والذى لا يمتد تأثيره أبعد من العقل والتصور ، ومن هذا تكونت الديانة اليهودية . أما الحق ذاته ، الحق فى كونه حياة إلهية ، فهو ما أتى به يسوع كالوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً ، فهو بنفسه « الحق » .

عندما وعد الرب تلاميذه بالروح القدس تكلم عنه كروح الحق ، ذلك الحق الذى يشير إلى نفسه هو . والحق والنعمة والحياة قد أتى بها يسوع من السماء ليهبنا إياها . ذلك الحق هو فى روح الله . إنه هو الروح . ذات حياة الحق الإلهى . وعندما نقبله ، وعلى قدر ما يكون قبولنا له ، وإذ نسلم له ذواتنا ، فإنه يجعل المسيح وحياة الله الحق الذى يتخذ له موضعاً فينا . والروح فى تعليمه إيانا وقيادته لنا فى الحق لا يعطينا مجرد أقوال أو أفكار ، احساسات أو تصورات تأتينا من الخارج ، من كتاب أو معلم خارجاً عنا ، لكنه يدخل إلى منابع حياتنا الخفية ويغرس حق الله كبذرة ويسكن هناك كحياة إلهية . وحيث تصان هذه الحياة المختفية وتعطى غذاءها ، بالإيمان والصبر والخضوع ، فإنه يحييها ويقويها فتنمو وتترعرع وتمد فروعها فى الكيان الإنسانى كله . ومن ثم نرى أنه ليس من الخارج بل من الداخل ، ليس بكلام بل بقوة ، بالحياة والحق يقوم الروح بإعلان المسيح وكل ما ذخر لنا فيه ، ويجعل المسيح الذى كان بالنسبة لنا مجرد فكرة أو صورة ، ومخلصاً يحيا خارجنا فى السماء ، يصبح هو الحق فى داخلنا . وإذ يسكن الروح فينا يهيء للحق موضعاً هناك . وإذ يملك علينا من الداخل يقودنا ويرشدنا ، بقدر ما نحتمل ، إلى كل الحق .

وفى وعد الرب أن يرسل روح الحق من عند الآب ، فإن الرب يحدد بالضبط ماذا سيكون عمله الرئيسى : « هو يشهد لى » . لقد ذكر قبل ذلك بقليل : « أنا هو الحق » . ولا عمل لروح الحق إلا أن يعلن ملء النعمة والحق اللذين صارا فى يسوع المسيح ، ويجعلهما ملكاً لنا . لقد أتى من السماء حيث الرب الممجد ، ليحل فينا ، ويشهد فينا وبواسطتنا عن حقيقة وقوة الفداء الذى أتمه المسيح هناك . ويوجد بين المؤمنين من يخشى أن كثرة التفكير فى حضور الروح فينا سيبعدنا عن المخلص الذى فى السماء ، لكنى أقول إن النظرة إلى داخل ذواتنا قد تسبب ذلك ، ولنا أن نثق أن اعترافنا بالروح الذى فينا فى إيمان وخضوع سيؤدى إلى إدراك روحى أكمل أن المسيح وحده هو بالحق الكل فى الكل . « هو يشهد لى » ، « هو يمجدنى » ، الروح هو الذى يجعل من معرفتنا للمسيح الحياة والحق ، ويحولها إلى اختبار القوة التى بها يعمل ويخلص .

ولكى نعرف الوضع والحالة التى يجب أن نكون عليها لكى يتسنى لنا أن نتقبل بكل وضوح هذه القيادة إلى كل الحق ، لاحظوا دقة التعبير الذى يستخدمه الرب عن الروح : « هو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به » . إن علامة وجود روح الحق هذا هى قيادة إلهية عجيبة ، ولا يوجد فى سر الثالوث الأقدس ما هو أجمل من هذا ، أنه مع مساواة الابن والروح للآب فى الجوهر يوجد أيضاً خضوع كامل ، فللابن أن يطالب بأن يكرمه الناس كما يكرمون الآب ، بيد أنه لا يعتبره أمراً يتنافى مع هذه الكرامة أن يصرخ قائلا : « لا يستطيع الابن أن يفعل شيئاً من ذاته بل كل ما يسمع يتكلم به » . وهكذا أيضاً روح الحق لا يتكلم قط من نفسه . قد نظن أنه فى إمكانه أن يتكلم من نفسه ، لكنه لا يفعل ذلك قط ، وإنما كل ما يسمع يتكلم به . إن الروح الذى يحرص ألا يتكلم من نفسه، الذى يصغى لله ثم يتكلم ، ويتكلم فقط عندما يتكلم الله ، ذلكم هو روح الحق .

وهذه هى الطبيعة التى يخلقها والحياة التى ينفخها فى أولئك الذين يقبلونه بالحق. وهـذا الاستعداد لقبول التعليم فى خضوع - الأمر الذى يتميز به المساكين بالروح والمنكسرو القلوب الذين فطنوا إلى الحقيقة أن كلمتهم، مثل برهم، لا تنفعهم أبداً، وكذا قدرتهم على إدراك الحق الروحى، وأنهم فى حاجة إلى المسيح، وأن الروح الذى فيهم هو وحده الذى يمكن أن يكون روح الحق، وهو الذى يعرفنا أنه حتى وإن كانت كلمة الله فى أيدينا وعلى شفاهنا لكننا نحتاج تماماً إلى روح الخضوع والإذعان والانتظار الذى له فقط تنكشف المعانى الروحية. إنه ينبه أذهاننا إلى العلة التى بسببها لا نحصل إلا على ثمار قليلة جداً للقداسة الحقيقية رغم كثرة قراءة الكلمة والمعرفة الكتابية، والوعظ الكتابى، هـذا لأن كلمة الله تُقرأ وتُدرس وتُحفظ بالحكمة التى ليست من فوق، التى ينبغى أن نطلبها وننتظرها من الله. إن علامة حضور روح الحق غير ظاهرة فينا. إنه لا يتكلم ولا يفكر من ذاته، بل كل ما يسمع يتكلم به. إن روح الحق يتسلم كل شىء، يوماً فيوماً، وخطوة فخطوة، من الله فى السماء. إنه يصمت ولا يتكلم حتى يسمع الله يتكلم.

وهذه الأفكار تكشف لنا الخطر العظيم الذى يتهدد الحياة الروحية، لأننا نسعى لمعرفة حق الله المتضمن فى كلمته بغير الانتظار الحقيقى لروح الحق الساكن فينا. إن المجرب الذى ظهر فى الفردوس لا يزال يتجول بين الناس، ولم تزل المعرفة هى الشرك الخطير، وما أكثر المؤمنين الذين يعترفون أن معرفتهم إللحق الإلهى لم تنفعهم كثيراً. لقد تركتهم المعرفة عاجزين أمام سلطان العالم والخطية، وما أقل معرفتهم عن النور والحرية، القوة والفرح، الأمور التى قُصد بالحق أن يعطيها، هذا لأنهم يقبلون حق الله فى قوة الحكمة الإنسانية والإدراك البشرى، لكنهم قط لا ينتظرون روح الحق ليقودهم إلى جميع الحق. ولقد باءت بالفشل مجهودات كثيرة صادقة للثبات فى المسيح والاقتداء به، لأنها كانت فى الإيمان الذى يثق فى حكمة الناس أكثر من قوة الله،

وكثير من الاختبارات المباركة لم تدم طويلا لأن أصحابها لم يعرفوا أن روح الحق حل فيهم ليجعل من المسيح ومن حضوره المقدس حقيقة ثابتة .

وهذه الأفكار تكشف لنا أيضاً عن الشرط اللازم للحياة المسيحية . قال يسوع : « إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه » . كثيرون يتبعون يسوع بغير أن ينكروا ذواتهم ، ولسنا في حاجة أن ننكر شيئاً أكثر من أفكارنا وحكمتنا الذاتية ، ومقدرة الذهن الجسدي الذي يريد أن يظهر في الأمور الإلهية .

ليتنا نتعلم أن في شركتنا مع الرب ، في دراستنا للكلمة أو في الصلاة ، وفي كل سجودنا وتعبدنا ، ينبغي أن تكون الخطوة الأولى هي الاهتمام بالتخلي ، أن ننكر مقدرتنا على إدراك كلمة الله أو التكلم معه بكلماتنا بغير أن تكون لنا القيادة الإلهية من الروح القدس . إن المؤمنين يحتاجون أن ينكروا ما هو أكثر من برهم الذاتي ، أعني حكمتهم الذاتية ، وكثيراً ما يكون هذا الأمر أصعب عمل من أعمال إنكار الذات . إننا في كل سجودنا نحتاج أن نتحقق من الكفاية الوحيدة والأهمية المطلقة ، ليس فقط لدم يسوع ، ولكن بالمثل لروح يسوع ، وهذا هو المعنى الذي نفهمه من الوصية التي تطالبنا أن نصمت أمام الله وأن ننتظره بهدوء ، أن نمنع اندفاع الأفكار والكلمات في محضر الله ، وفي اتضاع عميق وصمت ننتظر ونرهف السمع لنصغي إلى ما يريد الله أن يتكلم به إلينا . إن روح الحق لا يتكلم قط من ذاته ، لكن كل ما يسمع يتكلم به ، وإن الروح الخاضعة المصغية المتواضعة المستعدة لأن تقبل تعليماً هي العلامة على حضور روح الحق .

وعندئذ ، عندما نهتم بالانتظار ، لنذكر أنه حتى حينئذاك لا يبدأ روح الحق أن يتكلم بكلمات أو يوحي بأفكار يمكننا أن نفهمها حالا أو نقدر على التعبير بها ، لأن الأفكار التي يسهل فهمها هي الأفكار السطحية ، ولكن دليل صدقها هو تعمقها ، إذ يجب أن تكون كامنة في أعماق نفوسنا . الروح

القدس هو روح الحق لأنه هو روح الحياة ، والحياة هى النور . إنه لا يتكلم إلى العقل أو الإحساس ، ولكن يتكلم فى قلب الإنسان وفى أعماق النفس الداخلية ، وللإيمان فقط تنكشف معانى تعليمه ، وماهية قيادته للحق . فليكن إذاً أول عمل نقوم به اليوم أن نؤمن . لنتعرف على الإله الحى بواسطة الأعمال التى تعهد بالقيام بها . لنؤمن فى الروح القدس أنه الإله المحيي المقدس الذى قد حل فينا ، ولنخضع كل شيء له ، وسوف يبرهن لنا أنه بحق الضياء الإلهى . الحياة هى النور ، وإن كنا نعترف أنه لا حيـــاة ولا صلاح فينا فلنعترف أيضاً أنه لا حكمة لنـــا . وكلما تعمق احساسنا بذلك بدت عظمة الوعد بقيادة الروح . وهذا اليقين الراسخ أننا نمتلك روح الحق فى داخلنا سيجعلنا مشابهين لصورة المعلم المقدس ، وسينشيء فينا روح الإصغاء الهادىء الذى تعلن له أسرار الله .

✠

أفضلية مجيء الروح

« أقول لكم الحق ، إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم » (يو ١٦ : ٧) .

إذ كان الرب يتهيأ ليغادر هذا العالم ، أعلن لتلاميذه أن رحيله سيكون ربحاً لهم ، لأن المعزى سيأخذ مكانه ، وسيكون بالنسبة لهم أفضل كثيراً مما لو كان هو معهم ، وسيحقق لهم ما يستطيعه هو بحضوره الجسدى ، وهذا بنوع خاص لسببين : أن عشرته معهم لم تكن قط دائمة بل تخللتها فترات كان يفترق فيها عنهم ، والآن سوف يفصل موته بينهم وبينه وسوف لا يرونه فيما بعد ، لكن الروح سيسكن فيهم إلى الأبد . كما أن رفقة الرب لهم كانت فى أغلبها من الخارج ، ولذا فلم تأت بالنتائج المتوقعة ، لكن الروح سيكون فيهم ، وسيكون مجيئه إليهم لأجل إقامة دائمة ، وفى قوة حضوره سيمتلكون يسوع أيضاً كنبع الحياة والقوة .

وأثناء وجود الرب على الأرض ، كان يتعامل مع كل واحد من تلاميذه على حده ، معاملة خاصة تتفق مع شخصيته والظروف الخاصة التى أحاطت به ، وكانت رفقته لهم إلى حد بعيد شخصية ، وقد برهن دائماً على أنه عرف قطيعه بأسمائهم ، وقد كان يرعى كلا منهم بالتدبير والحكمة التى تتفق تماماً مع أعوازه . فهل يمكن للروح أن يفى بهذه الحاجة أيضاً ، وأن يعيد لهم العطف والاهتمام الشخصى والمعاملات الخاصة الفردية التى جعلت قيادة يسوع لها قدرها ؟ إنه أمر لا يقبل الشك ، فكل ما نالوه فى رفقة يسوع لهم ، كان على الروح أن يرده فى قوة أعظم ، لتستمر البركة بلا توقف ، الأمر الذى سيجعلهم أكثر سعادة وأمناً وقوة مع يسوع الذى هو فى السماء الآن ، أكثر مما كان لهم فى أية مرة حين كان معهم على الأرض : إن البركة العظمى ، وجمال تلمذتهم لهذا السيد ، تنحصر فى أنه فى غنى حكمته وطول أناته كان يعطى كلا منهم عين ما

يحتاج إليه ، وأنه جعل كل واحد فيهم يشعر أن له فيه الصديق الأفضل . ولم يكن فى إمكانهم أن يتخلوا عن هذه الامتيازات ، لكن سكنى الروح ُقصد به أن يعيد لهم شركة المسيح وقيادته الشخصية لهم ، وصداقته الشخصية المباشرة مع كل واحد منهم .

ويبدو هذا بالنسبة للكثيرين أنه أمر بالغ الصعوبة فى إدراكه أو تصديقه ، فكم بالأكثر أن يختبروه . ففكرة مسيح يسير بين الناس على الأرض، يحيا معهم ويقودهم ، هى فى غاية السهولة ، لكن موضوع الروح الذى يسكن فى داخلنا خلف الستار ، ويتكلم إلينا ليس بأفكار واضحة ، ولكن فى أعماق الحياة الباطنة ، هذا ما يجعل قيادته أمراً بالغ الصعوبة .

ولكن مع ذلك فإن هذا الذى يجعل القيادة والشركة الروحية الجديدة أكثر صعوبة ، هو الذى يجعل لها البركة والاعتبار الاعظم . وهذا هو نفس المبدأ الذى نصادفه فى الحياة اليومية ، إن الأزمات تولد الإمكانيات ، وتقوى العزيمة ، وتبنى الشخصية ، وتصنع الرجال . عندما يتلقن الطفل علومه الأولى يحتاج إلى تدريب وتشجيع ، ولكن عندما يتدرج إلى ما هو أصعب يتركه المعلم لقدرته الشخصية ، وعندما يصبح شاباً يافعاً يغادر بيت أبويه ليواجه الحياة العملية وهو مزود بما سبق أن تلقنه وتشرب به من مبادىء . وفى كل حالة من الخير له أن العون الخارجى ُيمنع عنه وأن يواجه الصعاب بمفرده ، ليجبر على تطبيق الدروس النظرية التى سبق أن تعلمها ، وأن يترجمها إلى عمل . وفى الحقيقة يريد الله أن يعلمنا ويهذبنا لنصل إلى الإنسان الكامل الذى لا تتحكم فيه نواميس خارجية وإنما يسير بقوة الحياة الداخلية ، ففى كل الفترة التى قضاها يسوع مع تلاميذه على الأرض كان عليه أن يعمل من الخارج ليؤثر على الداخل ، ولما مضى عنهم أرسل الروح ليكون فيهم حتى يصبح الآن نموهم من الداخل للخارج ، فيسيطر أولا بروحه القدوس على مخادع النفس الداخلية ، وبواسطة الخضوع والتسليم الاختيارى لقيادته وإرشاده يتغيرون إلى صورته

يعمل روحه فيهم ، وبذا يصبح من السهل تشكيل حياتهم وصوغ شخصياتهم بقوة روح الله الذى أصبح فى حقيقة الأمر روحهم ، وبذا يشبون إلى أن يقدروا على الوقوف على أقدامهم ، ويستقلوا عن العون الخارجى ليشابهوا سيدهم ؛ الذى وهو إنسان كامل حقيقى ، له حياة فى ذاته ، ومع ذلك فهو يحيا فى الآب .

وطالما أن المؤمن يطلب فقط ما هو سهل وما يوافق رغباته فلن يمكنه أن يفهم أن الخير له ، وأنه بالحق أفضل لنا ، أن المسيح لم يبق على الأرض . ولكن حالما يغض بصره عن الصعوبات والتضحيات برغبة صادقة أن يصبح إنساناً بحسب الله ، تكتمل فيه الصورة الكاملة للابن البكر ، وفى كل شىء يحيا كما يرضى الله ، فإن فكرة رحيل يسوع ليصبح الآن روحه فينا ، وأن علينا أن نتدرب على حياة الإيمان ، مثل هذه الفكرة ينبغى أن تصادف قبولا منا بكل سرور وامتنان ، فإن كان اتباعنا لقيادة الروح بما فيه من تمتع بقيادة يسوع وصداقته الشخصية لنا ، إن كان هذا يعد طريقاً أصعب وأكثر خطورة مما لو كنا نتبعه على الأرض فيجب أن نتذكر الامتياز الذى نتمتع به ، والشرف الذى نلناه ، وارتباطنا الوثيق بالله . هذه كلها أعظم بما لا يقاس ، وبكل تأكيد تعد بركة تهون أمامها كل تضحية ، أن روح الله القدوس ، الذى حل بملئه على الرب فى أيام جسده ، يأتى ليحل فى أرواحنا مظهراً ذاته لنا ، وأن يكون لنا تماماً مثلما كان هو روح يسوع المسيح على الأرض ، وهذه هى بداية سكنى الله بنفسه فينا .

ولكن مجرد معرفتنا لهذا الامتياز ، ورغبتنا فى الحصول عليه بغيرة وحماس ، هذا لا يزيل الصعوبة . وهنا يعود يواجهنا هذا السؤال ثانية : لقد كان يسوع فى سيره مع تلاميذه على الأرض يتعامل مع كل واحد على حدة برفق ومحبة واهتمام ، فكيف يمكن أن تتحقق لنا نفس هذه المعاملة تحت قيادة الروح ؟ والجواب الأول : بالإيمان ، كما فى كل نواحى الحياة المسيحية . عندما كان يسوع على الأرض آمن به تلاميذه ، لكنهم ساروا معه بالعيان .

لكننا بالإيمان نسلك ، وبالإيمان ينبغي أن نقبل هذا القول الذي قاله يسوع وأن نسر به « خير لكم أن أنطلق » . ينبغي أن نصدق هذا القول وأن نقره . يجب أن نسر ونفرح أنه قد مضى إلى الآب ، ويجب أن نتعلم أن نشكره ونحمده لأجل دعوته لنا لنحيا هذه الحياة في الروح ، ويجب أن نؤمن أن في عطية الروح هذه يتحقق لنا حضور الرب وشركته معنا بصورة أكثر ضماناً وفاعلية ، وسيتم هذا بطريقة لا نقوى على إدراكها بعد لأننا قليلا ما آمنا في عطية الروح القدس وابتهجنا بها ، لكن الإيمان يجب أن يثق ويفرح فيما لم يفهمه بعد . فلنؤمن بكل يقين وفرح أن الروح القدس ، ويسوع نفسه بالروح القدس ، سيعلمنا كيف نتمتع برفقته وإرشاده .

سيعلمنا ! حذار من أن تسيء فهم هذه الكلمة ، فنحن دائماً نربط التعليم بالأفكار ، ونريد أن الروح يعرض علينا أفكاراً معينة محددة عن الكيفية التي بها سيكون يسوع معنا وفينا ، لكن ليس هذا ما يفعله الروح ، لأنه لا يسكن في العقل وإنما في الحياة ، ويبدأ عمله ليس فيما نعرفه ولكن فينا نحن أنفسنا . فلا يجب أن نطلب أو نتوقع إدراكاً واضحاً لأول وهلة ، أو استنارة جديدة لنفهم هذا الأمر أو أي حق إلهي ، فالمعرفة والفكر والشعور والعمل ، كل هذه جزء من ديانة الخارج التي كانت لأن وجود يسوع مع التلاميذ كان من الخارج . لكن قد جاء زمن الروح ليتحقق لهم حضور يسوع المستتر في أعماق ذواتهم التي هي أعمق من الفكر والشعور ، وأن تأتي الحياة الإلهية في قوة جديدة لتصبح هي حياتهم وأن يبدأ تعليم الروح ليس بكلام أو أفكار بل بقوة ، في قوة حياة تعمل فيهم في الخفاء بل وفي قوة إلهية ، في قوة إيمان يبتهج لأن يسوع بالحق قريب ، وأنه بالحق يتولى كل أمور الحياة وظروفها ، وأن الروح سيزودهم بإيمان يسوع الساكن فيهم . هذه هي بداية البركة ، إذ ستكون لهم حياة يسوع فيهم ، وهم بالإيمان سيعرفون أن الذي فيهم هو يسوع ، وسينتج حالا عن هذا الإيمان إحساسهم بحضور الرب في الروح القدس .

وبإيمان كهذا ـ الإيمان الذي يبثه الروح والذي ينتج عن وجوده وحياته

فينا - يصبح حضور يسوع حقيقة ، ولنا فيه كل الكفاية ، مثلما كان أثناء وجوده على الأرض . ولكن لماذا إذاً لا يختبر المؤمنون الذين أخذوا الروح هـذا الاختبار بصورة أكمل ومحسوسة ؟ والجواب فى غاية البساطة : لأنهم لم يعرفوا الروح أو يكرموه كما ينبغى . إنهم يؤمنون كثيراً بيسوع الذى مات أو الذى يملك فى السماء ، ولكن ما أقل إيمانهم بيسوع الذى يسكن فيهم بروحه . وهذا ما نحتاجه : الإيمان بيسوع الذى يحقق الوعد : « من آمن بى ، تجرى من بطنه أنهار ماء حىّ » . يجب أن نؤمن أن الروح القدس حاضر فينا كحضور ربنا يسوع المسيح ، ولا يجب أن يكون إيماننا إيماناً عقلياً ، يسعى لكى يقتنع بصدق أقوال المسيح ، لكن يجب أن نؤمن بالقلب ، القلب الذى يسكن فيه الروح القدس . إن كل هبات الروح ، وكل تعليم يسوع فيما يختص بالروح ، هو لأجل تأكيد القول : « ملكوت الله داخلكم » ، فإن كنا نريد إيمان القلب الحقيقى ، فلنتحول إلى الداخل ، وبكل هدوء واتضاع نخضع للروح القدس ليقوم هو بالعمل فينا .

ولكى ننال هذا التعليم وهذا الإيمان الذى يبنى بقوة الروح وبحلوله فينا ، فقبل كل شىء لنتحفظ جداً مما يعوقه ويعطله : إرادة وحكمة الإنسان ، فنحن لا زلنا نحاط بحياة الذات والجسد ، وفى خدمتنا لله ، بل وفى كل محاولة للسلوك بالإيمان ، تحاول الذات أن تتقدم وتعرض إمكانياتها ، لذا فإنه ينبغى أن كل فكر ، ليس فقط كل فكر شرير ، لكن كل فكر حتى لو كان صالحاً ، يحاول به العقل أن يسبق الروح ، مثل هذا ينبغى أن نستأسره للطاعة . فلنضع إرادتنا الذاتية وحكمتنا الذاتية عند قدمى يسوع ، وننتظر هناك فى إيمان وخشوع مقـدس ولا بد أن ينمو فينا الإحساس العميق أن الروح فينا وأن حياته الإلهية موجودة فينا وتتزايد . وعندما نكرمه هكذا ونذعن له ، عندما نخضع له كل مجهوداتنا الجسدية ونصبر له ، فلن يخجلنا ، ولكنه سيقوم بعمله فينا وسينهض بحياتنا الروحية . سيحيى إيماننا وسيظهر يسوع فينا ، وسوف نعرف خطوة أن حضور يسوع ورفقته الشخصية وقيادته هى لنا بنفس وضوحها وجمالها ، بل بأكثر قوة مما لو كان يسوع معنا على الأرض .

الروح يمجد المسيح

« خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ولكن إن ذهبت أرسله لكم ، . . . ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لى ويخبركم »
(يو ١٦ : ٧ ، ١٤)

يتكلم الكتاب عن تمجيد الابن بصورتين : أولا بواسطة الآب ، ثم ثانياً بواسطة الروح القدس . التمجيد الأول يتم فى السماء ، والثانى هنا على الأرض . فى الأول يتمجد « فى الله نفسه » وفى الثانى « فينا » (يو ١٣ : ٣٢ ، ١٧ : ١٠) . ويتكلم يسوع عن التمجيد الأول قائلا : « إن كان الله قد تمجد فيه (ابن الإنسان) فإن الله سيمجده فى ذاته ، ويمجده سريعاً » ، ومرة أخرى فى صلاته الشفاعية يقول : « يا أبتاه قد أتت الساعة ، مجد ابنك .. والآن مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك » . أما عن الصورة الثانية للتمجيد فيقول : « ذاك يمجدنى » ، و « أنا ممجد فيهم » .

وتمجيد الشيء معناه إبراز قيمته ، وإظهار ما فيه من إبداع . ويسوع ابن الإنسان يكون تمجيده عندما يحل فى طبيعته البشرية ملء القوة والمجد الذى يسكن فيه الله . لقد دخل بذهابه إلى السماء إلى حياة الروح الكاملة التى هى حياة الله ذاته . وقد سجدت كل ملائكة السماء للحمل الجالس على العرش ، وان يستطيع العقل البشرى أن يدرك أو يفهم بالحق مجد المسيح الروحى السماوى ، ولكننا نعرفه فقط عندما نختبره فى الحياة الداخلية ونصبح شركاء فيه . هذا هو عمل الروح القدس ، روح يسوع الممجد . إنه يأتى كروح المجد ، ويعلن مجد المسيح فينا بسكناه وعمله فينا . إنه يأتى ليسكن فينا فى حياة وقوة ذلك المجد الذى يسكن فيه المسيح الآن ، فيجعل المسيح يظهر بمجده أمامنا وفينا وبذا يمجده فينا وبنا أمام كل من له عين مبصرة . الابن لا يطلب مجد نفسه ، لأن الآب يمجده فى السماء ، والروح يمجده فى قلوبنا .

ولكن قبل أن يتم تمجيد المسيح هذا بالروح ، يجب أولا أن يمضى إلى السماء ، ويفترق عن تابعيه ، فهم لا يستطيعون أن يمتلكوه بالجسد والروح معاً ؛ ووجوده معهم بالجسد يمنع سكناه فيهم بالروح ، فعليهم أن يرتضوا أن يفترق عنهم المسيح الذى لهم الآن ، قبـــل أن يتم لهم قبول المسيح الممجد ليسكن فيهم بالروح القدس. والمسيح نفسه لا بد أن يضع أولا الحياة التى له ، قبل أن يتم تمجيده فى السماء أو فينا . ولكى يتم الاتحاد معه لا بد أولا أن نودع مستوى الحياة الذى عرفناه فيه ، إن كان لنا أن نراه ممجداً فينا بالروح القدس .

وإنى أشعر أن هذه النقطة هى التى عندها يحتاج الكثيرون من أولاد الله الأعزاء إلى هـذا التعليم : « خير لكم أن أنطلق » ، فهؤلاء قد آمنوا بيسوع نظير التلاميذ ، ويحبونه ويطيعونه ، وقد اختبروا الكثير من البركة التى لا يعبر عنها بسبب معرفته واتباعه ، ومع ذلك فهم يشعرون أن الراحة والفرح العميق والضياء السماوى والقوة الإلهية التى تنبع من سكناه الدائم ، كما يعرفون من كلمة الله ، هذه ليست بعد من نصيبهم . أحياناً يحصلون على بركات عظمى من شركة القديسين ، ومن تعليم خدام الله فى الكنائس والمؤتمرات ، وأصبح يسوع عزيزاً فى عيونهم ، ومع ذلك فهم يرون أنه لا تزال أمامهم مواعيد لم تتحقق ، وأعواز لم تسد تماماً . والسبب الوحيد الذى يمكن أن يعزى إليه ذلك أنهم لم يتحققوا بعد أن الوعد لهم . المعزى يمكث معكم ويكون فيكم ، « ذاك يمجدنى » . ولم يفهموا بعد كما ينبغى أن الخير من انطلاق يسوع عنهم هو لكى يأتى ثانيـة ممجداً فى الروح ولم يستطيعوا بعد أن يقولوا : « وإن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد ، لكن الآن لا نعرفه بعد » .

« معرفة المسيح حسب الجسد » يجب أن تنتهى ، لتفسح طريقاً لمعرفته فى قوة الروح . وحسب الجسد تعنى فى قوة الجسد ، بكلمات وأفكار ، بمجهودات وإحساسات ، بتأثيرات ومعونات تأتى من الخارج ، من الناس أو بأية وسيلة

أخرى والمؤمن الذى قبل الروح القدس ولكنه لا يعرف تماماً ما يتضمنه سكناه، وبذا لا يسلم بالتمام له ولقيادته، لا يزال إلى حد كبير يثق فى الجسد. ورغم أنه يعترف بأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً بدون الروح، لكنه لا يزال يعمل ويجاهد عبثاً ليؤمن ويحيا بحسب ما يظن أنه ينبغى أن يكون ورغم أنه يعترف بكل قلبه، وأحياناً يحصل على اختبار مبارك، أن المسيح وحده هو حياته وقوته، لكنه يحزن وينزعج كثيراً إذ يذكر فشله فى أن يستمر فى موقف الاتكال بكل ثقة، الأمر الذى معه يمكن للمسيح أن يحيا حياته فيه. إنه يحاول أن يؤمن بكل شىء يتعلق بقرب يسوع ورعايته وسكناه، ومع ذلك لم تزل هناك فترات متقطعة تحول دون الاستمرار، ويبدو كأن الإيمان ليس كما ينبغى. وقد يكون السبب أن الجزء الأكبر من الإيمان لم يزل من صنع العقل، وفى قوة الجسد، وفى حكمة الناس. حقاً إن المؤمن له معرفة عن المسيح الساهر الأمين، والصديق الرفيق، لكنه إلى حد ما، يتمسك بهذه المعرفة فى قوة الجسد والذهن الجسدى، ولذا أصبح هذا الإعلان بدون قوة، ولا تأثير له على الحياة، فسواء المسيح أو المسيح الممجد، أو عقيدة سكنى المسيح، فقد دخلت إلى حياة هى مزيج من الجسدى والروحى. لكن لنعلم أن الروح وحده هو الذى يستطيع أن يمجد المسيح، ويجب أن ننبذ ونقلع عن الطريقة القديمة التى بها عرفنا المسيح وآمنا به وامتلكناه. لا يجب أن نعرف المسيح فيما بعد حسب الجسد. « ذاك يمجدنى ».

ولكن ماذا يعنيه القول إن الروح يمجد المسيح؟ ما هو هذا المجد الذى يظهره الروح فى المسيح، وكيف يفعل ذلك؟ وما هو مجد المسيح الذى تدل عليه كلمة الله؟ نقرأ فى الرسالة إلى العبرانيين: « على أننا لسنا نرى الكل بعد مخضعاً له، ولكن الذى وضع قليلا عن الملائكة يسوع نراه مكللا بالمجد والكرامة »، « أخضع الكل له »، ومن ثم نرى أن الرب يربط بين موضوع تمجيده وبين إخضاع كل شىء له، « ذاك يمجدنى، لأنه يأخذ مما لى ويخبركم،

كل ما للآب هو لى ، لهذا قلت إنه يأخذ مما لى ويخبركم » ، « كل ما هو لى فهو لك وما هو لك فهو لى ، وأنا ممجد فيهم » ، « رفعه الله ، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ، أخضع كل شىء تحت قدميه ، وأعطاه اسماً فوق كل اسم ، لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة » ، « الملك والقوة والمجد للجالس على العرش إلى أبد الآبدين ، وللخروف الذى فى وسط العرش المجد والسلطان إلى الأبد » . لقد تمجد يسوع فى السماء عندما جلس على عرش المجد وأخضع كل شىء تحت قدميه (أف ١ : ٢٠ - ٢٢) .

فعندما يمجد الروح القدس يسوع فينا ، يعلنه لنا فى مجده هذا ، يأخذ مما للمسيح ويخبرنا ، ولا يكون ذلك بأن يقدم لنا تصوراً أو تخيلا أو رؤيا عن ذلك المجد كما هو فوق فى السماء ، لكنه يعطينا أن نحظى به كاختبار شخصى وكشىء نمتلكه ، وفى حياتنا الداخلية يجعلنا شركاء هذا المجد ، ويكشف عن حضور المسيح فينا . إن كل ما لنا من معرفة حية حقيقية عن المسيح هى بواسطة الروح القدس ، فعندما يولد المسيح فى قلوبنا ، وعندما ينمو ويشب إلى الإنسان الكامل ، وعندما نتعلم أن نثق فيه و نتبعه ونخدمه ، فكل هذا هو من الروح القدس ، لكن قد يحدث هذا - مثلما كان الحال مع التلاميذ - فى كثير من الجهل والفشل ، ولكن عندما يؤدى الروح عمله الكامل ويعلن الرب الممجد ، فإن عرش مجده يقام فى القلب ، وتوضع أعداؤه موطئاً لقدميه ، ويُخضع كل قوة له ويستأسر كل فكر لطاعته ، ويتردد فى كل أركان الطبيعة المتجددة صدى الترنيمة : « المجد للجالس على العرش » . ومع أنه سيظل الاعتراف صحيحاً إلى النهاية : « ليس ساكن فىّ أى فى جسدى شىء صالح » ، لكن حضور يسوع المقدس كالمتسلط والحاكم يملأ القلب والحياة حتى أن سلطانه يحكم كل شىء ، ولن تعود للخطية سيادتها ، « لأن ناموس روح الحياة فى المسيح قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت » .

فإن كان على هذا النحو يتمجد المسيح بالروح ، فمن السهل أن نرى الطريق

الذى يؤدى إلى ذلك المجد . إن تتويج يسوع الممجد يحدث فقط فى القلب الذى تعهد بالطاعة المطلقة بدون أى تحفظ ، الذى له الجرأة أن يؤمن أن أن المسيح سيأخذ سلطانه ويحكم ، وبهذا الإيمان يتوقع أن كل عدو سيوضع موطئاً لقدميه . إنه الإيمان الذى يشعر بالحاجة ويرغب فى أن يكون المسيح رباً على الكل ، وأن كل شىء فى الحياة ، كبيراً أم صغيراً يجب أن يكون فى سلطانه وتحت قيادته بروحه القدوس . إن وعد مجىء الروح هو للتلميذ المحب والمطيع ، وفيه يعمل الروح على تمجيد المسيح . وهذا يتم للمؤمن فى الوقت المعين ، فتاريخ الكنيسة يعيد نفسه فى كل مؤمن . وحتى يأتى الوقت المعين من الآب ، الذى جعل الأزمنة والأوقات فى سلطانه ، فإن الوارث يظل تحت أوصياء ووكلاء ولا يفرق شيئاً عن العبد . لكن فى الوقت المعين ، عندما يكمل الإيمان ، يأتى روح يسوع الممجد بقوة ليسكن فى القلب الذى يشتاق أن يكون يسوع متمجداً فيه بالروح . وبينما يعجز الفهم والشعور عن الإدراك والإحساس ، نجد الروح القدس يعلن مجده للإيمان الذى لا يعتمد على العيان ، بل يستمر واثقاً . فعين الجسد لا يمكن أن تبصره على العرش ، فهو بالنسبة للعالم سر مختوم . وهكذا عندما نتبين أنه ليس فينا سوى العجز والخلاء ، فإن الروح يعطينا بهدوء التأكيد الإلهى الذى يتبعه الاختبار المبارك ، أن المسيح الممجد قد أخذ مسكنه فينا . وفى سجود وخشوع تنال النفس يقيناً أن يسوع هو الرب ، وأن عرشه يتأسس بالبر فى القلب ، وأنه قد تم الوعد الآن عن الروح : « ذاك يمجدنى » .

الفصل الثاني عشر

الروح يبكت على الخطية

« لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ، ومتى جاء ذاك يبكت العالم ... على خطية » (يو ١٦ : ٧ و ٨) .

توجد علاقة وثيقة تربط بين العبارتين الواردتين فى كلام الرب المتقدم ، وهذه العلاقة يسهل عادة اغفالها . فقبل أن يبكت الروح القدس العالم على الخطية لا بد أن يحل أولا على تلاميذ الرب . يجب أن يجعل سكناه ويأخذ مقره فيهم ، ومن هناك يقوم بعمل تبكيت العالم . « يشهد لى وتشهدون أنتم أيضاً » . فيجب أن يعرف التلاميذ أن عمل الروح القدس العظيم لأجل خلاص الإنسان وتبكيت العالم على الخطية يمكن أن يؤدى عندما تكون له إقامة دائمة على الأرض فيهم . لا بد أن يتعمدوا بالروح القدس والنار ، أن يقبلوا القوة من الأعالى ، لا لشىء سوى أن يكونوا قنوات بها يتمكن الروح القدس من الوصول للعالم . إن قوة الروح المقتدرة تسكن فيهم وتعمل بهم للتبكيت على الخطية ، ولأجل ذلك أراد الرب أن يهيئهم وإيانا بهذه الكلمات التى تقدم لنا دروساً فى غاية الأهمية :

(١) الروح القدس يحل فينا لكى يصل إلى الآخرين بواسطتنا :

الروح هو روح الإله القدوس ، روح الله الفادى ، وبدخوله فينا لا يغير طبيعته أو يفقد صفاته الإلهية ، فلم يزل هو روح الله الذى يجاهد مع الإنسان لأجل خلاصه . وحيث لا يعاق عمله بسبب الجهل أو الأنانية ، فإنه من القلب الذى اتخذه هيكلا له ، يمارس عمله الذى على عاتقه إزاء العالم ، ويعطى ذلك القلب الإرادة والجسارة للقيام بهذا العمل أن يشهد ضد الخطية ، وعن يسوع الذى يخلص من الخطية . وهو بنوع خاص يقوم بهذا العمل بصفته روح المسيح المصلوب والممجد . أليس لهذا قد حل عليه الروح ليس بكيل ؟! « روح

الرب على لأنه مسحنى لأبشر المساكين ، لأنادى الماسورين بالاطلاق » . إنه نفس هذا الروح ـ بعد أن قدم المسيح نفسه لله به ، وبه كروح القداسة قد أقيم من الأموات ـ الذى أرسله إلى المؤمنين ليكون للروح الآن منزلا فيهم مثلما كان فيه هو . إن روح الله فيهم سيتم عمله الإلهى بصورة تختلف عما كان فيـــه هو ، وكنور يشرق فى داخلهم يبدد الظلمة ويبكت على الخطية ، وبالنسبة للعالم يتم قوله : « متى جاء ذاك يبكت العالم » . ففينا وبنا يستطيع الروح أن يصل للعالم .

(٢) لا يستطيع الروح أن يصل إلى الآخرين فينا إلا بعد أن يجعلنا فى توافق تام معه ، فيدخل فينا ليكون واحداً منا ، ويصبح حياة فينا ، ويجعل فكره فينا . يضحى عمله فينا ، وفى الآخرين بواسطتنا ، هو نفسه عملنا .

إن تطبيق هذا الحق على التبكيت على الخطية هنا فى العالم هو أمر عظيم الأهمية ، فكلمات الرب كثيراً ما تنطبق على المؤمنين من حيث التبكيت المستمر على الخطية الذى سيعمله دائماً فيهم ، وهذا هو المعنى الذى يتفق تماماً مع كلمات الرب . وهذا العمل الأول الذى يقوم به الروح يظل حتى النهاية أساس كل عمل للتعزية أو التقديس . إنه فقط بحفظه الإحساس المرهف بخطورة وعار العودة للخطية ، أن النفس تُحفظ فى اتضاع أمام الله مختبئة فى يسوع الذى هو وحده أمنها وقوتها ، والروح القدس إذ يعلن لنا ويضع فينا حياة المسيح المقدسة ، فإن النتيجة الأكيدة ستكون شعوراً أعمق بطبيعة الخطية ، لكن الكلمات تعنى ما هو أعمق ، فإن كان الروح سيبكت العالم على الخطية ، بنا وبشهادتنا ، سواء بالكلام أو بالسلوك ، فلابد أولا أن يبكتنا نحن . ينبغى أن يعطينا نحن أنفسنا أن نرى ونحس بذنب العالم بسبب عدم إيمانه ورفضه لمخلصنا ، أن نرى ونحس بثقل كل خطية ، من حيث أنها هى سبب وبرهان وثمرة هذا الرفض ، حتى بحسبما يكون تفكيرنا وإحساسنا متفقاً مع فكره وإحساسه من جهة الخطية أننا حينذاك نصبح مستعدين فى الداخل ليعمل الروح فينا ،

وفى الداخل تتحد شهادتنا بشهادته ضـــد الخطية ، وعن الله ، وتصل هذه الشهادة الموحدة إلى الضمير فتعمل عملها للتبكيت بقوة من الأعالى .

وا أسفاه ! ما أسهل علينـا أن نحـكم على الآخرين فى قوة الجسـد ، وفى الروح التى لا تبصر الخشبة فى عيوننا ، أو إن كنا حقاً نخلو مما ندين الآخرين عليه ، لـكننا فى قرارة نفوسنا نردد القول : « قف عندك . لا تدنو منى لأنى أقدس منك » . فإما نشهد ونخدم بروح خاطئة أو بقوتنـا الذاتية ، وإما لا تتوفر لدينا الشجاعة لنفعل ذلك اطلاقاً . هـــذا لأننا نبصر خطايا الآخرين وشرورهم ، ولـكننا نخلو من التبكيت الصادر عن الروح القدس . وهو عندما يثقلنا بخطايا العالم فإن عمله يتميز بعلامتين : الأولى إنكار للذات بدافع الغيرة لله ولمجده ، مقترن بحزن عميق واشفاق على الخطاة ، والثانية هى إيمان عميق قوى فى إمكانية التحرر ، فنرى الخطية أنها بغيضة جداً فى تعديها الرهيب على ناموس الله ، وتسلطها البشع على النفوس المسكينة . نرى الخطية وقد أدينت ، وكفر عنها ، وطردت خارجاً ، وهزمت فى يسوع . ونتعلم أن ننظر إلى العالم كما ينظر إليه الله القدوس ، فنبغض الخطية كل البغضة ، ونحبه بتلك المحبة التى بها أعطى الله ابنه ، وقدم الابن حياته ليبطل الخطية ويرسل أسراها فى الحرية .

(٣) يحتاج المؤمن ليكون له هذا الروح المبكت على الخطية ، لا أن يصلى طلباً له فحسب ، وإنما أن يضع حياته كلها تحت قيادة الروح القدس ، ونحن لا نستطيـع أن نـكف عن القول بأن مواهب الروح المختلفة تعتمد كلها على أساس سكناه بشخصه وسيطرته على منابع الحياة من الداخل ، واعلان المسيح فينا الذى قدم نفسه لـكى يبطل الخطية . وعندما فاه الرب بهذه الـكلمة التى لا نقوى على استقصاء كل معناها : « يكون فيـكم » ، فقد فك بذلك الختوم عن أسرار الروح التى تختص بتعليمه وتقديسه وتزويده إيانا بالقوة . الروح هو حياة الله ، وهو إذ يدخل فينـا ، ويصبح حياتنا ، ويعطى الفرصة ليدفع الحياة ويحركها ، يصبح قادراً أن يعمل فينـا كل ما يريد . إنه أمر مفيـــد

ومرغوب فيه أن نلفت انتباه المؤمن للأعمال المختلفة التى يجريها الروح حتى لا يهمل أو يخسر شيئاً بسبب الجهل أو عدم المعرفة ، ولكنها ضرورة حتمية أننا مع كل استنارة جديدة عما يستطيع الروح أن يفعله نزداد تمسكاً بهذا الحق ، ونحفظ الحياة فى الروح ، وسوف لا تمتنع البركة التى نحتاج إليها .
فهل تريد أن يكون لديك هذا التبكيت الروحى العميق على خطايا العالم ؟ وأن تحس بما لها من سلطان رهيب ، وبدائها المستفحل ، مثل هذا الاحساس الذى به تؤهل لتكون الإنسان الذى به يستطيع الروح أن يبكت الخطاة ؟ عليك أن تخضع حياتك كلها وكيانك للروح القدس . فدع هذه الحقيقة عن قرب وسكنى روح الله فيك تهديء فكرك وقلبك وتقودك إلى سجود فى اتضاع وخوف ، وأخضع له العدو الأكبر الذى يقع أمامه ـ الجسد وحياة الذات ـ ليميته ويبقى عليه فى حكم الموت ، ولا تهدأ أو تستريح حتى تمتلىء بروح المسيح الذى إذ كان فى مجد هذا مقداره قد سلم نفسه للموت ليرفع الخطية ، ويجعل كل الكيان والأفعال تحت سلطانه وقيادته . وحين تكون حياتك فى الروح صحيحة قوية ، وحين ينتعش كيانك الروحى ، فعيناك ستبصران بأكثر وضوح وجلاء ، وسيصبح قلبك أكثر حساسية للخطية حولك ، وتغدو أفكارك واحساساتك هى أفكار واحساسات الروح الذى فيك ، وهذا الاحساس المرهف للخطية ، والإيمان العميق فى قوة الخلاص من الخطية ، والمحبة القوية للنفوس التى تعيش فيها ، واستعدادك كسيدك أن تموت إن كان هذا يؤول إلى خلاص الناس من الخطية ، كل هذه ستؤهلك لأن تكون الأداة المناسبة التى بها يبكت الروح العالم على خطيته .

(٤) يجب أن يحل الروح القدس فينا بصفته المبكت للعالم على خطيته .

« أرسله إليكم ، ومتى جاء يبكت العالم » . قدم نفسك له فيجعلك ترى وتحس وتثقل بخطايا من هم حولك ، فلتكن خطايا العالم موضع اهتمامك ، كاهتمامك بخطيتك الشخصية . ألا تسبب الإهانة لله تماماً كخطاياك ؟ ألم تدخل فى حساب

عمل الفداء العظيم بنفس المقدار ؟ أليست هى رغبة الروح الذى فيك أن يبكت العالم أيضاً على خطاياه ؟ فكما أن الروح القدس قد حل فى يسوع وهو فى الجسد ، وسكن فى طبيعته البشرية ، وكان هو الدافع لكل ما كان يحس به ويقوله ويفعله ، وكما أن الله قد أتم فيه مشيئته المقدسة ، فهكذا الآن يسكن الروح فى المؤمنين . إنهم مكان سكناه ، فالسبب الوحيد الذى لأجله جاء المسيح للعالم ، والذى لأجله يوجد الروح القدس الآن هو ليهزم الخطية ويكسر شوكتها ، وهذه هى الغاية العظمى التى لأجلها أعطيت معمودية الروح والنار ، لكى يبكت الروح على الخطية ، ويحرر من سلطانها . فلتكن خطية العالم موضوع اهتمامك . انظر إليها فى محبة وإيمان يسوع المسيح وأنت على استعداد لتقديم العون للمحتاج والمسكين . قدم نفسك كبرهان عن حقيقة إيمانك فى المسيح بأن تسلك كما سلك هو . وبذا يقوم الروح بعمله لتبكيت العالم على عدم إيمانه . اطلب الاختبار الكامل لسكنى الروح ، ليس لأجل تمتعك الشخصى به ، ولكن لأجل هذه الغاية الوحيدة ، أن يتمم إرادة الله فيك كما تممها فى المسيح . عش فى رباط المحبة مع غيرك من المؤمنين ، للعمل والصلاة لأجل خلاص الناس من الخطية ، « وحينئذ يؤمن العالم أن الآب قد أرسله » . فحياة المؤمنين فى المحبة ، التى لا تطلب ما لنفسها ، هى التى تثبت للعالم أن المسيح حقيقة ، وهكذا يتبكت على خطية عدم الإيمان .

إن استقرار الإنسان فى حياته ، وخاصة فى عمله ، يعتمد كثيراً على توفير المكان المريح . وعندما يجد الروح القدس فى أى مؤمن أنه قدم له القلب بجملته خالياً مما يشغله ليكون له منزلا ليملأه بفكر الله من جهة الخطية ، وقوة الله للفداء ، فإنه بإنسان كهذا يستطيع أن ينجز عمله . ثق تماماً أنه ليس ما يضمن نوال المقياس الكامل للروح أكثر من أن نكون خاضعين له ، ليجعل نفس فكر المسيح من جهة الخطية يعمل عمله فينا . لقد « أبطل الخطية

بذبيحة نفسه ، بروح أزلى ، وهو يريد أن الروح يكون فينا بنفس الصورة التى كان عليها فيه ، ويجب أن يتحقق فينا نفس المقياس الذى تحقق فيه .

أيها المؤمنون ، هل تبتغون ملئاً بالروح القدس ؟ فاعلموا هذا يقيناً أن الروح القدس يحل فيكم ليبكت العالم على الخطية ، فإن كنتم تتفقون معه تماماً فى هذا الفكر ، وإن رأى أنه يستطيع أن يستخدمكم لأجل هذا الغرض ، وإن كنتم تعتبرون عمله هو عملكم ، فلكم أن تثقوا أنه سيسكن فيكم بغنى ويعمل فيكم بقوة واقتدار . إن الغاية الوحيدة التى لأجلها جاء المسيح هى أن يبطل الخطية ، والعمل الوحيد الذى يهدف إليه الروح فى تعامله مع الناس هو أن يدفعهم أن يتركوا الخطية . والغاية الوحيدة التى لأجلها يحيا المؤمن هى الاشتراك فى الحرب ضد الخطية ، أن يطلب إتمام إرادة الله واظهار مجده . إذاً فلنتحد مع المسيح وروحه فى شهادتهما ضد الخطية . إن اظهار حياة المسيح واستعلان روحه ستكون له نتائجه . ستظهر القداسة والفرح والمحبة والطاعة للمسيح التى ستبكت العالم على خطية عدم الإيمان . وحضور المسيح فينا بروحه سيكون له تأثيره المبكت . وكما أنه بموت المسيح وتكفيره عن الخطية بذبيحة نفسه قد دخل إلى مجده فى قوة الروح ، فهكذا يصبح اختبارنا عن سكنى الروح كاملا حالما نسلم له حياتنا بجملتها ليعمل بها عمله المقدس لتبكيت العالم على الخطية .

إنتظار الروح

« وأوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذى سمعتموه منى » (أع ١ : ٤) .

كان الانتظار كلمة محبوبة لدى قديسى الله فى العهد القديم ، عبروا بها عن حالة نفوسهم بالنسبة لله ، فعرفناهم ينتظرون الله ويصبرون له . ونقرأ هذه الكلمة فى الأسفار الإلهية المقدسة ، أحياناً فى صورة اختبار : « نفسى تنتظر الرب » ، « إنتظرتك يا رب ، إنتظرت نفسى » . وبالنسبة للآخرين كانت فى صورة توسلات : « إياك انتظرت اليوم كله » ، « يا رب تراءف علينا ، إياك انتظرنا » . وأحياناً كثيرة كوصية للتشجيع على المثابرة فى عمل صعب : « إنتظر الرب ، ليتشدد وليتشجع قلبك وانتظر الرب » ، « إنتظر الرب واصبر له » . ومرة أخرى نسمعها كشهادة عن بركة هذا الاختبار : « طوبى لجميع منتظريه » ، « منتظرو الرب يجددون قوة » .

هذا التعليم المبارك عن الانتظار ، واختبار القديسين الذين سبقونا ، يذكرهما الرب معاً فى كلامه عن موعد الآب بمجىء الروح القدس . وهذا الذى كان جزءاً من أعماق كيانهم ، وفى أساس عقيدتهم وأحاديثهم ، لا بد أن يكون له الآن تطبيق جديد وأسمى . لقد انتظروا الله لأجل استعلانه لهم ، سواء بإشراقة من محياه على نفوسهم ، أو بتدخله بطريقة أو بأخرى لأجل خلاصهم ، أو بتنازله لإتمام مواعيده لشعبه ، وهكذا ينبغى أن ننتظر نحن أيضاً . ولكن الآن بعد أن أعلن الآب نفسه فى الإبن ، وقد أكمل الإبن عمل الفداء العظيم ، يجب أن يتركز الإنتظار فى طلب إتمام الوعد العظيم الذى به تستعلن لنا وفينا محبة الآب ونعمة الإبن ، ذلك الوعد الخاص بموهبة وسكنى وملء الروح القدس ، فيصبح إنتظارنا للآب والإبن هو لأجل إنسكاب متزايد مستمر وإظهار أعمال الروح القدس المبارك ، وننتظر الروح المبارك ليقودنا

ويزودنا بالقوة ، ويعلن الآب والإبن فينا ، ولكى يقدسنا ويثقلنا بالخدمة التى دعانا الآب والإبن إليها .

« أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم ، بل ينتظروا موعد الآب الذى - كما قال - سمعتموه منى » . قد يسأل سائل : هل هذه الكلمات تشير فقط إلى إنسكاب الروح فى يوم الخمسين ؟ والآن بعد أن أعطى الروح للكنيسة ، هل تستمر هذه الوصية سارية المفعول ؟ وقد يعترض آخر قائلا : بالنسبة للمؤمن الذى له الروح القدس فى داخله قد يكون إنتظار وعد الآب لا يتفق مع الإيمان وفرح اليقين بأن الروح قد سبق أن نلناه وأنه يسكن فينا الآن .

والسؤال والإعتراض كلاهما يتيحان لنــــا الفرصة لنتعلم درساً فى غاية الأهمية ، أن الروح القدس لا يعطى لنا كشىء يمتلك ، ليكون فى حيازتنا وعهدتنا ، ولنا عليه سلطان ، ونملك حرية التصرف فيه . كلا ، فالروح القدس قد أعطى لنا ليكون سيداً علينا ولكى يتعهدنا بالعناية . فليس نحن الذين لنا أن نستخدمه ، لكن هو الذى يستخدمنا . حقاً إنه لنا ، ولكنه لنا بحسب الله ، وموقفنا إزاءه هو الاتكال الكلى العميق عليه ، الذى له أن يعطى كل واحد « كما يشاء » . حقاً إن الآب قد أعطانا الروح ، ولكنه لا يزال هو روح الآب ، وطلبنا إياه لكى يعمل ، ولكى يعطينا الآب أن نتأيد بالقوة بروحه ، يجب أن يكون مصحوباً بانتظار حقيقى محدد ، وكأننا نطلبه لأول مرة . وحينما يعطى الله روحه فهو إنما يعطى ذاته ، ويعطى فى قوة الحياة الأبدية المستمرة ، التى تتدفق بدون توقف وحين قدم يسوع لكل من يؤمن به الوعد بينبوع متدفق دائماً ، وأنهار ماء تنبع إلى حياة أبدية ، لم يكن يقصد أن إيماننا به مرة يجعلنا مالكين للبركة ومستقلين بها ، ولكنه كان يقصد حياة الإيمان التى لهـا القدرة المستمرة على قبول البركة ، والتى تستطيع دائماً أن تملك عطاياه بواسطة الإتحاد الحى به . ومن ثم نجد هذه الكلمة الثمينة - الإنتظار - ، « أوصاهم أن لا يبرحوا » ، بكل معناها المبارك الذى تشهد عنه إختبارات الماضى ، قـــد

نسجت فى طيات عهد الروح الجديد . إن كل ما فعله التلاميذ وأحسوا به فى تلك الأيام العشرة التى قضوها فى الانتظار ، وكل ما نالوه كبركة ومكافأة عن الانتظار هى كمعالم توضح لنا الطريق ، وهى العربون لحياة الروح التى نستطيع أن نحيا فيها . إن ملء الروح والانتظار بحسب وعد الآب ، يقترنان دائماً معاً بلا إنفصال .

وألا نجد فى هذا جواباً عن السؤال : لماذا يوجد كثيرون من المؤمنين لم يختبروا إلا القليل عن فرح وقوة الروح القدس ؟ إنهم لم يتعلموا أبداً أن ينتظروا الوعد ، ولم يصغوا باهتمام لكلمات سيدهم التى ودعهم بها إذ أوصاهم أن ينتظروا موعد الآب . لقد سمعوا الوعد ، والتهبت قلوبهم حنيناً إليه ، وظلوا يطلبونه فى صلوات وتوسلات حارة ، وبسبب النقص الذى أحسوا به كانوا يذهبون آنين مثقلين . ولقد حاولوا أن يتمسكوا بالوعد ، وأن يمتلؤا بالروح ، ولكنهم لم يعلموا قط أن عليهم فى كل هذا أن ينتظروا ، ولم يرددوا القول ولا استمعوا إليه : « طوبى لجميع منتظريه » ، « منتظرو الرب يجددون قوة » .

ولكن ما هو هذا الإنتظار ؟ وكيف يكون إنتظارنا ؟ إنى بالروح القدس أتطلع إلى الله ليعلمنى بأبسط طريقة ممكنة ما يعين ابناً من أبنائه على إطاعة وصيته . ودعنى أقول أولا إنك كمؤمن عليك أن تنتظر الإستعلان الكامل لقـــوة الروح فيك . فى صبيحة يوم القيامة نفخ يسوع فى تلاميذه وقال : « إقبلوا الروح القـدس » ، فـكان عليهم إذاً أن ينتظروا ملء معمودية النار والقوة . وأنت كابن لله لك الروح القـــدس . إدرس الفصول الكتابية من الرسائل الموجهة إلى مؤمنين لهم سقطاتهم وخطاياهم الكثيرة (١ كو ٣ : ١ - ٣ ، ١٦ و ٤ : ١٩ ، ٢٠ وغل ٣ : ٢ ، ٣ و ٤ : ٦) . إبدأ بالإيمان البسيط فى كلمة الله لتربى فى نفسك الثقة واليقين أن الروح القدس يسكن فيك ، فإن كنت لست أميناً فى القليل فلا تتوقع الكثير . إعترف بإيمان وشكر أن الروح القـدس فيك ، وفى كل مرة تدخل فيها إلى مخدعك لتتكلم مع الله ، إجلس

أولا هادئاً لتتذكر وتزداد ثقتك أن الروح فى داخلك كروح الصلاة الذى يصرخ فيك إلى الآب. تراءى أمام الله واعترف له، حتى تزداد هذه الحقيقة رسوخاً فى نفسك، أنك هيكل للروح القدس.

الآن أنت فى الوضع الصحيح الذى يؤهلك أن تخطو الخطوة الثانية، وفيها تطلب من الله ببساطة وهدوء أن يعمل بروحه القدوس فى داخلك. الروح فى الله، وهو فيك أيضاً. أطلب من الآب الذى فى السماء أن يرسل روحه المقتدر فى حياة وقوة أعظم. وهو، حينئذ، كالروح الساكن فيك، سيعمل فيك بأكثر قوة. وبينما تطلب ذلك على أساس الوعود، أو مستنداً على وعد معين، فثق أنه يسمع وأنه سيفعل ذلك أيضاً. لا يجب أن تفتش فى داخلك عما إذا كنت تحس بشىء أم لا، فقد لا يكون هناك سوى البرودة والظلمة، لكن واجبك أن تؤمن، وأن تستريح على ما ينوى الله أن يفعله فيك، بل على ما هو يعمله فعلا حتى لو لم تحس به.

وعندئذ يأتى دور الإنتظار، انتظر الرب، إنتظره لأجل الروح، وفى هدوء كامل سكن نفسك أمامه، وإعط للروح القدس فرصة ليحيى ويعمق فيك اليقين أن الله سيعمل فيك بروحه بقوة. إننا «كهنوت مقدس لتقديم ذبائح روحية». كان ذبح الذبائح جزء هام من الخدمة، فكل ذبيحة يؤتى بها لا بد أن تذبح. لا بد من الخضوع وتسليم النفس لحكم الموت. وعندما ننتظر أمام الله فى خشوع وسكوت، فإنه يرى فى هذا إعترافاً منا بالإفلاس، فلا حكمة أو معرفة بما نصلى لأجله كما ينبغى، ولا قوة للعمل المنتج. ويعد الانتظار تعبيراً عن الحاجة والنقص، وفى كل مراحل الحياة المسيحية يسير هذان معاً: الشعور بالفقر والضعف مع الفرح بالقوة والغنى الذى لا يستقصى. وفى الانتظار أمام الله تنحنى النفس بسبب إفلاسها، ثم تمضى مرفوعة الوجه فى يقين أن الله قد قبل ذبيحتها وسوف يتمم رغباتها.

وبعد أن تكون النفس قد إنتظرت على هذا النحو أمام الله، فلها أن

تتقدم فى حياتها اليومية أو فى تحمل أعبائها الخاصة التى تنتظرها ، ولها إيمان أنه سيسهر على إنجاز وعده وتحقيق توقع إبنه . فإن كنت تسكب نفسك فى الصلاة ، أو تقرأ الكلمة ، بعد أن تكون قد إنتظرت الروح بهذه الطريقة ، فافعل ذلك واثقاً أن الروح فيك يوجه صلاتك وينير ذهنك للمكتوب . وحتى لو أثبت الواقع غير ذلك ، فكن واثقاً أن هذا إنما ليدفعك إلى الإيمان البسيط ، وللخضوع الأكمل .

لقد تعودت السجود فى قوة الجسد والذهن الجسدى ، مما يجعل السجود الروحى الحقيقى لا يتحقق سريعاً ، ولكن عليك أن تنتظر . « أوصاهم أن لا يبرحوا » . إستمر فى حالة الإنتظار فى حياتك اليومية ، وفى ممارسة أعمالك . « إياك انتظرت اليوم كله » . إنى أتكلم هنا عن الله الواحد المثلث الأقانيم . إن الروح هو الذى يقربنا منه ويصيرنا متحدين به ؛ ففى كل يوم جدد إنتظارك لله واسع دائماً أن تربى فى نفسك عادة الإنتظار . أما إندفاع الكلمات والتحمس العاطفى فكثيراً ما كان عائقاً أكثر منه مساعداً ، فعمل الله فينا يتميز بالعمق والروحانية ويحمل ضمان بقائه واستمراره . إنتظر الوعد فى كل ملئه ، ولا تحسبه وقتاً ضائعاً الذى تصرفه فى هذا الإعتراف المبارك بجهلك وإفلاسك ، وبإيمانك وانتظارك وخضوعك الحقيقى الكامل للروح القدس . إن اختيار يوم الخمسين قُصد به أن يكون لكل الأجيال برهاناً عما يستطيع يسوع الممجد أن يفعله لأجل كنيسته وهو على كرسى مجده ، والعشرة الأيام فى الإنتظار قُصد بها أن تقدم لكل الأجيال صورة الوضع الذى يجب أن نكون عليه أمام العرش ، لكى نضمن إستمرار بركة يوم الخمسين .

أخى ! إن وعد الآب مضمون . ويسوع هو الذى يضمن تحقيقه لك ، والروح نفسه يعمل فيك الآن ، والإمتلاء والإرشاد الكاملان هما من نصيبك ، فليتك تحفظ وصية سيدك ! إنتظر الله . إنتظره لأجل الروح . « إنتظر الرب » . « طوبى لجميع منتظريه » .

الفصل الرابع عشر

روح القوة

« وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير . . .
ستنالون قوة متى حـل الروح القـدس عليـكم وتـكونون لى شهوداً »
(أع ١ : ٥ ، ٨) .

«أقيموا فى مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالى» لو ٢٤ : ٤٩).

سمع التلاميذ يوحنا المعمدان يتـكلم عن معمودية الروح ، وتـكلم يسوع أيضـاً إليهم عن الروح عطية الآب للذين يسألونه ، وعن روح أبيهم الذى سوف يتـكلم فيهم ، وفى الليلة الأخيرة تـكلم إليهم عن الروح الذى سيسكن فيهم ، عندما يأتى إليهم ليبكت العالم . كل هـذه الأفـكار عما سيحدث بمجىء الروح القدس هذا ، قد إقترنت فى أذهانهم بالعمل الذى سيقومون به ، والقوة اللازمة له . وهذا الوعد الذى ضمنه الرب كل تعليمه : « ستنالون قوة متى حل الروح القـدس عليكم وتكونون لى شهوداً » كان يتضمن أيضاً كل ما تطلعوا إليه وتعلقت أنظارهم به ، من قوة إلهية جديدة للعمل الإلهى الجديد إذ صاروا شهوداً ليسوع المصلوب والمقام .

كان هذا يتفق تماماً مع كل ما عرفوه من الكتب المقدسة عن عمل الروح ، ففى الأيام التى قبل الطوفان جاهد الروح مع البشر العصاة ، وأيام موسى أهله الروح هـو والسبعين الذين معه الذين أعطـاهم من روحه ، لـكى يقضوا بين الشعب ويرشدوه ، كما أعطى حكمة لبناة بيت الله ، وفى أيام القضاة أعطى القوة للحرب والغلبة على الأعداء ، وفى زمن الملوك والأنبياء أعطى جرأة للشهادة ضد الخطية ، وقوة لإعلان الفداء المرتقب . وفى كل مرة ذكر فيها الروح فى العهد القديم ، كان هـذا مقترناً بتمجيد الله ، وبملكوته ، ولـكى يهىء للخدمة لنفس هـــذا الغرض وفى النبوة العظيمة التى إستهل بها إبن الله خدمته فى الناصرة ، عن المسيا الذى قد مسحه الروح ، كان لهذه المسحة هدف واحد ،

لكى يطلق المنسحقين فى الحرية ، ولكى يعزى النائحين . والتلاميذ باعتبارهم دارسين للعهد القديم وتابعين ليسوع المسيح ، فهموا أن الوعد بمجيء الروح لا يمكن أن يحمل سوى هذا المعنى : التأهيل للعمل العظيم الذى عهد إليهم أن يقوموا به لأجل السيد ، بعد صعوده وجلوسه عن يمين الآب . أما الصلة الشخصية لروح الله بكل منهم ، للتعزية والتعليم ، تقديس النفس وتمجيد يسوع ، فلم يكن الغرض منها إلا تحقيق غاية ، أعنى بها تزويدهم بالقوة لخدمة الرب الذى صعد عنهم .

ليت كنيسة المسيح تدرك هذه الحقيقة فى أيامنا هذه ! فكل صلاة ترفع لطلب إرشاد روح الله ، والتعزية لأولاد الله ، يجب أن تكون غايتها التأهيل للشهادة للمسيح والقيام بخدمة مثمرة لإخضاع العالم له . الروح القدس هو قوة الله العظيمة ، الروح هو قوة الفداء الإلهى العظيمة . هذه القوة تنبع من عند عرش الله ، وهل نتصور أن الله يبعثر هذه القوة على أولئك الذين يطلبونها فقط لأجل أنفسهم ، لرغبتهم أن يظهر عليهم جمال القداسة والحكمة والصلاح ؟ ! كلا مطلقاً ، إن الروح القدس يعطى قوة من الأعالى لإتمام العمل العظيم الذى لأجله ترك يسوع عرشه وضحى بحياته ، والغرض الأساسى من نوال هذه القوة هو أن نوجد فى حالة إستعداد ، وأن نكون مستعدين للقيام بالعمل الذى جاء الروح ليتممه .

« تكونون لى شهوداً » . تحتوى هذه الكلمات الغنية بالمعانى الإلهية العميقة ، على أكبر وصف كامل لعمل الروح وعملنا ، العمل الذى يحتاج ليس إلى أقل من قوة إلهية ، العمل الذى يعد ضعفنا أنسب شىء له . ولا يوجد ما هو أعظم فى تأثيره من الشاهد الأمين ، أما الطلاقة والبلاغة التى يتقنها بعض الناس فلا مكان لها هنا ، فليس أسهل علينا من أن نخبر بما رأينا وسمعنا ، أو ربما فى صمت أبلغ من الكلام نشهد بالتغيير الذى قد حدث فينا . لقد كان هذا هو العمل العظيم الذى قام به يسوع نفسه . « لهذا قد ولدت أنا ، ولهذا قد أتيت

إلى العالم لأشهد للحق » ، ومن هـذا نفهم كما تعبر الكلمات فى بساطة وسهولة ، أننا نحتاج إلى قوة الروح العظيمة لنكون شهوداً ليسوع ، وهـذا هو الغرض الذى لأجله أرسل الروح لـكى يحققه فينا ، وإن كنا نريد أن نشهد ليسوع فى قوة الحيـــاة الأبدية ، فى قوة الدهر الآتى ، فى قوة من الأعالى ، أن نشهد ليسوع الذى يملك فى السماء الآن ، فإننا نحتاج ليس إلى أقل من القوة الإلهية للحياة السماوية ، لأجل تأييد شهادة أفواهنا وشهادة حياتنا .

الروح القدس يجعلنا شهوداً لأنه هو نفسه يشهد ، قال يسوع عنه : « هو يشهد لى » ، وعندما ألقى بطرس عظته يوم الخمسين متكلماً عن المسيح أنه صعد إلى السماء وأخذ من الآب موعد الروح القدس ، وسكبه عليهم ، فهو إنما كان يتكلم بما أعلن له به ، فالروح القـدس شهد له وفيه عن مجـد سيده . وشهادة الروح هـذه عن قوة المسيح وحقيقة وجوده أعطت بطرس الجرأة والقوة ليتكلم أمام المجلس قائلا : « جعله الله مخلصاً ورئيساً ونحن شهود له بهذه الأمور والروح القدس » ، وإنه بقدر ما يصير الروح القدس ، فى قوة وحياة إلهية ، شاهداً لنا بما ليسوع من مجـد الآن ، فإن شهادتنـا أيضاً عن يسوع تؤدى فى قوة الروح . قد نعرف كل ما سجله البشيرون ، وكل ما تعلمه لنا الكتب المقدسة عن شخصية يسوع وعمله ، وقد نذهب إلى أبعد من ذلك ، فنتكلم من الإختبار السابق عما عرفناه سابقاً عن مجد يسوع ، ولكن ليست هذه هى شهادة القوة الموعود بها فى هـــذا الوعد ، والتى ستغير وجه العالم . لكن وجود الروح القدس فى الزمان الحاضر ، هو الذى يشهد عن وجود يسوع ، والذى يعطى لشهادتنا نفخة حياة السماء ، ويجعلها قادرة بالله على هـدم حصون . وتستطيع أنت بالحق أن تشهد كثيراً عن يسوع بقدر ما يشهد الروح القـــدس لك فى الحياة والحق .

أحياناً نتـكلم عن معمودية القوة ، وعن إنسـكاب القوة ، ونسعى إليها كأنهـا هبة خصوصية ، لكن إن كان بولس قـد طلب لأجل الأفسسين الذين

ختموا بالروح القدس أن يعطيهم الآب « روح الحكمة » (أف ١ : ١٧) ، فنحن لا نكون مخطئين إن كنا نصلى طالبين « روح القوة » . والذى يفحص القلب يعلم ما هو إهتمام الروح ، وسيعطينا ليس بحسب صحة كلماتنا ، لكن بحسب رغبة القلب التى نفخها الروح فينا . ودعونا نتأمل فى صلاة بولس الأخرى (أف ٣ : ١٦) ونتوسل لله « لكى يعطينا أن نتأيد بالقوة بروحه » ، ومهما كان منطوق صلواتنا ، هناك أمر واحد مؤكد ، أنه فى الصلاة بلا إنقطاع ، فى الركب الجاثية ، فى الإنتظار أمام الله ، يأتينا ما نطلبه ، سواء أكان هذا روح القوة أو قوة الروح . لكن لنعلم أن الروح ليس أبداً شخصاً منفصلا عن الله ، ففى كل تجواله وعمله لا يزال هو الله بذاته . إنه الله نفسه الذى بحسب غنى مجده ، يقـــدر أن يفعل فوق ما نطلب أو نفتكر ، هو الذى فى المسيح سيعطينا أن نلبس بقوة الروح .

وفى طلبتنا لقوة الروح هذه ، لنلاحظ الكيفية التى يعمل بها ، فهناك خطأ يجب أن نتحذر منه بنوع خاص ، وهو أننا نتوقع دائماً أن نحس بالقوة وهى تقوم بعملها ، لكننا نجد فى كلمة الله أن الوحى يقرن دائماً القوة بالضعف ، ليس لأنهما متعاندين ، ولكن فى كونهما متلازمين . « كنت عندكم فى ضعف . . . . كلامى وكرازتى ببرهان الروح والقوة » ، « حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى » (١ كو ٢ : ٣ - ٥ و ٢ كو ٤ : ٧ ، ١٦ و ٦ : ١٠ و ١٢ : ١٠ و ١٣ : ٣ ، ٤) . القوة هى قوة الله التى تعطى بالإيمان ، والإيمان يزداد قوة فى الظلام . الروح القـــدس يخفى ذاته فى الأشياء الضعيفة التى يختارها ، حتى لا يفتخر أى ذى جسد أمامه . القوة الروحية تدرك فقط بروح الإيمان ، وكلما أحسسنا وإعترفنا بضعفنا وآمنا بالقوة التى تسكن فينا ، التى هى مستعدة دائماً أن تعمل كلما دعت الحاجة ، كلما كان لنا أن نتوقع بثقة عملها الإلهى حتى لو لم نحس بشىء . إن المؤمنين يخسرون كثيراً ليس فقط بسبب عدم إنتظار القوة ، ولكن بسبب

الانتظار بطريقة خاطئة حاول أن تظهر الطاعة الكاملة المستعدة لكل نداء للواجب، مهما بدت ضآلة قوتك، لكن اعمل فى انتظار عميق وتوقع القوة من الأعالى، واجعل من فترات الراحة والشركة فرصة لممارسة الصلاة وتدريب الإيمان على الثقة فى قوة الله الساكن فيك منتظراً إياه ليعمل فيك، وعندما يحين وقت الجهاد والعمل سيعطينا البرهان أننا بالإيمان نتقوى من ضعف.

يجب أن نعرف أيضاً الشرط اللازم لكى تؤدى هذه القوة الإلهية عملها، فلا يتطلب الأمر قدراً كبيراً من النعمة لنشتاق للقوة ونطلبها، حتى ولو كانت هذه قوة الروح فمن لا يرغب أن تكون له القوة؟! لكن يوجد كثيرون يصلون بلجاجة لأجل القوة فى حياتهم، لكنهم لا ينالونها، لأنهم لا يقبلون الخضوع للناموس الذى تعمل به. فنحن نريد أن نملك القوة ونسخرها، لكن الله يريد أن القوة تملكنا وتستخدمنا. فإن كنا نسلم أنفسنا للقوة لتملك علينا، فإن القوة ستقدم ذاتها لنا لتملك فينا، فالطاعة والخضوع بلا قيد أو شرط للقوة فى الإنسان الباطن، هو الشرط الوحيد لكى نلبس بها. إن الله يعطى الروح للطائع، «فالقوة لله» وستبقى أبد الدهر. فإن كنت تريد أن قوة الله تعمل فيك، انحن فى اتضاع وخشوع للروح القدس الذى فيك، والذى يريدك أن تخضع لإرشاده حتى فى أتفه الأمور، وسر باتضاع وفى خوف مقدس من أن تخطىء فى معرفة أو إتمام إرادته المقدسة فى أى شىء. عش كأنك وهبت بجملتك لسلطان له سيادته الكاملة عليك، ويملك ملكية كاملة على كيانك الداخلى. دع الروح والقوة يسودان عليك، وحينئذ لا بد أن ترى أن قوته تعمل فيك.

دعونا أيضاً نتنبه لهدف هذه القوة، وللعمل الذى تؤديه. يحترص الناس جداً على اقتصاد القوة، ويعملون على تجميعها حيث يمكنها أن تؤدى عملها بالصورة الأكثر فاعلية، والله لا يعطينا هذه القوة لأجل تمتعنا الشخصى ـ

لكى تنقذنا من المتاعب والاجتهاد ، لكنه يعطيها لهدف واحد ، لكى يمجد ابنه . وكل من تتوفر لديه - رغم الضعف - الأمانة لهذا الهدف الوحيد ، والذين بطاعتهم وبشهادتهم يبرهنون لله على استعدادهم أن يمجدوا الله مهما كان الثمن ، فإن هؤلاء سوف ينالون القوة من الأعالى إن الله يبحث عن رجال ونساء يتوفر فيهم هذا الشرط لكى يلبسهم بالقوة . والكنيسة تتلفت فى كل صوب بحثاً عنهم ، وهى فى حيرة بسبب الضعف الذى ينتاب خدمتها . والعالم ينتظر ليرى هل الله بالحقيقة فى وسط شعبه ! والملايين الهالكة تصرخ طالبة الخلاص ، وقوة الله تنتظر لتقوم بهذا العمل ، فليتنا لا نكتفى بمجرد الصلاة لله ليفتقد هذه النفوس ويباركها ، أو عند حد بذل قصارى جهدنا لنفعل أفضل ما نستطيع لأجلهم . لكن لنهب أنفسنا بجملتها ، كل مؤمن على حدة ، لنعيش شهوداً أمناء ليسوع . وليتنا نصرخ إلى الله لكى يعرف شعبه ماذا يعنيه كونهم سفراء عن المسيح مثلما كان هو عن الآب . ولنحيا بإيمان أن روح القوة فينا ، وأن الآب سوف يملأنا ، إن انتظرناه بقوة الروح .

انسكاب الروح

« ولما حضر يوم الخمسين . . . امتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون . . . كما أعطاهم الروح أن ينطقوا » (أع ٢ : ١ ـ ٤) .

بانسكاب الروح القدس يصل عمل المسيح إلى ذروته ، فسر التجسد العظيم الذى شهدته بيت لحم ، والفداء العظيم الذى تم فوق الجلجثة ، واستعلان المسيح كابن الله بقوة حياة سرمدية ، بالقيامة من الأموات ، وصعوده إلى السماوات ودخوله إلى مجده ، كانت هذه كلها خطوات تمهيدية ، تلتقى عند هذه الغاية : انسكاب الروح القدس . ويعد يوم الخمسين ـ الذى تم فيه الحدث الأخير من سلسلة الأعمال المجيدة ـ أعظم الأعياد المسيحية جميعاً إذ يعتبر هو متمماً لها ، لكن قليلا ما أدركت الكنيسة هذه الحقيقة ، فلم تفطن إلى أن مجد يوم الخمسين هو أرفع صورة للمجد الذى به تمجد الآب والابن ، ولذلك ـ لأن الكنيسة لم تدرك بعد هذه الحقيقة ـ لم يستطع الروح القدس بعد أن يعلن الابن ويمجده فى الكنيسة كما يسره أن يفعل ذلك .

لقد خلق الله الإنسان على صورته ومثاله ، وهو يهدف إلى هذه الغاية أن يكون مشابهاً له تماماً ، فكان لا بد أن يصبح الإنسان هيكلا لسكنى الله فيه ومكاناً لراحته . وما كان يشتهيه الله القدوس ، وما كان يتطلع إليه هو أن تجد « المحبة » مستقراً لها فى الإنسان ، فى شركة المحبة الوثيقة ، ورباط اتحاد لا ينفصم . كانت أبنية الهيكل فى إسرائيل رمزاً ضعيفاً لهذه الحقيقة الإلهية التى تجسمت فى يسوع الناصرى : إذ وجد الله إنساناً فيه يجد راحة ، وانفتح كيانه كله لتسود فيه إرادته وشركة محبته ، وفيه كانت طبيعة بشرية يملك عليها روح الله ، وهذا عين ما يريده الله فى البشر جميعاً ، وهذا ما يجب أن يتم فى كل من قبل يسوع وروحه كالحياة فيهم . كان موت المسيح لإزالة اللعنة ، ولإبطال

الخطية، ولكى يفتح الطريق لمجيء الروح وسكناه فى الإنسان، أما قيامة المسيح فقد فتحت الباب أمام الطبيعة البشرية، بعد أن أصبحت متحررة من كل ضعفات الجسد، لتدخل إلى حياة الله، حياة الروح، وبصعوده أعطى له ـ كإنسان ـ حق الدخول إلى مجد الله عينه، ودخلت الطبيعة البشرية إلى الشركة الكاملة مع الله بواسطة الاتحاد بالروح، ومع هذا فلا يعد العمل كاملا بعد، فيوجد شيء آخر، هو الشيء الرئيسى، لا يزال ناقصاً، فكيف يتيسر للآب أن يسكن فى البشر مثلما سكن فى المسيح؟ كان هذا هو السؤال العظيم الذى وُجدت إجابته فى اختبار يوم الخمسين

فى يوم الخمسين جاء الروح القدس فى صورة جديدة وبقوة جديدة لم تُعرف من قبل. فى الخليقة وفى الطبيعة جاء الروح من عند الله كروح الحياة، وفى خلق الإنسان بنوع خاص، عمل الروح ليجعله مشابهاً لله، وظل حتى بعد السقوط يشهد إليه عن الله. وفى شعب الله ظهر كروح الوحى ملهماً وموحياً إلى بعض الناس ليؤهلهم للقيام بأعمال خاصة. وفى يسوع المسيح قد جاء الروح، كروح الآب الذى أعطى له ليس بكيل، وحل فيه. كل هذه ظهورات بدرجات متفاوتة لنفس الروح الواحد، ولكن الآن يأتى الظهور الأخير، الذى وعد به منذ القديم، وهو ظهور مختلف تماماً لروح الله، فالروح الذى حل فى يسوع المسيح، فى حياة الطاعة التى عاشها، قد حل فى روحه البشرية فى شركة واتحاد كامل بها، وأصبح الآن هو روح يسوع الممجد. وبدخول يسوع المسيح الإنسان إلى مجد الله وإلى الشركة الكاملة لحياة الروح التى يحياها الله، أخذ من الآب موعد الروح ليرسله ليحل على تلاميذه، بل لكى يأتى هو فى الروح ويسكن فيهم فى قوة جديدة، لم تكن معروفة من قبل، لأن يسوع لم يكن قد صلب أو تمجد. فأتى الروح، وهو نفسه روح يسوع الذى صلب ودخل الآن إلى مجده، ليحل على التلاميذ، وبذلك يكمل عمل الابن، وتتم رغبة قلب الآب، وأصبح قلب الإنسان الآن بالحق مسكناً لله فى الروح.

ألم أقل حقاً إن يوم الخمسين هو أعظم أعياد الكنيسة عامة ؟ حقاً إن سر بيت لحم مجيد ، لا يستقصى ولا يدرك ، ولكن حين أؤمن به مرة فلا يوجد شيء يبدو مستحيلا فعندما تهيأ لابن الله جسد طاهر مقدس بقوة الروح القدس ، وفى ذلك الجسد حل الروح بكل ملئه ، فهذه بالحق معجزة تظهر قوة الله ، ولكن عندما يأتى هذا الروح نفسه الآن ويسكن فى أجساد البشر الخطاة ، حتى يتخذ الآب لنفسه مسكناً فيهم أيضاً ، فهذا سر من أسرار النعمة يفوق كل إدراك ، ولكن شكراً لله ! هذه هى البركة التى يعطيها ويضمنها لنا اختبار يوم الخمسين . عندما اتخذ ابن الله جسداً مثلنا - بلا خطية - فى بيت لحم ، وكبديل عنا احتمل اللعنة والموت بسبب خطيتنا ، ثم دخل وهو فى طبيعة بشرية كالبكر من الأموات ، فى قوة حياة سرمدية ، إلى مجد الآب ، لم تكن هذه سوى خطوات تمهيدية ، ولكن بركة يوم الخمسين هى الذروة التى لأجلها قد عمل كل ما قام به من أعمال ، وبها تتحقق الكلمة المكتوبة : « هوذا مسكن الله مع الناس ، وهو سيسكن معهم » .

إنه فقط فى ضوء كل ما سبق يوم الخمسين من أعمال والتضحية العظيمة التى هانت فى عينى الله بسبب رغبته أن يساكن البشر الخطاة ، فى ضوء ذلك يمكننا أن نفهم ما ذكر فى الكتاب عن انسكاب الروح . إنه الانعكاس الأرضى لتمجيد المسيح الذى حدث فى السماء ، والمشاركة التى يعطيها لأحبائه ليشاركوه فى المجد الذى يتمتع به الآن مع الآب . ولابد أن يتوفر لنا إعلان روحى ليتسنى لنا فهم هذا الأمر جيداً . إنه فى تلك القصة التى نرويها ببساطة ، تفك أعمق غوامض ملكوت الله ، وتتسلم الكنيسة عقود التمليك لميراثها المقدس ، إلى أن يعود سيدها . وهناك ثلاثة أفكار أساسية تختص بعلاقة الروح بالمؤمنين والكنيسة ، ثم بالنسبة لخدام الكلمة وخدمتهم ، وأخيراً بالنسبة للخطاة .

(١) وعد المسيح تلاميذه أنه بمجىء المعزى سيأتى هو بنفسه إليهم ثانية ،

فحين كان على الأرض بالجسد . كان حضـوره الشخصى الملموس ، كالذى جاء ليخبر عن الله الذى لا يُرى . كان هو عطية الآب العظيمة للبشر ، وهذا هو الشيء الوحيد الذى أراده التلاميذ وكانوا فى حاجة إليه . لـكن الآن سترجع إليهم هذه البركة فى قوة أعظم من ذى قبل . لقد دخل المسيح إلى المجد وله نفس هـذا الغرض ، أنه بقوة إلهيـة « يملأ كل شيء » ، وبنوع خاص يملأ أعضاء جسده بقوة حضوره وبحياته الممجدة ، وعندما جاء الروح القدس من السماء ليحل فيهم ، أتى إليهم بالحياة التى كانوا قبلا قريبين منها ، لـكنها كانت خارجهم ، لتكون الآن حياتهم الشخصية . إنه بعينه روح ابن الله الذى عاش على أرضنا ، وأظهر لنا حبه ، ثم أطاع حتى الموت ، وقام أخيراً فى مجد وعز واقتدار ، ليصبح الآن حياتهم . وذلك الحدث المجيد الذى شهدته السماء إذ دخل يسوع إلى مجده ، وجلس عن يمين العظمة ، قد جاء الروح القدس ليكون شاهداً به ، بل لينقل إليهم هذا النبأ ، ويملأهم بهذه الحقيقة السماوية . وفى حقيقة الأمر ليس هناك ما يدعو للعجب أنه بمجيء الروح القدس من عند الآب ، إذ أرسله الابن الممجد ، قـــد امتلأ كيانهم حتى فاض بفرح وقوة السماء بسبب حضور يسـوع ، وهكذا انطلقت ألسنتهم تهتف بالحمـد لأجل أعمال الله المجيدة .

هكذا كانت ولادة كنيسة المسيح . وهكذا يجب أن تسـير فى طريق النمو والقوة . إن العنصر الأول الذى يجب أن يتوفر فى كل كنيسة تحتفل بحق كنيسة يوم الخمسين هو شركة معمودية الروح القدس والنار . لـكى يمتلىء كل قلب بحضور الرب الممجد ، ويشهد كل لسان وحياة للعمل العجيب الذى صنعه الله إذ أقام يسوع وأجلسه عن يمين العظمة فى الأعالى ، ثم ملأ تلاميذه بذلك المجد . إن ما ينقصنا ليس معمودية القوة لوعاظنا فحسب ، وإنما أن يعرف كل عضو فى جسد المسيح ويختبر ويشهد لحضور مسيح مقيم فى داخله بالروح القدس ، فهذا ما يجذب أنظار العالم فيضطر كل لسان أن يعترف بقوة المسيح .

(٢) وحدث أنه لما تحرك الجمع وطفقوا يتساءلون بسبب ما رأوه في هذه الجماعة المبتهجة وهي تسبح الله، أن بطرس وقف بينهم ليعظ. إن قصة يوم الخمسين تصور لنا كيف تكون الخدمة وما هو سر قوتها فالكنيسة الممتلئة بالروح القدس هي قوة من الله لإيقاظ الغافلين، ولجذب كل القلوب المخلصة الأمينة وفي جمهور من المستمعين كهذا، أيقظته شهادة المؤمنين، لابد وأن يُصحب الوعظ بقوة. وإنه من كنيسة كهذه تتألف من رجال ونساء ممتلئين من الروح القدس، يقوم وعاظ ملتهبون بالروح، يتكلمون بمجاهرة وبلا مانع، هم شهادة حية أمام كل مؤمن عن صدق رسالتهم وقوة إلهم.

إن عظة بطرس تعطينا صورة عن وعظ الروح القدس. لقد نادى بالمسيح حسب الكتب: وبدلا من أن يستعمل أفكار الإنسان الذي رفض المسيح، قدم أفكار الله الذي أرسل المسيح، والذي سُرّ به، وقد أجلسه الآن عن يمين العظمة في الأعالي. وكل وعظ بقوة الروح القدس يكون على هذا المثال. الروح هو روح المسيح، روح حياته الذاتية، عندما يملك علينا ويشهد لأرواحنا بما أحرزه المسيح من نصر لأجلنا، فهو قد أتى لنفس هذا الغرض ليواصل هذا العمل الذي بدأه المسيح على الأرض، ليعطي للبشر أن يكونوا شركاء فدائه وحياته. ولا يمكن للروح إلا أن يشهد دائماً للمسيح. لقد فعل ذلك في الكتب، والآن يفعله في المؤمنين وشهادة المؤمن يجب أن تطابق الكتب دائماً، فالروح في المسيح، والروح في الكتب، والروح في الكنيسة، وطالما ظل هذا الخيط مثلوثاً، فلا يمكن أن ينقطع.

(٣) كان تأثير تلك العظة عجيباً، لكنه ليس أعجب مما ننتظره لها. إن حضور يسوع وقوة يسوع كانا حقيقة ملموسة ظاهرة في جماعة التلاميذ. القوة من الأعالي، من عند عرش الله جاءت لتملأ بطرس، ومنظر المسيح الجالس عن يمين الله هو حقيقة روحية ماثلة أمامه، وتخرج الكلمات من بطرس مصحوبة بقوة، وعندما يختم عظته بالقول: «فليعلم يقيناً جميع بيت

إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً، إذ بالآلاف ينحنون فى الحال، بانكسار فى الروح، وهم على استعداد أن يعترفوا بالمصلوب رباً. لقد أتى الروح إلى التلاميذ، ليبكت العالم على عدم إيمانه، والذين نخسوا فى قلوبهم تساءلوا ماذا يفعلون، وإذ أطاعوا وصية بطرس لهم أن يتوبوا ويؤمنوا، قبلوا هم أيضاً عطية الروح القدس. إن الأعمال الأعظم التى وعد المسيح أن يعملها بتلاميذه قد عملها الآن، وفى لحظات يتحول التعصب الممقوت الذى عاشوا فيه ردحاً من الزمان، وتتبدل البغضاء المرة بالخضوع والمحبة والاحترام، لقد جاءت القوة من عند الرب الممجد لتملأ أعضاء جسده، وانطلقت منهم لتسبى وتخلص.

إن يوم الخمسين هو الشروق البهيج لشمس « ذلك اليوم » الذى يُعد الأول فى سلسلة « تلك الأيام » التى تكلم عنها الأنبياء والرب نفسه مراراً كثيرة، وهو يعتبر الوعد والعربون لما سيكون عليه تاريخ الكنيسة. إن الكل يعترفون أن الكنيسة لم تنل إلا القليل مما هو مدخر لها، لحتى هذا اليوم، بعد انقضاء أكثر من تسعة عشر قرناً، لم تصل الكنيسة إلى ذروة امتيازاتها المجيدة. وهى حتى فى جهادها لتحقيق غاية دعوتها، وفى شهادتها عن فاديها إلى أقاصى الأرض، فهى إنما تفعل ذلك فى قليل جداً من الإيمان بروح يوم الخمسين، وفى ثقة قليلة بامتلاكها لقوته العظيمة، وعوضاً عن أن تنظر إلى يوم الخمسين كبزوغ الفجر، فكثيراً ما تتكلم وتعمل وكأنه كان وقت الظهيرة وبعده ابتدأ النهار يميل. ليت الكنيسة تعود إلى يوم الخمسين، وسوف يعود لها يوم الخمسين.

إن روح الله لا يستطيع أن يملك على المؤمنين بالقوة الجبرية. إن الوعد هو لمن ينتظر، فالروح الآن موجود فى كل ملئه، ويعوزنا أن تتسع طاقتنا لاستقباله. إنه عندما يجتمع المؤمنون عند عرش النعمة برأى واحد فى محبة وحمد وصلاة، حتى وإن توانت الاستجابة، لا يؤدى ذلك إلا إلى

تقوية روح الانتظار والتوقع ، ويظل الإيمان متمسكاً بالوعد ، والنظر مثبتاً نحو الرب الممجد ، فى ثقة أنه سيظهر ذاته بقوة وسط شعبه ، وأنه عند أعتاب العرش يتكرر اختبار يوم الخمسين . إن يسوع لا يزال هو رب الكل ، المتوج بالمجد والجلال ، ورغبته أن يعلن عن حضوره فى تلاميذه ، وأن يجعل كلا منهم شريكاً لحياة المجد التى يسكن فيها . ولم تزل هذه الرغبة عنده قوية كما كانت يوم صعوده إلى السماء . فلنأخذ مكاننا عند قدمىّ الجالس على العرش ، وليتنا نسلم أنفسنا فى إيمان قوى واثق ، لكى نمتلىء بالروح القدس فنستطيع أن نشهد عن يسوع ، وليكن المسيح الحال فينا هو حياتنا وقوتنا وشهادتنا ، ومن كنيسة كهذه يقوم وعاظ ممتلئون بالروح ، وتنطلق القوة التى تجعل أعداء المسيح يخرون عند موطىء قدميه .

✠

الفصل السادس عشر

الروح والعمـــل

« وكان فى أنطاكية فى الـكنيسة هناك أنبيـــاء ومعلمون . وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه ، فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى ثم أطلقوهما . فهذان إذ أرسلا من الروح القدس انحدرا إلى سلوكية »
(أع ١٣ : ١ ـ ٤)

لقد قيل بحق إن سفر أعمـال الرسل يمـكن أن يطلق عليه اسم : سفر أعمال الروح القـــدس ، أو سفر أعمال الرب الممجد ، إذ كان الرب يودع تلاميذه قبيل افتراقه عنهم وصعوده إلى السماء ، أعطاهم هذا الوعد « ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتـكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض » ، وكانت هذه الـكلمات تحوى وعداً بامتداد ملـكوت الله بقوة إلى كل البقاع ، ونبوة بوصول رسـالة الحياة إلى كل العالم . وفى سفر الأعمال نجد الطريق الذى سلـكوه ، وبه بدأ الوعد يتحقق فى الاتجاه من أورشليم إلى رومية . إنه يقدم لنا ما سجله الوحى بشأن مجىء الروح القـدس وحلوله وعمله ، إذ يعطى لتلاميذ المسيح القوة للشهادة عنـه أمام اليهود والأمم . كما يسجل لنـــا تمجيد اسم المسيح فى أنطاكية ورومية ليكونا قاعدتين يتم منهما اخضاع بقيـة أجزاء الأرض حتى إلى أقاصيها . ونستطيع أن نفهم أن الغرض والقصد من مجىء الروح إلى التلاميذ ـ إذ أرسله الرب الممجد فى السماء ـ هو أن يتأهلوا ليكونوا شهوداً له إلى أقصى الأرض .

وفى الفصل الـكتابى موضوع دراستنا ، نلتقى بأول ما سجله الوحى عن المهمة التى لأجلها دعيت الـكنيسة إلى القيام بالعمل المرسلى . فى عظة فيلبس فى السامرة ، وعظة بطرس فى قيصرية نجد حالة أفراد من الناس يقومون بواجبهم

فى الخدمة بقيادة الروح بين أولئك الذين لم يكونوا من اليهود . وفى العمل الذى قام به رجال قبرسيون وقيروانيون إذ كرزوا لليونانيين فى أنطاكية ، نستطيع أن نرى روح المحبة والحياة يقود بعض الأفراد لفتح سبل جديدة لم تكن تخطر ببال قادة الكنيسة الأولى . فعلى كل جماعة من المؤمنين أن يتعلموا أن يكون لهم نصيب فى العمل الذى لأجله قد جاء الروح وإن كان الأصحاح الثانى من سفر الأعمال له أهميته إذ نرى فيه الكنيسة تتأهل للخدمة فى أورشليم أو الإرسالية فى أرض الوطن ، فإن الأصحاح الثالث عشر لا يقل أهمية إذ فيه نجد الكنيسة تخصص أناساً وتفرزهم للعمل خارج تخوم الوطن . ويجدر بنا أن نشكر الله كثيراً لأجل الاهتمام المتزايد بالعمل المرسلى فى هذه الأيام ، فإن كان لدينا الاهتمام والغيرة النابعة عن التكريس لربنا المبارك ، والمحبة للنفوس الهالكة التى جاء المسيح لأجلها ، وإن كنا نريد للعمل أن يكون مثمراً وأن ترتفع الكنيسة للمستوى الحقيقى لقوة يوم الخمسين ، يجب أن نتعلم جيداً درس أنطاكية ، فكل إرسالية يجب أن تبدأ وتستمد قوتها من المعرفة المباشرة الواضحة بقيادة الروح القدس .

لقد لوحظ مراراً كثيرة أن العمل المرسلى الناجح كان وليد نهضات روحية فى حياة الكنيسة ، إذ يعمل الروح المحيى على دفع المؤمنين فى حياة التكريس للرب المبارك ، ويحثهم لإنقاذ الهالكين الذين هم موضوع مشغوليته ، وعندما تتهيأ الأذهان فإن صوت الروح يسمع ليحث مفديى الرب ليقوموا بالعمل لأجله . هذا ما حدث فى أنطاكية ، كان هناك أنبياء ومعلمون يصرفون وقتاً فى خدمة الرب والصوم ، وفى هذه الخدمة الجهارية للرب كان لهم روح الانعزال عن العالم وإنكار الذات وأحسوا بالحاجة إلى الشركة الوثيقة المستمرة مع الرب الذى مضى عنهم إلى السماء ، ليكونوا فى انتظار أوامره ، وفهموا أن الروح الذى حل فيهم لا يمكن أن يعمل بحرية كاملة إلا إذا ظلوا فى شركة دائمة معه كسيد عليهم ، ودخلوا بقدر المستطاع فى شركة صلب المسيح .

« كانوا يخدمون الرب ويصومون » ، هكذا كانت حالتهم ونظام الحياة الذى اتبعوه عندما أعلن الروح القدس أنه اختار اثنين من بينهم وأفرزهما لعمل خاص ، وأصبح كلاهما آلة فى يمينه يستخدمها فى هذا العمل ، وقد تم ذلك على مرأى من الكنيسة كلها .

إن ناموس ملكوت الله لم يتغير ، فلم يزل الروح القدس هو الذى يتعهد العمل بجملته ، وهو لا بد أن يعلن إرادته فى تحديد حقول الخدمة واختيار الرجال المناسبين وهذه الإرادة يعلنها فقط لأولئك الذين ينتظرون الرب وهم يخدمون فى انعزال عن العالم . فلا يكفى أن يتحمس المؤمنون ويظهروا الغيرة للمساهمة بنصيب وافر فى العمل ، وأن يصلوا ويقدموا الكثير من مالهم ، لكن هناك حاجة ملحة لما هو أكثر ، ففى حياة الفرد يجب أن يحل الروح القدس ، كما أن الحضور المميز لرب المجد - الأمر الذى يسهر الروح على تحقيقه - يجب أن يكون هو العلامة المميزة للحياة المسيحية . ويجب أن تتدرب الكنيسة على حياة الانتظار لإرشاد الروح القدس فى اختيار الرجال وحقول الخدمة ، فى شحذ الهمم وفى توفير المال . إن كل إرسالية خرجت نتيجة صلوات كثيرة وانتظار الروح لها أن تتوقع قوة الروح فى كل خدمتها .

ولا يظن أحد أننا بهذا الكلام نقود المؤمنين بعيداً عن العمل الفعلى الذى يجب أن يُعمل ، فهناك الكثير من الإجراءات التى يجب أن تُتخذ من جمع معلومات ، وتخصيص اعتمادات ، وعقد اجتماعات للصلاة ، كل هذا يجب أن يتم ، لكنه سيعمل على خير ما نروم عندما يسير فى قوة الروح القدس . آه لو فطنت الكنيسة ، وتعلم كل عضو فيها هـــذا الدرس ، أن الروح قد جاء من السماء ليكون روح العمل ؛ وليعطى الإرشاد والقوة لتلاميذ المسيح ليشهدوا له إلى أقاصى الأرض ! .

إن الروح القـــدس يجب أن يكون وراء كل عمل ليضمن له التقدم والنجاح . هو الذى يوقظ فى قلوب المؤمنين الغيرة لمجد الرب ، ويلهب المحبة

نحو النفوس الهالكة ، ويشدد الإيمان بمواعيد الله ، ويكمل الطاعة السريعة لوصاياه . هذه هى التربة التى تساعد على نمو العمل وتكاثره . الروح هو الذى يحشد المؤمنين لبذل الجهد المشترك ، ويفرز الأشخاص المناسبين للخدمة ، وهو الذى يفتح الباب ويعد القلوب لقبول الكلمة بفرح . وأخيراً هو الذى يضمن للصليب تقدمه ، وحتى حيث كرسى الشيطان يرسى قاعدة الصليب ، ويجمع حوله مفديى الرب . إن الخدمة هى عمل الروح القدس ، وكل من يرغب أن يعمل أو يصلى لأجل نجاح العمل لا يجب أن يتطرق الخوف إلى نفسه بسبب إحساسه بالضعف أو الفقر . إن الروح القدس هو الذى يعطى القوة التى تستطيع أن تؤهلك لتأخذ مكانك المعد لك فى العمل من قبل الله ، وكل من يريد أن يصلى لأجل وصول رسالة الإنجيل إلى أقاصى الأرض عليه أن يصلى أولا وبالأكثر ليكون للروح قوته ونفوذه المطلق فى كل مؤمن على حده ، وكذا فى الكنيسة ، فى أعمالها وعبادتها .

« فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى ثم أطلقوهما ، فهذان إذ أرسلا من الروح القدس انحدرا إلى سلوكية » . كان الإرسال هو بالتساوى عمل الكنيسة والروح القدس ، وهذه هى العلاقة الطبيعية . هناك أشخاص يرسلون فقط من الروح القدس ، فوسط اعتراض الكنيسة وعدم موافقتها يؤدى الروح عمله وهناك أشخاص ترسلهم الكنيسة فقط ، إنها تظن أن العمل ينبغى أن يؤدى ، فتقوم به ، ولكن فى قليل من الصوم والصلاة التى تدرك الحاجة إلى الروح وترفض العمل بدونه . مباركة هى الكنيسة ، ومبارك هو العمل الذى ينشئه الروح ، حيث تكون له الفرصة للقيادة ، وحيث يكون انتظار البركة منه وحده فقط . عشرة أيام من الصلاة والانتظار جاء بعدها نزول الروح فى نار ، كان هذا مولد الكنيسة فى أورشليم . خدمة وصوم وصلاة ، وبعدها كان إرسال الروح لبرنابا وشاول ، هذا ما حدث فى أنطاكية وتكرست الكنيسة لتذهب إلى أقاصى الأرض . إنه فى الانتظار والصلاة ،

ثم فى قوة الروح المرسل من السماء يكون الفرح والبركة والقوة لكنيسة المسيح ولكل خدمتها .

فإلى كل من يخدم الرب بعيداً عن وطنه ، وتقع عيناه على هذه الكلمات ، أقول أبشر يا أخى ، إن الروح القدس - قوة الله العظيمة - هو الذى يجعل حضور يسوع فى داخلك حقيقة ثابتة . إن الروح القدس معك وفيك ، العمل هو عمله فاتكل عليه واخضع له وانتظره ، العمل هو عمله وهو سيقوم به . وأقول لكل مؤمن ليكن الروح لك هو القائد والمشدد والمعين فى الصلاة . أبشر يا أخى ، فبعد الأيام التى قضاها التلاميذ الأوائل فى الصلاة والانتظار أمام العرش ، وبعد المعمودية التى نالوها ، قد انطلقوا حتى وصلوا إلى أنطاكية ، وهناك وقفوا قليلا وصلوا وصاموا ثم ذهبوا إلى رومية وما بعدها . فلنتعلم أيها الإخوة من هؤلاء سر القوة ، وليتنا نطلب من كل مؤمن يريد العمل فى حقل الخدمة أن يأتى معنا ليمتلىء بالروح الذى له العمل كله ، ولنعترف بصراحة أن حاجة الكنيسة والعالم هى إلى مؤمنين يستطيعون أن يشهدوا عن مسيح يقيم فى القلب بالروح . لنجتمع معاً فى المخدع عند أعتاب العرش ، فبعد الانتظار فى أورشليم ، والخدمة والصوم فى أنطاكية ، لا بد أن يأتى الروح فى قوة . إنه لا يزال كما كان فى القديم يحرك ويرسل ، ولا يزال قادراً على التبكيت على الخطية : وهو الذى له أن يعلن عن يسوع ويجعل الآلاف يسقطون عند قدميه . إنه ينتظرنا ، فدعونا ننتظره ونرحب به .

الفصل السابع عشر

جدة الروح

« وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذى كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف » (رو ٧ : ٦)

« ولكن إذا انقدتم بالروح فلستم تحت الناموس » (غل ٥ : ١٨)

إن هدف الروح القــدس بسكناه فى المؤمنين هو الإعلان عن يسوع وتمجيده ، وبالمقابلة مع وظيفة المسيح المثلثة كنبي وكاهن وملك ، ينقسم عمل الروح الساكن فى المؤمنين إلى ثلاث وظائف : الإنارة ، التقديس ، والتأييد بالقوة . فى حديث المسيح الوداعى الذى يقدم الرب فيه الوعد بمجيء الروح ، يشير بالذات إلى عمل الروح للإنارة . إنه روح الحق الذى سيشهد عن الرب الممجد ، وسيقود إلى كل الحق ، وسيأخذ مما للمسيح ويخبرنا . وفى الرسالتين إلى رومية وغلاطية يظهر بوضوح عمله للتقديس ، وهذا عين ما كانت الكنائس تحتاجه إذ قد خرجت للتو من عمق الوثنية . وفى الرسالتين إلى أهل كورنثوس حيث كان الاهتمام باستقصاء الحكمة ، نرى الصورتين معاً : لقد تعلموا أن الروح يستطيع أن ينير ويقدس أيضاً (١ كو ٢ ، ٣ : ١ - ٣ ، ١٦ ، ٢ كو ٣) . وفى سفر أعمال الرسل يجب أن نتوقع أن يكون عمله للتأييد بالقوة هو الشيء الواضح ، وهو كروح القوة الموعودة يؤهل لأجل شهادة مباركة بكل مجاهرة وسط الاضطهاد والصعوبات .

وفى الرسالة إلى كنيسة رومية يقدم الرسول شرحاً وافياً متسلسلا عن إنجيل المسيح وتدبير الفداء . ولا بد أن يكون للروح القدس دوره الخطير هنا ، وبهذا الشاهد الذى قدمه الرسول « أما البار فبالإيمان يحيا » (رو ١ : ١٧) إنما يمهد الطريق لما كان يريد أن يشرحه ، أن الإيمان يحقق التقاء الحياة بالبر . فى الجزء الأول من مناقشته (حتى ع ١١) يقــدم تعليماً عن ماهية البر

الذى بالإيمان ، ثم يتقدم (ع ١٢ - ٢١) لكى يبرهن على أن هذا البر يقوم على أساس علاقتنا الحية بآدم الثانى . ومن الناحية العملية فإن الإنسان ينال هذه الحياة بالإيمان بواسطة قبوله لموت المسيح عن الخطية ، والخضوع بكل رضى (٦ : ١٤ - ٢٣) لنكون عبيداً لله والبر . ثم يتقدم الرسول ليثبت أننا فى المسيح لم نمت فقط عن الخطية ولكن أيضاً للناموس الذى هو قوة الخطية ، ومن الطبيعى أن يعرض للكلام عن الناموس الجديد الذى يقدمه إنجيل المسيح ليحل محل الناموس القديم ، وهذا هو ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع .

ونحن نعلم كيف أنه بضدها تتميز الأشياء ، فكما قارن الرسول (٦ : ١٣ - ٢٣) بين خدمة الخطية وخدمة البر ، فنجده هنا لكى يميط اللثام عن قوة وعمل الروح ، يقابل الخدمة فى عتق الحرف بالخدمة فى جدة الحياة ، وفى الحرية والقوة اللتين يعطيهما يسوع بالروح . وفى الجزء الثانى (رو ٧ : ١٤ - ٢٥ ، رو ٨ : ١ - ١٦) نجد المقابلة التى فى ضوئها وحدها يمكننا أن نفهم الحالتين فهماً صحيحاً ، وفى كل حالة توجد كلمة تفك أسرارها وتكشف عن نوع الحياة التى تصفها . ففى رومية ٧ نجد كلمة الناموس تتكرر عشرين مرة ، أما كلمة الروح فلا تذكر سوى مرة واحدة . وفى رومية ٨ على النقيض تذكر كلمة الروح ست عشرة مرة ، وتدور المقابلة بين الحياة المسيحية فى الحالتين : فى الناموس وفى الروح . وقد صرح الرسول بولس بكل جسارة أننا لم نمت فقط عن الخطية ، ولم نتحرر فحسب من الخطية لنصبح عبيداً للبر ولله (رو ٦) ، ولكن أيضاً أننا « قد تحررنا من الناموس إذا مات الذى كنا ممسكين فيه حتى نعبد فى جدة الروح لا بعتق الحرف » . فلنا هنا إذاً اقتراب مزدوج : الموت عن الخطية والحرية منها ، والموت للناموس هو التحرر منه . « جدة الحياة » (رو ٦ : ٤) كحقيقة ظاهرة مضمونة فى المسيح » ، و « جدة الروح » (رو ٧ : ٦) كاختبار خفى صار لنا بسكنى الروح .

وكل من يريد أن يعرف ويتمتع جيداً بالحياة في الروح يجب أن يعرف أولاً ماهية الحياة في الناموس، وكيف صارت الحرية منها كاملة، وصرنا بالأحرى أحراراً بالروح.

وفي الوصف الذي يقدمه بولس الرسول عن حياة المؤمن الذي لا يزال مقيداً في عبودية الناموس، ويسعى لإتمام مطاليبه، نجد ثلاثة تعبيرات تتجمع فيها الصفات المميزة لتلك الحالة. الأول هو كلمة الجسد: «أما أنا فجسدي مبيع تحت الخطية . . . ليس ساكن فيَّ أي في جسدي شيء صالح» (ع ١٤، ١٨). إن كنا نريد أن نفهم كلمة جسدي فيجب علينا أن نرجع إلى تفسير الرسول بولس لها في كورنثوس (٣: ١-٣)، حيث يستخدمها عن المؤمنين الذين رغم تجديدهم لم يخضعوا ذواتهم تماماً للروح لكي يصبحوا روحيين، إن لهم الروح لكنهم يسمحون للجسد أن يسود عليهم، ومن ثم فهناك فرق بين المؤمنين الذين يُلقبون جسديين وغيرهم الذين هم روحيون، وذلك بحسب العنصر الأقوى فيهم. وعلى الرغم من أن الروح لهم، ولكن لسبب أو لآخر لا يقبلون تماماً تحريره الكامل لهم، وهكذا يجاهدون في قوتهم الشخصية بغير أن يصلوا إلى الحالة التي فيها يكونون روحيين. وهنا يصف الرسول بولس الإنسان الجديد بحسب اختباره الشخصي، إنه يعيش بالروح ولكنه لا يسلك بالروح (غل ٥: ٢٥)، وقد أخذ روحاً جديدة في داخله (حز ٣٦: ٢٦) ولكنه في غير فطنة لم يقبل عملياً روح الله ليسكن في تلك الروح الجديدة، كنبع الحياة، ولم يزل بعد إنساناً جسدياً.

والتعبير الثاني نجده في ع ١٨ «الإرادة حاضرة عندي، وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد». حيث يحاول الرسول جاهداً (٧: ١٥-٢١) أن يوضح الحالة المؤلمة من العجز الكلي التي تنتهي إليها محاولات الإنسان لإتمام الناموس: «لأني لست أفعل الصالح الذي أريده، بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل». الإرادة بغير عمل، هكذا تكون الخدمة لله في عتق الحرف، في الحياة قبل يوم

الخمسين (مت ٢٦ : ٤١) . فالروح الجديدة فى الإنسان قد قبلت إرادة الله وخضعت لها ، ولكن توفر القوة للتنفيذ وسكنى روح الله نفسه فى الإنسان لم تعرف بعد . وعلى النقيض ، فأولئك الذين يعرفون ما هى الحياة بالروح يدركون أن الله هو العامل فيهم أن يريدوا وأن يعملوا من أجل المسرة ، وبذا يستطيع المؤمن أن يردد القول : « أستطيع كل شيء فى المسيح الذى يقوينى » . ولكن هذا ممكن فقط بالإيمان ، بواسطة الروح القدس . وطالما أن المؤمن لم يدرك أنه قد صار حراً من الناموس ومن القول القائل « الإنسان الذى يفعلها سيحيا بها » ، فلا بد أن الفشل يلحق كل جهوده التى يبذلها لإتمام إرادة الله . قد يكون هذا المؤمن يُسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن ، إلا أنه تعوزه القوة ، لكن عندما يخضع لناموس الإيمان الذى يقرر بأن الإنسان الحى هو الذى يفعلها ، وعندما يدرك أنه قد تحرر من الناموس ليصير لآخر – ليسوع الحى الذى يعمل فيه بروحه القـــدوس – فعندئذ يصبح بالحق مثمراً لله (رو ٧ : ٤) .

وأما التعبير الثالث الذى تجدر ملاحظته فهو وارد فى ع ٢٣ : « لكنى أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحـــارب ناموس ذهنى ويسبينى إلى ناموس الخطية » . وكلمة « يسبينى » تشبه تماماً « مبيع تحت الخطية » ، وتحمل معنى عبيد ليست لهم الحرية أو السلطان ليعملوا كما يريدون . وهذه الكلمات تسترجع إلى ذهننا ما ذكره الرسول فى مستهل هذا الفصل أننا قد تحررنا من الناموس ، لكن واضح أن هنا شخصاً لم يعرف بعد هـــذه الحرية ، كما أنها تشير إلى ما سيذكره الرسول فى الأصحاح الثامن ع ٢ « لأن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت » . إن الحرية التى بها صرنا أحراراً فى المسيح ، والمقدمة لنا لنقبلها بالإيمان ، هذه لا يمكن نوالها أو اختبارها تماماً طالما أن هناك ظهوراً لروح الناموس ، ولكن تأثير الحرية يظهر كاملا فقط بروح المسيح الذى فينا . وكما فى عتق الحرف هكذا فى جدة الحياة

توجـــد علاقة ثنائية : منظورة أو خارجية ، ثم باطنة أو اختبارية . فهناك الناموس ، خارجاً عنى ، ثم ناموس الخطية يوجـد فى أعضائى ويستمد قوته من الناموس الخارجى . هكذا الحال عندما نتحرر من الناموس ، هناك الحرية العلنية فى المسيح التى تقدم لنا بالإيمان ، ثم الامتلاك الشخصى لهـذه الحرية ، واختبارها فى الداخل فى ملئها وقوتها ، ويـكون نوالها فقط بواسطة الروح الذى يسكن فىّ ويملك فى أعضائى مثلما كان الحال مع ناموس الخطية ، وعندئذ فقط تتحول مرثاة الأسير « ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هــذا الموت ؟ » إلى أغنية المفديين « أشكر الله بيسوع المسيح ربنا . . . ناموس روح الحياة قد أعتقنى » .

والآن كيف ننظر إلى الحالتين المقدمتين أمامنا فى رومية (٧ : ١٤ - ٢٣ ، ٨ : ١ - ١٦) ؟ هل هما متبادلتان أم متتاليتان ، أم أنهما تحدثان فى وقت واحد ؟

يعتقد الكثيرون أنهما تعبير عن اختبار مختلف لحياة المؤمن ، فكلما استطاع المؤمن بنعمة الله أن يفعل ما هـو صالح ، وأن يحيا كما هـو مرضى عند الله ، فإنه يتمتع ببركة اختبار الأصحاح الثامن ، ولكن إذ يترك للخطية فرصـــة للظهور ، وعنـدما يسلم بعجزه أمامها فإنـه يعود يغوص فى اختبار الأصحاح السابع ، فأحياناً هذا الاختبار وأخرى ذلك الاختبار يكون هـو الغالب على الحياة ، وكل يوم يشهد اختبار الحالتين .

ويرى الآخرون أن هذه ليست حياة المؤمن كما يريدها الله ، وليس بحسب ما توفره نعمة الله وتضعه فى متناول أيدينا ، ويرى هؤلاء أن الحياة فى الحرية التى بها يحررنا المسيح عندما يسكن الروح القـدس فينا ، هـذه الحياة عندما نختبرها مرة تصبح لنا وكأننا قد تركنا وراءنا إلى الأبد اختبار رومية ٧ وأنه ليس لنا أن ننظر إليه إلا كاختبار حياة البرية فى تاريخ بنى إسرائيل ، اختبار

لن نعود إليه مرة أخرى ، ويستطيع الكثيرون أن يشهدوا بما قد صار لهم من النور والبركة بسبب الانتقال المبارك من عبودية الناموس إلى حرية الروح .

ومع ذلك ، فمهما يكن مقدار الحق فى هذا الرأى ، لكنه لا ينطبق تماماً مع الحقيقة ، فلا يوجد يوم يشعر فيه المؤمن بأنه قد تحرر نهائياً من هذا الاختبار « ليس ساكن فىَّ أى فى جسدى شىء صالح » . حتى وهو يحيا فى منتهى الفرح فى صنع مشيئة الله فهو متيقن تماماً أن هـذا ليس منه ولكنها نعمة الله ، وأنه ليس ساكن فيه شىء صالح . ومن ثم فعلى المؤمن أن يعرف أنه ليس الإختباران ولكن الحالتان توجدان فى آن واحد ، وأنه حتى حينما ينطبق اختباره تماماً مع ناموس روح الحيـاة فى المسيح يسوع الذى يعتقه بالحرية ، فهـو لا يزال يحمل فى ذاته جسد الخطية والموت . إن الحـرية التى يعطيها الروح ، والتحرير من سلطان الخطية ، وأغنية الشكر لله هى الاختبـار الدائم فى قوة الحياة المضمونة بروح المسيح ، عنـدما ننقاد بروح الله فنحن لسنا تحت الناموس ، وحرية الروح تطرح عنـا روح عبودية الناموس ، وعجز الجسد ، وما يخلفه الناموس من الإحساس بالدينونة ومرارة الفشل .

إن كل مؤمن يريد أن يتمتع باختبار المـلء الـكامل للروح ينبغى أن يتعلم هذا الدرس الذى يعلمه لنا هذا الفصل الكتابى فى قوة : أن الناموس ، والجسد ، والمجهودات الذاتية كلها عاجزة تماماً عن أن توفر لنا القـدرة على خدمة الله ، وأن الروح بسكناه فى الداخل ، عوضاً عن الناموس من الخـارج ، هو الذى يقودنا إلى الحرية التى قد حررنا بها المسيح ، وحيث روح الرب هناك حرية .

الفصل الثامن عشر

حـــرية الروح

« لأن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت . . . إن كنتم بالروح تميتون أعمـــال الجسد فستحيون »
(رو ٨ : ٢ و ٣)

فى الأصحاح السادس (ع ١٨ ، ٢٢) يذكر بولس الرسول لأهل رومية أننا فى المسيح يسوع قد أعتقنا من الخطية ، وأننا بموتنا للخطية فى المسيح قد تحررنا من سلطانها ، وإذ أعتقنا من الخطية وسلطانها وقبلنا المسيح بالإيمان صرنا عبيداً للبر ولله . ثم يتـكلم فى الأصحاح السابع (ع ١ - ٦) عن الحرية التى بها صرنا أحراراً من الناموس ، « لأن قوة الخطية هى الناموس » ، فالخلاص من الخطية والتحرر من الناموس يسيران جنباً إلى جنب ، وبالتحرر من الناموس نصبح متحدين مع المسيح الحى لـكى نخدم الله فى جدة الروح (رو ٤ - ٦) . وفى هذين الفصلين الـكنا بيين (٦ ، ٧ : ١ - ٦) يتكلم الرسول عن موضوع تحررنا من الخطية والناموس كحياة معدة فى المسيح يكون نوالها واستمرارها بالإيمان . وبحسب ناموس النمو التدريجى فى الحيـاة المسيحية فللمؤمن أن يدخل بالإيمان إلى هذه الشركة وأن يسير فيها بقوة الروح الذى به قد خُتم . ومن حيث الاختبار فإن كل المؤمنين تقريباً يمكنهم أن يشهدوا بأن حياتهم - حتى بعد أن عرفوا وقبلوا هذا التعليم - ليست كما كانوا يرجون ، فقد اختبروا الانحدار إلى اختبار الجزء الثانى من رومية ٧ بصورة فعليـــة مؤلمة ، وليس من طريقة أخرى سوى الإحساس الفعلى بالعجز لـكى يتلقنوا درسـين لهما أهميتهمـا العظمى : الأول هو أن الإرادة البشرية عاجزة تحت سلطان الناموس الذى يحثها على الطاعة أن تصنع براً إلهياً فى حياة الإنسان .

والدرس الثانى هو الحاجة القصوى للامتلاء الكامل بالروح القدس كالقوة الكافية الوحيدة التى يحتاجها كل واحد من أولاد الله .

فى النصف الأول من رومية ٨ نجد إقراراً لهذا الحق الأخير ، وفى هذه الرسالة يقـــدم الكاتب الملهم عرضاً للحيـاة المسيحية فى أطوار نموها فى المؤمن ، ونستطيع أن نلمس التقدم المطرد من خطوة لأخرى . وفى الأصحاح الثامن الذى يعرض فيه الرسول للكلام عن الروح القدس المرة الأولى نجد إزاحة الستار عن حياة الإيمان كما تحكى قصتها الأصحاحات (٦ - ٨) ، ومنه نستطيع أن نعرف أنه بقدر ما يدفع الروح الحياة ويحدد خطواتنا ، وبقدر ما نعرفه بوضوح ونقبله ليقوم بهذا الدور ، فإننا نستطيع أن نحظى بملء غنى النعمة التى لنا فى المسيح . ليت كل من يريد أن يعرف ماذا يعنيه أن نكون أمواتاً عن الخطية وأحياء لله ، أحراراً من الخطية وعبيداً لله ، أن نتحرر من الناموس ونصبح لآخر الذى أقيم من الأموات ، فليأت إلى هنا ليجد القوة التى يحتاج إليها فى ذلك الروح الذى يمكن به أن يستمر اتحادنا بالمسيح وأن يحيا حياته فينا فى قوة وحق .

ويعتبر العدد الثانى محور النصف الأول من الأصحاح ، إنه يكشف لنا عن السر العجيب فى كيف تكون الحرية من الخطية ومن الناموس اختباراً حياً دائماً . قد يعرف المؤمن أنه حر ومع ذلك قد يكون مضطراً أن يحزن لأن اختباره اختبار أسير شقى . إن الحرية فى المسيح هى حرية كاملة ، واستمرار الاتحاد الحى معه هو عمل يتم كله بقوة إلهية . وبقدر ما نعرف أن الروح يسكن فينا لأجل نفس هذا الغرض ، وبقدر ما نعرف كيف نقبله ونخضع له نستطيع بالحق أن نثبت فى الحرية التى بها حررنا المسيح ، ونستطيع أن نتمتع تماماً بالحيـاة والحرية التى تتكلم عنها (رومية ٦ ، ٧ : ١ - ٦) ، وبقدر ما نستطيع أن نردد القول « إن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت » .

« حسب إيمانك يكون لك » . إن هـــذه القاعدة تظل صحيحة فى كل أطوار الحياة المسيحية ، فبقدر ما يكشف لنا الروح القدس ، روح الإيمان ، عن عظمة قوة الله فى القيامة ، وبقدر ما نخضع بالإيمان فى الروح الساكن فينا لقبول تلك القوة فى ملئها ، نستطيع أن نتمتع كل يوم بكل ما هو مذخر لأجلنا فى المسيح يسوع . وبقدر ما نتبين الفرق بين هـــذا التعليم وسابقه (رو ٦ ، ٧ : ٦) بقدر ما ندرك كل ما يمكن أن يتحقق من تقـدم يترتب عليه ، ونعرف ما للروح من مكانة فريدة فى برنامج الفداء وحيـاة الإيمان . وكما أن حياة الحرية فى المسيح يسوع كاملة ، فهكذا أيضاً قوة تلك الحياة فى الروح القدس ، بها نستطيع أن نسلك فى تلك الحرية . إن الإحساس الدائم بسكنى الروح القدس سيصبح لنا ألزم ما تقوم عليه الحياة الجديدة فى المسيح يسوع .

« ناموس روح الحياة فى المسيح يسـوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت » . يقارن الرسول هنا بين الناموسين المتناقضين ، الأول ناموس الخطية والموت الـكائن فى أعضاء الجسد ، والثانى ناموس روح الحياة الذى يحكم ويبسط سلطانه حتى فى الجسد الفانى . تحت الناموس الأول رأينا المؤمن يتنهد كأسير شقى ، وفى النصف الثانى من رومية ٦ يصفه الرسـول وهو قد تحرر من الخطية وأصبح ـ بمحض اختياره ـ عبداً للبر ولله ، وترك خدمة الخطية ، ومع ذلك فهى مراراً ما تسود عليه . أما الوعد القائل إن « الخطية لن تسودكم » ، ولا إلى لحظة ، هـذا الوعد لم يتحقق له بعد . الإرادة حاضرة أما أن يفعل الحسنى فلا يجد ، ولا تزال صرخة العجز « ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت !! » ، تتردد وسط كل محاولاته لإتمام الناموس . لـكن جواب الإيمان الذى يطالب بالحرية فى المسيح من سلطان هذه القوة التى قيدته أسيراً فهو « أشكر الله بيسوع المسيح ربنا » .

هناك خلاص من الناموس ومن سلطان الخطية والموت الكائن فى أعضاء

الجسد، هذا الخلاص هو ناموس جديد، قوة أعظم، قوة فعلية قادرة أن تحرر من الخطية. وكما كان سلطان الخطية فى أعضائنا حقيقياً فهكذا وبصورة أقوى تكون قوة الروح الساكن فينا. إنه روح حياة المسيح، ومن هذه الحياة التى تمجدت فى القيامة والصعود والجلوس عن يمين العظمة فى الأعالى جاء روح الله الأزلى، الروح القدس الذى هو نفسه الله، جاء ليسكن فينا ويعطينا الحرية من ناموس وسلطان الخطية والموت الكائن فى أعضائنا، حرية حقيقية مثلما كانت العبودية. فى المراحل الأولى للحياة الجديدة كان الروح هو الذى يضع فينا الإيمان بالمسيح، وعندما دخلنا حديثاً إلى حياة البر كان هو الذى يسكب محبة الله فى قلوبنا، وهو الذى قادنا لنعرف ونختبر المسيح حياتنا وبرنا. ولكن كان هذا فى أغلب الأحيان فى كثير من الجهل بحضوره، وبالحاجة القصوى لقوته المقتدرة. وإذ يقاد المؤمن فى رو ٧ : ١٤ - ٢٣ ليكتشف الطبيعة العتيقة المتأصلة فيه وعجزها المطلق عن إتمام مطاليب الناموس، فإنه يأتى إلى فهم حق الروح القدس والقوة العظيمة التى بها يحرر عملياً من سلطان الخطية والموت، بصورة لم تحدث من قبل، ويكون ترديده لهذه الكلمات « ناموس روح الحياة قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت » ناتجاً عن إيمان عظيم واختبار مجيد. وكما كان ناموس الخطية والموت الكائن فى أعضائنا حقيقياً وقوياً، فهكذا الآن يكون ناموس روح الحياة.

إن المؤمن الذى يريد أن يعيش تماماً فى حرية الحياة فى المسيح يسوع سيعرف بسهولة ما هو السبيل الذى ينبغى أن يسلكه. إن رومية ٨ هو الغاية التى يرمى إليها رومية ٦ و ٧، وعلى كل مؤمن أن يدرس أولا ويقبل كل ما يتضمنه هذان الأصحاحان من تعاليم تختص بمركزه فى المسيح يسوع، أنه ميت عن الخطية وحى لله، حر من الخطية وعبد لله، حر من الناموس وعبد لآخر الذى هو المسيح. « إن ثبتم فى كلامى، تعرفون الحق والحق يحرركم ». ليت كلمة الله التى تعلمك عن اتحادك بالمسيح تكون هى تربة الحياة

التي يتعمق فيها إيمانك وحياتك كل يوم . عش فيهـــا ودعها تسكن فيك ، فالطريق للصعود والوصول إلى مستويات في الحق أعظم مما اختبرت قبلا ، هو الذي يعلمه لنا الكتاب ، ويتحقق بأن تلهج بكلمات الكتاب وتتمسك بها ، وتخبئها في قلبك وتهضمها بالإيمان والأناة ، وعندما نبلغ حالة اليأس الكامل في مجهودات الذات يتولد فينا الخضوع الكامل للروح الذي يحفظنا في الحرية التي حررنا بها المسيح ، والطريق إلى الثبات في حرية الروح أن نطرح عنا كل رجاء بالجسد أو الناموس .

ويلزمنا للسلوك في طريق هـذه الحيـاة الجديدة أن نتذكر بنوع خاص ما تعنيه هذه العبارة « السلوك حسب الروح » ، أي أن يكون الروح هو القائد والمرشد والموجه ، وهذا يتطلب الخضوع والطاعة له وانتظار قيادته . يجب أن يكون له السلطان ، وفي كل الأمور علينا أن نحيا ونسلك في خضوع لناموس الروح ، في خوف مقدس من أن نحزنه ، في ترقب وإحساس مرهف لمعرفة إرادته ، في إيمان يثق في حضوره الذي وإن يكن خفياً لكنه أكيد ، فنحمل له كل ولاء واحترام يليق بالله . هذه هي العلامات التي تتميز بها تلك الحياة . إن الكلمات التي يختم بها الرسول هـذا الفصل تعبر عن هـذه الغاية الوحيدة « إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون » ، وإذ يملك الروح القدس على الحياة ليجدد ويحيي كل قوى الروح والنفس ، ويملأ كل الكيان بحضوره ، فإنه بقوة حياته الإلهية يعطينا أن نميت أعمال الجسد ، وهذا ما نعتبره إتماماً للكلمة المكتوبة « ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطيـة والموت » ، وهـذا هو الخلاص في تقديس الروح » ، الأمر الذي دُعينا له .

« لأننا بالإيمان نسلك » ، هذا هو ما نحتاج بنوع خاص أن نتذكره من جهة « السلوك حسب الروح » . إن إعلان الابن وعمله هو أمر يتميز بالوضوح

على غير إعلان الروح فينا ، حتى إنه يلزمنا هنا قبل أى شىء آخر توفر الإيمان فى انتظار قيادة الروح . فقوة الروح العظيمة تستتر باتحادها الفعلى بضعفنا ، حتى إن الأمر يتطلب مثابرة وصبراً فى الإيمان والطاعة انصل للإحساس الكامل بحضوره . إنه قد تعهد بالحق أن يقوم بالعمل كله ، ويلزمنا مسحة مباشرة من الروح القدس تتجدد كل يوم فى شركة مع المسيح ، وفى انتظار دائم للآب . وهنا نحتاج أن نتذكر دائماً هذه الكلمة « آمن فقط ! » . ثق فى الآب وفى وعده . ثق فى الابن وفى حياته التى هى لك ، « حياتنا مستترة مع المسيح فى الله » . ثق فى الروح أنه هو الذى ينقل إلينا حياة يسوع ويضمن حضوره فينا ! ثق أنه قد حل فيك ، وثق أنه بقوته وأمانته سيعمل بطريقة إلهية أبعد مما يصل إليه إدراكك ! ليكن لك الإيمان أن « ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت » . اسجد أمام الله فى اتضاع عميق وسكن نفسك قدامه . انتظره ليعمل فيك بروحه القدوس فى قوة واقتدار . وإذ تنقاد النفس إلى الاتضاع فإن الروح يؤدى عمله المبارك المجيد ، فيعلن عن حضور يسوع ويضمن استمراره كنبع الحياة .

* * *

الفصل التاسع عشر

قيادة الروح

«لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو ٨ : ١٤)

ينظر الكثيرون إلى موضوع قيادة الروح باعتباره مجرد عرض أفكار لأجل إرشادنا ، فعندما يتطلب الأمر اتخاذ قرار فى مسائل متخالفة ، أو عند الحاجة لمعرفة السبيل الذى ينتهجونه من جهة بعض الأمور التى تختص بعمل الله ، فإنهم يسرهم كثيراً أن يتلقوا إشارة من الروح القدس عن الطريق السليم ويطلبونه ويشتاقون إليه لكن بغير جدوى . وإذا ظنوا أحياناً أنهم قد عرفوه فإن هذه المعرفة لا تعطيهم التأكيد أو الراحة أو النجاح الذى يعتبرونه الختم الذى يميز ما هو بالحق من الروح . وهكذا نرى أن هذا الحق الثمين الذى يتعلق بقيادة الروح عوضاً عن أن يحسم الأمور المتخالفة ، ويضع الحل لكل المسائل المعقدة ، ويكون مصدراً للراحة والقوة ، يصبح هو بذاته سبباً للارتباك .

وينشأ الخطأ عن عدم قبولنا للحق الذى اضطررنا أن نتكلم عنه وعن أهميته أكثر من مرة ، أن تعليم الروح وقيادته يحصل أولا فى الحياة وليس فى العقل . فعندما تتحرك الحياة وتتقوى بالروح ، فهى تصبح نوراً . وعندما نتغير عن شكل هذا العالم وروحه ، وعندما نصدر الحكم بالصلب والموت على كل ما يشاكل العالم وروحه فينا ، وعندما ننكر حياة وإرادة الجسد ونذللها ، فحينئذ تتجدد بروح ذهننا ، ويصبح العقل قادراً أن يختبر ويعرف إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة (رو ١٢ : ٢) .

وهذه العلاقة بين تقديس الروح الذى يحدث فى الحياة الداخلية وبين قيادته تظهر بوضوح فى هذه الكلمات : « إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون » (رو ٨ : ١٣) ، ويتبع هذا مباشرة « لأن كل الذين ينقادون

بروح الله فأولئك هم أبناء الله » ، بمعنى أن كل الذين ينقادون بالروح لإماتة أعمال الجسد هم أولاد الله . الروح القدس هو روح الحياة المقدسة التى كانت ولا تزال حياة المسيح يسوع ، والتى تعمل فينا كقوة حياة إلهية . إنه روح القداسة وعلى أساس هذه الصفة سيتولى القيادة ، وبه يعمل الله فينا أن نريد وأن نعمل من أجل المسرة ، وفيه يكملنا فى كل عمل صالح بحسب إرادته عاملا فينا ما يرضى أمامه . والانقياد بالروح يتضمن فى المقام الأول الخضوع له إذ يبكت على الخطية ، ويطهر النفس والجسد كهيكل لسكناه ، ويسود على الحياة فيملأها ويقدسها ويقوم بمهمة القيادة والإرشاد .

وفى دراستنا لما تعنيه قيادة الروح ، يعتبر من الأهمية بمكان أن نتمسك بهذا الفكر بكل مشتملاته ، فالذهن الروحى فقط هو الذى يستطيع أن يدرك الأمور الروحية ، والذى يستطيع أن يقبل قيادة الروح ، لذلك يجب أن ينمو الذهن روحياً ليصبح قادراً على فهم الإرشاد الروحى . قال بولس للكورنثيين إنهم ، رغم كونهم قد ولدوا من فوق ، لكن لأنهم لا يزالون جسديين أطفالا فى المسيح ، فلم يستطع أن يعلمهم الحق الروحى . فإن كان هذا يقال على التعاليم التى تأتى عن طريق الإنسان ، فكم بالأحرى بالنسبة للتعليم الذى يعطيه الروح مباشرة ، والذى بـه يقودنا إلى كل الحق ؟ إن أعمق أسرار الكتاب يستطيع الذهن البشرى - بحسب طاقته - الذى لم يتقدس بعـــد أن يقبلها ويدرسها ويقوم أيضاً بتعليمها ، ولكن الانقياد بالروح لا يبدأ فى الفكر أو الإحساس ، بل فيما هو أعمق من ذلك ، فى الحياة ذاتها حيث يعطى القوة التى تصوغ الإرادة وتشكل الشخصية . هناك يتخذ الروح القدس سكنه ، ومن هناك يوحى ويحرك ويدفع ، وتتم القيادة بأن يضع فينا الحياة والطباع والميول التى يمكن بأن تصدر عنها القرارات السليمة . « لتمتلئوا من معرفة مشيئته فى كل حكمة وفهم روحى » ، هذه الصلاة تعلمنا أن معرفة مشيئة الرب ينالها فقط الذهن الروحى ، والذهن الروحى يتوفر فقط بنمو الإنسان الروحى وبازدياد الأمانة فى الحياة

الروحية ، وكل من يريد أن يحظى بقيادة الروح يجب أن يُخضع ذاته لتكون حياته بجملتها ملكاً للروح القدس وممتلئة به . بعد أن تعمد يسوع بالروح « رجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس وكان يقتاد بالروح فى البرية » (لو ٤ : ١) ، « ورجع بقوة الروح إلى الجليل » (لو ٤ : ١٤) ، وبدأ خدمته فى الناصرة بالقول « روح الرب علىّ » .

كل اقتياد يتضمن التبعية ، ومن السهل علينا أن نعرف أنه لكى نتمتع بقيادة الروح يتطلب الأمر ذهناً قابلا للتعليم ومستعداً للاتباع . فالروح القدس لا يعوقه فقط الجسد كالقوة التى ترتكب الخطية ولكنه يعاق أكثر من الجسد فى محاولاته أن يخدم الله . ولكى نقوى على فهم تعليم الروح يوصى الكتاب أن الأذن يجب أن تختن بختان غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح . فيجب أن نتحذر من مشيئة الجسد وحكمته . يجب أن نصلبها وننكرها ، وينبغى أن نصم الأذن عن كل ما يريد الجسد بحكمته أن يقدمه ، سواء ما يصدر عنا أو من الناس حولنا . ينبغى أن نسعى دائماً أن ننكر الذات ولا نتكل عليها ، وأن يكون لنا الانتظار المحدد لله بالروح القدس ليعلمنا ويرشدنا سواء من جهة أفكارنا عن الله أو فى دراستنا لكلمته ، كما فى كل مرة نقترب فيها إليه فى سجودنا وتعبدنا ، وفى ذهابنا لخدمته . ومثل هذه النفس التى تنتظر كل يوم وكل ساعة طلباً للإرشاد الإلهى ونور المعرفة لا بد أن يكون لها حسب انتظارها بكل تأكيد . هل تريد أن تُقاد بالروح ؟ سلم يوماً فيوماً ليس فقط الإرادة والحكمة ولكن الحياة بجملتها ، وكل الكيان ، ولا بد حينئذ أن تنزل نار الله وتأكل الذبيحة .

وهذه القيادة بالروح يجب أن تعتمد على الإيمان ، وهذا فى معنيين : أن الإرشاد يبدأ حينما نتعلم فى خوف مقدس أن نعمل ونتصرف على أساس الثقة بأن الروح القدس فينا وأنه يقوم بعمله ، وأن سكنى الروح فينا هو تاج الكمال فى تدبير الفداء ، وأعظم ما فى سر التقوى العظيم ، لما ينطوى عليه من الأسرار

الروحية العميقة . وإن كان هناك شيء يجب أن يتوفر هنا فهو الإيمان الذى هو مقدرة النفس على التعامل مع غير المنظور ، مع الله نفسه ، وهو الذى يحس بحضور الله عند الاقتراب إليه وبحسب مقدار الإيمان يكون نوال ما يأتى إلينا به الله ، وهنا ينبغى أن الإيمان يخضع لله ببساطة ليعطى له الفرصة أن يفعل ويتمم ما وعد به . ينبغى أن نصلى وأن تتجدد ثقتنا ونسلم النفس فى خشوع ورضى وشكر واثقين فيما قاله المخلص « ويكون فيكم » . ينبغى أن نفرح لثقتنا أن الروح القدس يسكن فى القلب ، وأنه سيقودنا بطريقة يجب أن نطمئن لها .

وبهذه الثقة بوجود الروح القدس فى القلب يحتاج الإيمان أيضاً أن يتدرب فى كل مرحلة من الانقياد . فحين تكون هناك مسألة ما قد وضعتها أمام الرب ، فيجب بالإيمان أن أثق فى الله أنه لن يحجز إرشاده عنى . وكما قلنا من قبل إن هذا لا يحدث فى صورة مؤثرات طارئة ، وليس فى أصوات من السماء أو فى تدخل ملحوظ ، فهذا ما لا يجب أن نتوقعه من قيادة الروح العادية . لكن قد يأتى الوقت بعد أن تصبح طبيعتنا أكثر روحانية ، وحياتنا أكثر قرباً من الله غير المنظور ، الذى فيه تصبح أفكارنا ومداركنا بذاتها أكثر إحساساً للصوت المبارك . على أنه يجب أن نترك له هذا الأمر بنفس الكيفية التى نترك بها أمر رفع كفاءتنا الروحية . إن الدرجات الأولى من الدرج قد جعلت قريبة جداً ليتمكن من ارتقائها أضعف إنسان ، وفى قصد الله أن كل واحد من أولاده يتمتع بقيادة الروح فى كل يوم . ابدأ الطريق فى اتباع قيادة الروح بأن تؤمن ليس فحسب أن الروح فيك ولكن أيضاً بأنه يأخذ على عاتقه كل مسألة تضعها أمامه ويتعهدها بالعمل . أخضع ذاتك لله خضوعاً كاملا ، وثق فيه ثقة مطلقة أنه قد قبل خضوعك له ، وهذا يعنى أنك قد أودعت لقيادة الروح ، وبالروح سيقودك الرب ويملك على كل الحياة .

ولكن ألا نتعرض لخطر الانقياد بعيداً بسبب تصورات قلوبنا ، ونظنها قيادة الروح ما يتبرهن لنا فيما بعد أنه خداع الجسد ؟ وإذا كان الأمر كذلك

فكيف نجد ما يحمينا من هـذه الأخطاء ؟ والجواب الذى تعودنا أن نسمعه على هذا السؤال الأخير هو : كلمة الله . لكن هذا الجواب ليس سوى نصف الحق فهناك كثيرون جداً قد استعانوا بكلمة الله ضد خطر الانحراف ولم يكونوا أقل شططاً من الذين لا يقبلونها ، هذا لأنهم قبلوها كما يفسرها الذهن البشرى إذاً فالجواب السليم هو : أن القيادة الصحيحة هى التى تنطبق مع كلمة الله كما يعلمها لنا روح الله ، وأن سلامتنا هى فى التوافق الكامل بين الاثنين . نحتاج أن نذكر أنه كما أن كلمة الله قد أعطيت كلها بروح الله ، فهكذا ينبغى أن يكون تفسير كل كلمة منها بواسطة الروح نفسه . ونعود فنكرر أن هذا التفسير لا يأتى من الروح فى الأعالى أو خارجاً عنا موحياً إلينا بأفكار ولكن من روح الله الساكن فينا ، وأن الإنسان الروحى الذى يضع حياته كلها تحت سلطان الروح هو الذى يستطيع أن يتفهم المعنى الروحى للكلمة . ليتنا نزداد تمسكا بهذا الحق ، حيث أن كلمة الله قد أعطيت كلها بواسطة الروح القدس فإن اهتمامه الأكبر أن يكرم تلك الكلمة ، وأن يكشف عن كمال وملء الحق الإلهى المخبوء فى طياتها ، ليس بالروح مع قليل من الكلمة وليس بالكلمة مع قليل من الروح ، ولكن بالكلمة والروح اللذين يسكنان بغنى فى الداخل ، ونحن فى خضوع وطاعة كاملة لهما . هذا هو ضمان سلامتنا فى طريق الإرشاد الروحى .

وهذا يعود بنا ثانية الدرس الذى أشرنا إلى أهميته فى مستهل هذا الفصل ، أن قيادة الروح لا تنفصل عن تقديس الروح ، فليت كل من يريد أن ينقاد بالروح يبدأ بأن يودع نفسه لقيادة الكلمة بقدر ما تصل إليه معرفته بها . ابدأ بأن تطيع كل وصية . « احفظوا وصاياى وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر » . انفصل عن كل خطية وكل ما لا يتفق مع صوت الضمير ، واستودع الرب كل شىء ودعه يأخذ طريقه ، وكابن لله اجعل نفسك رهن إشارة الروح لتتبعه حيث يقودك (ع ١٤) . وهذا الروح نفسه ، الذى به تميت أعمال الجسد وتسلم نفسك لقيادته ، سيشهد لروحك فى فرح وقوة لم تختبرها من قبل أنك بالحق ابن لله لك أن تتمتع بكل امتيازات البنوية من محبة الآب وإرشاده .

روح الصلاة

« وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا ، لأننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى ، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها ، ولكن الذى يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح ، لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين » (رو ٨ : ٢٦ ، ٢٧) .

ثمة وظيفة من وظائف الروح القدس تقودنا إلى التعمق فى فهم مكانته فى سر الثالوث الأقدس ، تلك هى العمل الذى يقوم به كروح الصلاة . فنحن لنا الآب الذى نصلى إليه ويستمع الصلاة ، ولنا الابن الذى فيه نصلى ، والذى لأجل اسمه ننال الاستجابة ، ونصبح مالكين لها ، ولنا الروح القدس الذى به نصلى والذى يصلى فينا بحسب مشيئة الله بأنات عميقة لا يُنطق بها ، ولا يدركها أحد سوى الله الذى يفحص القلوب ليعلم ما هو اهتمام الروح . وعمل الروح القدس فينا فى رفع الصلوات التى تتوقع الاستجابة هو عمل ثابت وعجيب تماماً مثل عمل الله الجالس على العرش الذى فى نعمته الغنية يسمع لنا وبقوته العظيمة يستجيب الصلاة ويجعل لها فاعليتها . وهو أيضاً نظير عمل الابن فى تشفعه لأجلنا الذى يعطينا ضمان الاستجابة ويرسلها لنا من الأعالى ، فالشفاعة التى تتم فى الداخل هى بعمل الله تماماً كالشفاعة التى تجرى فى الأعالى . ولنحاول الآن أن نفهم كيف يحدث ذلك ، وماذا نتعلمه من هذا الدرس .

قبل خلق العالم كان كل شىء فى فوضى وبلا ترتيب ، وحجب كثيفة من الظلمة تغطى الوجود الخالى من الحياة ، وبعد أن دبت فيه الحياة بقوة الروح المحيية نجد أن كلمة الله أعطته شكلا وتكويناً ، فكانت كل مظاهر الحياة والإبداع التى نراها اليوم . وهذا ما حدث أيضاً عند خلق الإنسان ، نسمة الروح دخلت فى الجسد الذى صُنع من الطين ، واتحد الروح بما كان مادة

خالية من الحياة ، كما أنه به صارت أجسادنا هيكلا لله ، وأعضاء جسدنا أعضاء المسيح . إنه من صميم عمل الروح أن يتحد بما هو مادى ليرفعه إلى طبيعته الروحية ، ليصل به إلى ما سيكون فى المستقبل أسمى صورة للكمال وهو الجسد الروحانى .

وهذه الفكرة عن عمل الروح ضرورية لكى يتسنى لنا فهم المكانة التى له فى تدبير الفداء ، الذى فى كل جزء منه توجد وظيفة معينة لكل أقنوم من الثالوث الأقدس فى الآب لنا الله الذى لا يُرى خالق الكل ، وفى الابن نجد إعلاناً عن الله به صار الاقتراب إليه ، فهو صورة الله غير المنظور ، وفى الروح القدس لنا الله الذى يسكن فى الإنسان ، قوة الله تحل فى جسده لتحقق له كل ما هو فى فكر الآب والابن . إن مجال عمل الروح هو حيث يتوفر الضعف والضعة والهوان . إن ما كان فى فكر الآب ، وما قام به الابن ، يمكننا أن نمتلكه ، ويعمل فينا نحن أعضاء جسد المسيح الذين لا نزال هنا فى الجسد ، وهذا فقط يتم بواسطة شفاعة الروح القدس المستمرة .

هذا ينطبق بنوع خاص على صلاة التشفع ، فإن كنا نصلى لكى يأتى ملكوت الله ، ولأجل نمو المؤمنين فى النعمة والمعرفة والقداسة ، ولكى يزدادوا تكريساً لعمل الله وينالوا القوة لأجل ذلك العمل ، كل هذا نتوقع نواله من الله بواسطة المسيح . وهنا يظهر الدور الذى يقوم به الروح إذ يلهب قلوبنا شوقاً ورغبة ، ويدفعنا أن نطلب وننتظر ، ويشدد فينا الإيمان والرجاء ، ومن ثم تتضح المكانة العظيمة التى يشغلها الروح القدس الآن إذ عهد إليه أن يقوم بتجهيز جسد المسيح - كنيسته - ليبلغ كل ما أراده له الرأس . ولكى تصل إلينا بركة ومحبة الآب يجب أن يعمل الابن والروح كلاهما . وكما أن شفاعة المسيح المستمرة فى السماء تطلب وتنال من الآب باستمرار . فهكذا أيضاً شفاعة الروح المستمرة فينا تأتى إلينا بما يعطيه الآب لأجلنا .

ما أروع ذلك الضياء الذى تلقيه هـذه الـكلمات الـكتابية على هذا السر المقدس فى حياة الإيمان والصلاة، فهناك أمور نفهمها من كلمة الله وفى إمكاننا بالإيمان أن نعبر عنها ونطلبها، لـكن هنـاك ما هو أعمق من الأفـكار والإحساسات، إذ يضع الروح فينا رغبات وأشواق، فى منابع الحياة الباطنة التى لا يستطيع أحد سوى الله وحده أن يكتشفها ويدركها، مثل التعطش للإله الحى، والرغبة لمعرفة المحبة «الفائقة المعرفة»، والامتلاء «إلى كل ملء الله»، والثقة فى ذاك «الذى يستطيع أن يفعل فوق أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر» حتى ما لم يخطر على بال إنسان». فعندما نمتلىء بهذه الخواطر ونبدأ نصـلى بما لا نقوى على التعبير به، فإن ما يشجعنا هو أن الروح يعين ضعفاتنا وهو يصلى فينا بأنات لا ينطق بها، وفى لغة لا يقوى على فهمها وإدراكها إلا الذى يفحص القلوب.

كتب بولس إلى أهل كورنثوس يقول: «أصلى بالروح وأصـلى بالذهن أيضاً». تحت تأثير تحريك الروح القـــدس ومواهبه المعجزية تعرض الـكورنثيون لخطر إهمال دور الذهن، والخطر الذى نتعرض له نحن فى هذه الأيام هو عكس ذلك، أن نصلى بالذهن فقط، وهذا هو الأسهل والأكثر شيوعاً، لذا نحتاج أن نتذكر أنه مع الصـلاة بالذهن يجب أن تتوفر الصلاة بالروح وأن نكون «مصلين فى الروح القدس» (أف ٦ : ١٨، يهوذا ٢٠)] يجب أن نعطى لـكل شق من عمل الروح المزدوج مكانته المناسبة. يجب أن تسكن فينا كلمة المسيح بغنى، وأن نتمسـك بها بالإيمان، وأن نرددها فى الصلاة. إن سكنى كلمة المسيح فينا بغنى لتملأ الحياة هى إحدى دعائم الصـلاة المقبولة. وأيضاً ينبغى أن نتذكر دائماً أن الروح يشغل مكانه فى الداخل، فى قدس الأقداس، وهنا يصلى لأجلنا بما لسنا نعرفه وما لا نستطيع التعبير به. وكلما ازداد إدراكنا لألوهية ذلك الروح الذى يسكن فينـا، وتيقنا من حضوره فى الحياة، سوف نجـــد أنه بطريقة لا يقوى الذهن البشرى على

استقصائها يضع فينا الجوع والتعطش للبر والأشواق المقدسة للأمور الإلهية، وسوف نشعر بحاجتنا أن ينمو فينا الإيمان الفعال الذى يسعى لكى يتمسك بكلمة الله ويطيعها ، وبذلك نتعلم كيف نصلى . وبينما نصلى سنجد أن الله أعلى بما لا يقاس من مستوى إدراكنا . وهكذا الأمر بالنسبة لعالم الروح الذى تنقلنا إليه الصلاة ، لكن لنؤمن ونبتهج لأنه حيث يعجز القلب والجسد فهناك الله يشدد نفوسنا وخلف الحجاب فى قدس الحياة الداخلى هناك الروح يؤدى عمله المستمر فى الشفاعة ، ويصلى فينا بحسب مشيئة الله . وعندما نصلى دعونا نعطى الفرصة من حين لآخر للسجود فى خشوع عميق ونستودع أنفسنا لذلك البار اقليط المبارك الذى هو وحده بالحق روح النعمة والتضرعات .

« يشفع فى القديسين » . ولماذا لم يقل فينا مثلما قال « لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى » ؟ إن لفظ القديسين هو لفظ محبوب لدى الرسول بولس يعبر به عادة عن الكنيسة سواء فى بلد ما أو الكنيسة العامة فى كل العالم . وإنه من عمل الروح بسكناه فى كل مؤمن أن يجعل كل الجسد يتحقق من وحدته . وإذ تختفى الأنانية ، ويكتسب المؤمن ذهناً روحياً ، ويحس بأنه مرتبط بالجسد كله كمجموع ، وأن سلامة الجسد ونجاحه ينسب إليه ، حينئذ يدرك قيمة الصلاة « فى كل حين فى الروح لأجل جميع القديسين » . وبقدر ما نهب أنفسنا لهذه الخدمة فى رحابة صدر وقلب كبير يتثقل بكنيسة الله كلها ، بقدر ما يكون للروح مجال كبير أن يقوم بالشفاعة لأجل القديسين . وفى صلوات التشفع بنوع خاص نستطيع أن نركن إلى تشفعات الروح فى أنات عميقة لا ينطق بها ، وتقتدر كثيراً فى فعلها .

يا له من امتياز ! أن نكون هيكلا يرفع فيه الروح القدس صلاته بلا انقطاع للآب ، ويقدم تشفعاته التى لا ينطق بها ، والتى هى أعمق من أن تعبر عنها الكلمات . ويا لها من بركة ! أنه كما أن الابن الأزلى تجسد فى يسوع الناصرى ، وكان يصلى للآب كإنسان ، فهكذا الروح الأزلى يسكن فى أجسادنا

ليعلمنا كيف نتخاطب مع الآب كما فعل الابن . فمن ذا الذى لا يخضع نفسه لهذا الروح المبارك ليكون له نصيب فى عمل الشفاعة العظيم الذى به فقط يتم استعلان ملكوت الله ؟ ! إن الطريق مفتوح والجميع مدعوون ، فدع الروح القدس يملك عليك تماماً ، دعه يملأك ويصبح هو حياتك ، وثق أنه فى إمكانه أن يجعل كيانك ووجدانك مقراً لسكناه . ثق أنه يعمل ويصلى فيك بطريقة لا يقوى الذهن البشرى على إدراكها ، ومهما يكن من ضعف واضح لكن ليكن لك الإيمان أن قدرته الإلهية ستكمل مقاصد الله من نحوك ، وستحقق الاتحاد مع الرب المبارك . عش كمن أصبحت فيه الأمور التى تفوق كل عقل حقاً ثابتاً ، وشفاعة الروح جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية فى المسيح .

✤

الفصل الحادى والعشرون

الروح القدس والضمير

« أقول الصدق فى المسيح لا أكذب وضميرى شاهد لى بالروح القدس »
(رو ٩ : ١)

« الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله » (رو ٨ : ١٦)

إن أسمى صفات الله هى قداسته التى تجعله يبغض الشر ويعمل لكى يستأصله ، ويحب الصلاح ويفعله . ويقوم الضمير فى الإنسان بنفس هذا الدور ، فيدين الخطية ويعلن رضاه على الخير ، فالضمير هو ما تبقى من صورة الله فى الإنسان ، وهو أقرب ما فى الإنسان إلى الله . إنه الساهر على كرامة الله بين حطام الطبيعة الساقطة ، ومن ثم فإن عمل الله لفداء الإنسان لا بد أن يبدأ دائماً بالضمير . إن روح الله هو روح القداسة ، وينبغى أن يتحقق التوافق والانسجام بين عمل الروح القدس ، فى تجديد النفس وتقديسها ، وبين عمل الضمير . ولكى يمتلىء المؤمن من الروح القدس ، ويختبر البركة فى ملئها كما يعطيها الروح ، عليه أن يعرف أولا أنه من اللازم أن يعطى للضمير المكانة والكرامة التى له ، وأن الخطوة الأولى فى طريق الرجوع لحياة القداسة هى الأمانة للضمير .

ويعتبر الضمير المرهف الحس هو الصفة المميزة للروحانية الصادقة . وكما أن عمل الضمير هو أن يشهد للسلوك السليم إزاء فعل كل ما يجب أن نفعله ، ومن نحو الله ، فكذلك عمل الروح هو أن يشهد لنا أننا بإيماننا فى المسيح وطاعتنا له صرنا مقبولين أمام الله . ويزداد انطباق شهادة الروح وشهادة الضمير كلما تقدمت الحياة المسيحية ، وفى كل نواحى الحياة اليومية سوف نحس أنه يلزمنا أن نردد القول المبارك مع الرسول بولس « ضميرى شاهد لى بالروح القدس »

ويمكن تشبيه الضمير بنافذة الحجرة ونور الشمس يسطع منها ، ويمكننا أن نتطلع من خلال النافذة فنرى السماء تسطع بكل إشراق . وقلب الإنسان هو المخدع الذى تقيم فيه الحياة والنفس بقواها وعواطفها ، وعلى جدران ذلك المخدع قد نقش ناموس الله ، حتى بالنسبة للوثنيين لا يزال الضمير إلى حد ما يؤدى عمله بوضوح ، على الرغم من كل ما يجعله يعتم ويطمس ويشوه . وفى المؤمن يكتب الروح القدس الناموس من جديد بأحرف من نور ، التى قد تكون معتمة فى البداءة لكنها تزداد وضوحاً ولمعاناً عندما يزاح عنها الستار ، فتستقبل الضياء الذى يأتى من الخارج . وكل خطية يرتكبها الإنسان يكشف عنها النور الذى يسطع فى الداخل ويدينها . وإن لم يتم الاعتراف بالخطية والانفصال عنها ، فإن النفس تبقى فى تلوثها ، ويتدنس الضمير لأن الذهن رفض قبول التعليم الذى يعطيه النور (تيطس ١٥:١) . وبعد أن تدخل الخطية تلو الأخرى تظلم النافذة شيئاً فشيئاً حتى لا يعود النور يشرق منها مرة أخرى ، وبذا يتمادى الإنسان فى الخطية بغير مزعج وبضمير قد أصبح إلى حد كبير أعمى ومجرداً من الإحساس . وفى عملية التجديد لا يخلق الروح إمكانيات جديدة لكنه يجدد ويقدس تلك الموجودة أصلا . والضمير هو صنعة روح الله الخالق ، لذا فالاهتمام الأول لروح الله الفادى هو أن يسترد ما نجسته الخطية . وبعد أن يعود الضمير يؤدى عمله الكامل السليم ، وبعد أن تستعلن فيه نعمة المسيح العجيبة يبدأ « الروح يشهد لأرواحنا » ، ويعطى المؤمن الإمكانية أن يحيا متمتعاً برضى الله الكامل . وبحسبما تنظر نافذة القلب التى تفتح نحو السماء ، وبحسبما تحفظ نظيفة نستطيع أن نسير فى النور .

وعمل الروح الذى يؤثر به على الضمير هو عمل ثلاثى : عن طريق الضمير يجعل الروح ضياء ناموس الله المقدس أن يشرق فى القلب . قد تكون ستائر الغرفة مسدلة ، ومصاريعها مغلقة ، لكن هذا لا يمنع وميض البرق أن يسطع فيها من حين لآخر ويبدد الظلمة . ربما يكون الضمير قد لوثته وخدرته

الخطية بما جعل الرجل القوى يقبع فى الداخل فى أمان تام ، لكن عندما يبرق وميض البرق من جبل سيناء وينفذ إلى القلب يتيقظ الضمير من سباته ويصبح فى الحال قادراً على أن يدين الخطية ويؤيد الحكم الصادر عليها . وكلا الناموس والإنجيل فى دعوتهما للتوبة وتبكيتهما على الخطية يتفقان مع الضمير ، ولا بد أن يقول الضمير آمين ويصدق على الاتهام الموجه بسبب التعدى وعدم الإيمان لكى يتم التحرر بالفعل .

وبواسطة الضمير يجعل الروح أيضاً نور الرحمة أن يشرق ، فعندما تتلوث نوافذ المنزل تكون فى حاجة إلى الغسل ، فكم بالحرى يستطيع دم المسيح أن يطهر ضمائركم . إن قصد الله أن يصل دم المسيح الكريم إلى الضمير فيطهره ويسكت كل اتهاماته حتى يشهد قائلا : كل دنس قد أزيل . وتبدأ ينابيع محبة الآب فى المسيح تجرى فى نفس صافية نقية كالبللور « مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير » ، « لا يكون أيضاً ضمير خطايا » (عب ٩ : ١٤ ، ١٠ : ٢ ، ٢٢) . هذا ما قصد به أن يكون امتياز كل مؤمن ، وهذا يتم عندما يتدرب الضمير أن يصدق على كلام الله فيما يتعلق بقوة دم يسوع .

والضمير الذى قد تطهر بالدم يجب أن يحفظ طاهراً بالسلوك فى طاعة الإيمان ، وفى إشراق رضى الله . يجب أن يصدق الضمير على وعد سكنى الروح فى المؤمن وتعهده بأن يقودنا بحسب مشيئة الله ، فيجب أن يقول آمين ويثق أن الروح سيفعل ذلك . والمؤمن مطالب دائماً أن يسلك فى تيقظ وسهر ، وفى إحساس مرهف وتواضع لئلا يلومه الضمير فى أى شىء ، حتى لو كان بسيطاً ، لأنه لم يفعل ما يجب عليه ، أو لأنه عمل ما ليس من الإيمان . ولا يجب أن يقنع بما هو أقل من اختبار بولس المبارك « لأن فخرنا هو هذا ، شهادة ضميرنا أننا فى بساطة وإخلاص الله ، فى نعمة الله تصرفنا فى العالم » (٢ كو ١ : ١٢ ، أع ٢٣ : ١ ، ٢٦ : ١٦ ، ٢ تى ١ : ٣) . ودعونا نلاحظ جيداً هذه الكلمات : « فخرنا هو هذا شهادة ضميرنا » . وبحسبما تحفظ النافذة نظيفة

نقية بواسطة سلوكنـا فى النور نحظى بشركة مع الآب والابن ، وتشرق محبة الله فى قلوبنا . « أيها الأحباء إن لم تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله . . لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية أمامه » (١ يو ٣ : ٢١ ، ٢٢) .

وحفظ الضمير صـالحاً من نحو الله من يوم إلى يوم هـو أمر ضرورى جداً لحياة الإيمان ، ويجب أن يكون هـذا هو هدف المؤمن ، ويجب أن لا يقبل ما هو أقل من ذلك ، وله أن يثق أن الأمر فى متناول يده ، فالمؤمنون فى العهد القديم شُهد لهم ـ بالإيمان ـ أنهم قـد أرضوا الله (عب ١١ : ٤ ـ ٦ ، ٣٩) . وفى العهد الجديد يوضع هذا الأمر أمامنا ليس كمجرد وصية ينبغى أن تطاع ، ولكن كنعمة يعطيها الله نفسه ، « لتسلكوا كما يحق للرب فى كل رضى ، متقوين بكل قوة بحسب قدرة مجده » ، « ويكمل إلهنا كل مسرة الصلاح وعمل الإيمان بقوة » ، « عاملا فينا ما يرضى أمامه » (كو ١ : ١٠ ، ١١ ، ٢ تس ١ : ١١ ، ١ تس ٤ : ١ ، عب ١٢ : ٢٨ ، ١٣ : ٢١) . وكلما سعينا أن تكون لنـا شهادة من الضمير أننـــا نعمل ما هو مرضى أمامه ، كان إحساسنا بالحرية . وفى كل فشل يحيرنا علينا أن ننظر فى الحال إلى الدم الذى يطهر إلى التمـام ، ونزداد يقينـا أن الخطية الساكنة فينـا وكل أفعالهـا التى لا نزال نجهلهـا ولم تنكشف لنا إنما يغطيها ذلك الدم أيضاً . إن الدم الذى رُش به الضمير باق ويؤدى عمله هناك فى قوة حيـاة أبدية لا تزول ، وفى كهنوت لا يتبدل يخلص إلى التمام . « إن سلكنا فى النور كما هو فى النور فلنا شركة بعضنا مع بعض ، ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية » .

إن سبب ضعف إيماننـا لا يُعزى إلى شىء أكثر من النقص فى وجود الضمير المطهر . ولنلاحظ جيداً كيف يربط الرسول بين الاثنين فى (١ تى ١ : ٥ ، ١٩) « المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء » ، « ولك إيمان وضمير صالح الذى إذ رفضه قوم انكسرت بهم السفينة من جهة الإيمان أيضـاً » . وبنوع خاص ما ذكره فى (٣ : ٩) « ولهم سر الإيمان بضمير

طاهر ». فالضمير هو موطن الإيمان ، فمن يريد أن ينمو فى الإيمان وتكون له جرأة الثقة من نحو الله ، يجب أن يتأكد أنه يفعل ما يرضيه (١ يو ٣ : ٢١ ، ٢٢) . وقد أكد الرب يسوع أن وعد الروح بما يتضمنه من حضور الآب والابن ، والثبات فى محبته والقوة فى الصلاة ، هو لأولئك الذين يحبونه ويحفظون وصاياه ، فكيف نستطيع أن نطالب بهذه المواعيد بكل ثقة إن لم يشهد لنا ضميرنا فى بساطة الأطفال أننا قد تممنا الشروط ؟ إن الكنيسة قبل أن تتمكن من بلوغ غاية دعوتها العليا ، أو تطالب بما لها من مواعيد عظمى ، يجب أولا أن يقترب المؤمنون إلى الآب ولهم - مثل بولس - الفخر بشهادة ضميرهم أنهم بنعمة الله يسلكون فى بساطة وإخلاص الله . وهذا هو عمق الاتضاع ، إذ إنه يعطى المجد لله أكثر بسبب نعمته المجانية ، أن نقلع عن أفكار البشر ونقبل إعلان الله عما أعده لنا فى مقاصده العليا ، باعتبار أن هذا هو المقياس الوحيد لما يجب أن نكون عليه .

وكيف يكون الوصول لهذه الحياة المباركة التى يمكننا فيها أن نردد مع الرسول كل يوم قائلين : « أقول الصدق فى المسيح وضميرى شاهد لى بالروح القدس » ؟ الخطوة الأولى هى أن تنحنى فى اتضاع خاضعاً لتأنيب الضمير ، ولا تقنع بمجرد الاعتراف أنك ارتكبت خطأ جسيماً . واحذر من أن تخلط بين التعدى الفعلى والأفعال اللاإرادية التى تصدر عن الطبيعة الخاطئة ، فإن كنت تريد أن تهزم الأخيرة وتميتها بواسطة الروح الساكن فيك (رو ٨ : ١٣) فيجب أولا أن تعرف كيف تتعامل مع الأولى . ابدأ بمعالجة خطية واحدة ، واعط للضمير فرصة أن يؤنب على الخطية ويدينها وأنت فى صمت وخضوع واتضاع ، ثم تعهد للآب أنك بنعمته تنوى أن تطيعه فى هذا الأمر ، واقبل من جديد عطية المسيح أن يملك على قلبك ملكية كاملة ويسكن فيك كالسيد والحارس . ثق فيه بالروح القدس أنه سيفعل ذلك ، حتى وإن كنت تحس بالضعف والعجز . تذكر أن الطاعة وقبولك لكلمات الرب وحفظك

لوصاياه فى الإرادة والحيـاة ؛ هـذا هو الطريق الوحيد الذى به تبرهن على صـدق خضوعك له . ثم مهد بالإيمـان أنك بنعمة الله ستدرب نفسك دائماً « ليكون لك ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس » .

وبعد أن تكون قد بدأت هكذا بالنسبة لخطية معينة كرر العمل مع غيرها خطوة خطوة ، وكلما كنت أميناً فى حفظ الضمير طاهراً فسوف يسطع النور بكل بهاء فى قلبك ليكشف عن أية خطية لم تلاحظها من قبل ، ويجعل ناموس الله المكتوب بالروح القـدس على جدران القلب يزداد لمعـاناً . كن راغباً فى التعليم ، وثق أن الروح سيعلمك ، وكل مجهود صادق تبذله للإبقاء على الضمير المطهر بالدم طاهراً فى نور الله سيقابل بالتعضيد والعون من جانب الروح ، فقط أخضع ذاتك بكل قلبك لإرادة الله وعمل روحه القدوس .

وإذ تنحنى باتضـاع أمام وخزات الضمير ، وتهب نفسك بالتمـام لعمل إرادة الله تتشجع إذ تعرف أنه فى الإمـكان أن يـكون لك ضمير بلا عثرة . وهذه الشهادة من ضميرك لكل ما تفعله وسوف تفعله بنعمة الله ستلتقى بشهادة الروح لما يفعله المسيح وما سوف يفعله . ابـدأ يومك دائماً بأن تردد هـذه الصلاة فى بساطة كالأطفال : أيها الآب ، إن ضميرى المطهر بالدم يشهد لى أنه ليس هناك ما يحجب وجهك عنى ، فلا تدع ظل غمامة بسيطة يغطى هذا اليوم ؛ إنى أريـــد أن أتمم مشيئتك فى كل شىء ، وأن يسكن روحك فىَّ ليقودنى ويقوينى فى المسيح . وعندما تفعل ذلك ستدخل إلى حياة تفخر بالنعمة المجانية وحـدها ، وتردد فى ختام كل يوم : « فخرنا هو هـذا ، شهادة ضميرنا أننا فى بساطة وإخلاص الله ، فى نعمة الله ، تصرفنا فى العالم » ، « ضميرى شاهد لى بالروح القدس » .

الفصل الثانى والعشرون

إعلان الروح

« كلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة ، لكى لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله . لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين ، ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر . . بل نتكلم بحكمة الله فى سر ، الحكمة المكتومة . . . التى لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر . . . فأعلنه لنا الله بروحه . . . لأن أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله . ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله التى نتكلم بها أيضاً ، لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل بما يعلمه الروح القدس ... ولكن الإنسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله . . . أما الروحى فيحكم فى كل شىء » (١ كورنثوس ٢ : ٤ — ١٥) .

فى هذا الفصل يقارن الرسول بولس بين روح العالم وروح الله ، ووجه المقارنة هو من حيث الحكمة أو معرفة الحق . كان طلب المعرفة هو السبب فى سقوط الإنسان ، وبسبب الافتخار بالمعرفة نشأت الوثنيـــة ، « وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء » (رو ١ : ٢٢) ، واليونانيون أرادوا أن يصلوا إلى المجـــد عن طريق الحكمة والفلسفة واستقصاء الحق ، وكان فخر اليهودى فى معرفة إرادة الله « صورة العـــلم والحق فى الناموس » (رو ٢ : ١٧ - ٢٠) .

وعلى الرغم من ذلك فإنه عند ظهور المسيح حكمة الله على الأرض اشترك اليهود واليونانيون فى رفضه ، فحكمة الإنسان سواء توفر إعلان إلهى أم لا تعتبر غير كافية إطلاقاً لإدراك الله أو حكمته . كما أن قلب الإنسان هو أجنبى عن الله ، لذا فهو لا يميل أن يفعل إرادته ، وقد أظلم ذهنه بصورة لا يستطيع معها أن يعرف الله حق المعرفة ، وحتى بعد أن جاء المسيح وفيه أعلن نور ومحبة الله للناس ، نجدهم لم يعرفوه ولم يروا فيه جمالا .

وفى الرسالة إلى رومية يعالج الرسول بولس موضوع اتكال الإنسان على بره وعـــدم كفاية ذلك البر . وفى الرسالة الأولى إلى كورنثوس ، وخاصة الأصحاحات الثلاثة الأولى ، يشرح الرسول عدم كفاية حكمة الإنسان ليس فحسب لإدراك الحق الإلهى ومعرفة إرادة الله كما حدث مع اليونانيين ، لكن حتى مع الذين أعلنت لهم إرادة الله ـ أى اليهود ـ فقد أظهر الإنسان عجزه فى معرفتها بغير استنارة إلهيـة ، بالروح القدس . وعظماء هذا الدهر من اليهود والأمم قد صلبوا رب المجد لأنهم لم يعرفوا حكمة الله . وإذ يكتب الرسـول بولس إلى المؤمنين فى كورنثوس يحذرهم من الاتـكال على حكمة هذا الدهر . إنه لا يعالج بدعة يهودية أو وثنيـة ، لـكنه إنما يوجه كلامه إلى مؤمنين قد قبلوا تماماً إنجيله الذى ينادى بالمسيح مصلوباً ، بيـد أنهم كانوا فى خطر أن يتعاملوا مع الحق الذى يعظون به أو يسمعونه فى حكمة جسـدية ، فكتب إليهم يذكرهم أن حق الله ، باعتباره سراً روحياً مكتوماً ، لا يمكن إدراكه إلا بإعلان روحى ، ورفض اليهود للمسيح كان هو الدليل الدامغ على قصور حكمة الإنسان عن إدراك إعلان الله بغير استنارة روحية داخلية من الروح القدس . كان اليهود يفخرون بتمسكهم بكلمة الله وحفظهم لها وبأن حياتهم وسلوكهم يســـير بموجبها ، لـكن النتيجة أثبتت أنهم لم يفهموها قط فقد رفضوا المسيا بعينه الذى ظنوا أنهم كانوا ينتظرون ظهوره ويعلقون عليه آمالهم .

والإعلان الإلهى ، كما يصفه الرسول فى هذا الفصل يتضمن ثلاثة أشياء : أن فكر الله ومقاصده معلن عنها فى كلمته ، وكل واعظ يقوم بتوصيل الرسالة لا يجب فقط أن يملك الحق فيه ، ولـكن أن يتلقى تعليمه دائماً من الروح لـكى يتكلم بالحق . إن كل من يستمع لـكلمة الله لا بد له من استنارة داخلية حتى بحسبما يكون إنساناً روحياً ، وتـكون حيـــاته تحت سيطرة الروح ، يستطيع ذهنه أن يستوعب الحق الروحى ، فإذ يتوفر لنا فـكر المسيح يتسنى

لنا أن نميز الحق كما قد أعلن فى المسيح يسوع . وهذا هو التعليم الذى تحتاجه الـكنيسة وكل مؤمن فى هذه الأيام بنوع خاص .

من المسلَّم به فى كثير من الـكنائس أن بر الإنسان لا يكفى ، وأن الإنسـان عاجز بالحق عن إتمام ناموس الله ، لـكنهم لم يعترفوا بعدم كفاية حكمة الإنسـان ، وبينما نعترف بسرور بحاجتنا لتعليم الروح القدس بوجه عام نجد أن هـذا الحق المبارك لم يُعط مكانه اللائق به فى تعليم الـكنيسة أو فى حياة المؤمنين ، الأمر الذى يتيح الفرصة لحـكمة وروح هـــذا الدهر لإظهار قوتها .

ونجد البرهان على ذلك فيما ذكره الرسول بولس عن وعظه وكرازته : « كلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة ، لـكى لا يكون إيمانـكم بحكمة النـاس بل بقوة الله » . وهو هنـا لا يكتب إلى الغلاطيين عن إنجيلين ولـكن عن طريقتين للمناداة بالإنجيل الواحد عن صليب المسيح ، فيقول إن الـكرازة به بكلام الحكمة الإنسانية المقنع ينتج عنها إيمان له طابع مصدره ، فيبنى على حكمة الإنسان ، وطالما ظل يحصل على ما يقيم أوده من النـاس ووسائلهم فقد يثبت ويزدهر ، ولـكنه لا يمكن أن يقف بمفرده خاصة فى يوم التجربة وقد يصبح الإنسان مؤمناً بواسطة هذا النوع من الـكرازة ، ولـكنه يكون مؤمناً ضعيفاً ، أما الإيمان الذى هو وليد الوعظ بالروح والقوة فيثبت بقوة الله ، وكل مؤمن يأتى عن طريق الـكرازة بالروح القدس لتكون له الشركة القوية بالإله الحى فإن إيمانه يثبت بقوة الله . إن الأغلبية الساحقة من أعضاء كنائسنا هم فى ضعف شديد واعتلال على الرغم من توفر وسائط النعمـة ، إنهم لا يملـكون إلا القليل جداً من الإيمان الذى يثبت بقوة الله ، والذى يستطيع أن يقهر العالم ويطهر القلب ويعمل أعمالا مجيدة . وهذا يجعلنا نخشى لئلا يكون الجزء الأكبر من كرازتنا بالإنجيل ـ على الرغم من الاخلاص ـ يؤدى فى حكمة الناس أكثر

يَنبغي الله نزيد أنك تزيد وأنا أنقص ماذا تزيد
يا حبيب حبك عجيب

من أن يكون ببرهان الروح والقوة . إن أى تغيير نشتهى حدوثه فى الروح التى بها يكرز وعاظنا ، أو فى جموع الذين يستمعون إليهم ، يجب أن يبدأ فى حياة المؤمن الشخصية .

يجب أن نتدرب على أن نتجنب حكمتنا الذاتية . « اتكل على الرب من كل قلبك ، وعلى فهمك لا تعتمد » . ويتكلم بولس إلى المؤمنين قائلا : « إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فليصر جاهلا لكى يصير حكيماً » (١كو ٣ : ١٨) .

وإذ يعلمنا الكتاب أن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات فهذا يشمل الذهن الجسدى الذى يحدثنا عنه الكتاب . فكما أنه فى صلب الذات أسلم برى الذاتى ، وقوتى الذاتية ، وإرادتى الذاتية لحكم الموت حيث أنه لا خير فيها ، وأنظر إلى المسيح فى قوة حياته لكى يعطينى البر والقوة والإرادة المرضية أمامه ، كذلك يجب أن يتم هذا بنوع خاص بالنسبة لحكمتى . إن عقل الإنسان من أعظم قدراته التى بها تتحقق مشابهته لله ، ولكن الخطية قد سادت عليه وملكت فيه ، وقد يوجد مؤمن حقيقى لكنه إلى حد بعيد يحاول بذهنه الطبيعى أن يعى حق الله وأن يثبت فيه ، والسبب فى أن الكثير من الدراسات الكتابية والتعاليم الكتابية لا قوة لها على رفع الحياة وتقديسها إنما يُعزى ببساطة إلى أنه ليس هو الحق كما يعلنه ويلقنه الروح القدس .

هذا المبدأ يظل سليماً وينطبق على كل حق سبق أن تعلمناه بالروح القدس ، لكن بعد أن احتفظنا به فى الذهن أصبح الآن يأخذ مكانه فى الذاكرة ، وكما كان المن يفقد فى الحال طبيعته السماوية عندما يخزن فى الأرض ، فهكذا الحال بالنسبة للحق الذى يأتينا من السماء ، يفقد حيويته الإلهية إن لم تتجدد لنا فى كل يوم المسحة بالذهن . ويحتاج المؤمن يوماً فيوماً وساعة بعد الأخرى أن يتيقن أنه ليس هناك شىء يساعد قوة الجسد وقوة حياة الجسد على تثبيت أقدامها

بمكر ودهاء قدر قيام العقل بإظهار النشاط نحو فهم كلمة الله ، لذا ينبغى أن يعرف المؤمن أن من واجبه أن يسعى دائماً - بحسب تعبير الرسول بولس - « لكى يصير جاهلا » ، وفى كل مرة يأتى إلى كلمة الله أو يتأمل فى الحق الإلهى عليه أن ينتظر إتمام الوعد أن الروح سيعلمه . كما أنه يحتاج أيضاً أن يطلب دائماً من جديد الأذن المختونة ، الأذن التى استئصل منها نشاط الذهن ، والتى فيها يصغى روح الحياة فى المسيح يسوع فى طاعة مثلما فعل المسيح نفسه ، وعندئذ يمكن أن تتم فيه الكلمة المكتوبة « أحمدك أيها الآب لأنك أخفيتها عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال » .

إنه درس له أهميته وخطورته ، فهل عرفنا أنه يجب أن يتوفر التوافق التام بين ما يحتويه الوحى من الأمور الروحية وبين فهمنا الروحى لها ؟ ثم بين فهمنا لها وتوصيلها للآخرين فى قوة الروح ؟ وأخيراً بين توصيلنا لها وقبولها بالروح من جانب أولئك الذين ننقلها لهم ؟ ليت هذه الكلمات التى نطق بها الرسول توضع نصب أعيننا ونحن ندرس الكلمة أو نقدمها للآخرين ، سواء فى وعظنا أو كتاباتنا ، « لأن أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله . فأعلنه لنا الله بروحه » . وعلينا أن نعلم ونعلم أن البركة والقوة التى قصد بالكلمة أن تعطيها ، لا تتحقق من كثرة ما نقرأ أو الوضوح الذى نستجليه ، أو اللذة التى نحصل عليها من المعرفة الكتابية ، ولكن بقدر ما يكون لنا من اتكال حقيقى على الروح القدس . ولا تنطبق هذه الكلمات « أكرم الذين يكرموننى » بصورة أكثر من انطباقها فى هذا المجال . إن صلبنا للذات وحكمتها واقترابنا فى ضعف وخوف ورعدة كثيرة كما فعل بولس لا بد وأن يقابل من الأعالى باستعلان الروح والقوة .

أيها المؤمن : تذكر عندما تأتى إلى الكلمة لتدرسها ، أو فى سماعك لها ، أنه يجب أن نور الروح يشرق فى داخلك ، ويجب أن يتكرر عمل إنكار الذات سواء مع نفسك أو من جهة علاقاتك مع الآخرين ، فتنكر حكمتك

الذاتية وتخضع ذاتك بالإيمان المعلم الإلهى وثق كل الثقة أنه يسكن فى داخلك ، وهو يريد أن تكون له سيادته الكاملة على حياتك ، وأن يقدس الداخل لتكون فى خضوع وطاعة كاملة ليسوع ، وابتهج وأنت تجدد خضوعك له . ارفض روح العالم ، الذى لا يزال فيك ، بحكمته واتكاله على ذاته ، وتعال بانسحاق فى الروح ليقودك روح الله . « لا تشاكلوا هذا الدهر » فى اتكاله على الجسد والذات وحكمتها ، « بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة » . الحياة المتغيرة المتجددة هى التى تسعى لمعرفة إرادة الله الكاملة التى سيعلمها الروح لها . كف عن الاستناد على حكمتك الذاتية . انتظر الحكمة فى الإنسان الباطن كما وعد بها الله ، وسوف تزداد قوة لتشهد عن الأمور التى لم تخطر ببال إنسان لكن « أعلنها لنا الله بروحه » .

« تعالى بانسحاق فى الروح ليقودك روح الله »
اذ كسرت قلبك من اجلى أنا ... ها قارورة الطيب اكسرها هنا

* * *

جسدى أم روحى

« وأنا أيها الأخوة لم أستطع أن أكلمكم كروحيين ، بل كجسديين . كأطفال فى المسيح ، سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون ، بل الآن أيضاً لا تستطيعون ، فإنه إذ فيكم حسد وخصام وانشقاق ألستم جسديين وتسلكون بحسب البشر ؟ » (١ كو ٣ : ١ – ٣)

« إن كنا نعيش بالروح فلنسلك أيضاً بحسب الروح » (غل ٥ : ٢٥)

فى الفصل السابق قارن الرسول بولس بين المؤمن كإنسان روحى وغير المؤمن كإنسان طبيعى ، أو بين الإنسان الروحانى والإنسان النفسانى (١ كو ٢ : ١٤ ، ١٥) وهنا يستأنف هذا التعليم فيقول للكورنثيين إنهم رغم قبولهم الروح لكنه لا يستطيع أن يدعوهم روحيين ، فهذا اللقب لا يُخلع إلا على أولئك الذين لم يقبلوا الروح فحسب ، بل أخضعوا ذواتهم له ليملك ويسود على الحياة برمتها . أما الذين لم يخطوا بعد هذه الخطوة ، الذين لا يزال سلطان الجسد ظاهراً فيهم أكثر من سلطان الروح ، فلا يمكن أن يقال عنهم روحيين ، لأنهم لا يزالون جسديين . ومن ثم فهناك ثلاث حالات لا بد وأن تنطبق إحداها على أى أنسان : غير المجدد وهو الإنسان الطبيعى الذى ليس له روح الله ، والمجدد الذى لا يزال طفلاً فى المسيح إما لأنه قد تجدد حديثاً وإما لأنه قد وقف فى مكانه ولم يتقدم إلى الأمام ، وهذا هو الإنسان الجسدى حيث إنه خاضع لسلطان الجسد ، ثم المؤمن الذى أصبح للروح السيادة الكاملة عليه ويُطلق عليه لفظ الإنسان الروحى . إن هذا الفصل غنى بالتعاليم عن حياة الروح فينا .

المؤمن الحديث لا يزال جسدياً : يعتبر التجديد عملية ولادة فيها تتجدد الروح التى هى مركز وأساس الشخصية ، ثم يأتى روح الله ليملك على هذه الروح الجديدة ، لكن لا بد من توفر الوقت الكافى لكى تسرى القوة من

المركز لتصل إلى كل أجزاء الحياة . إن ملكوت الله يشبه بذرة ، أما الحياة فى المسيح فهى الباذرة . و يعتبر أمراً ضد نواميس الطبيعة والنعمة على السواء إن كنا نتوقع من الطفل فى المسيح أن تظهر عليه علامات القوة التى لا توجد إلا فى الفتيان ، أو فى الوالدين . وحتى لو توفر فى المتجددين حديثاً قلب موحد وإيمان عظيم مع محبة صادقة وتكريس عميق للمخلص ، فـــلا بد من الوقت الكافى لأجل معرفة أعمق عن الذات وعن الخطية ولأجل استنارة روحية عن إرادة ونعمة الله . ولا عجب وليس غريباً إن كنا نجـد فى المؤمن الحديث أن العواطف تتحرك من الأعماق وأن الذهن هو الذى يُسر بالتأمل فى الحق الإلهى ، لـكن مع النمو فى النعمة تصبح الإرادة هى العنصر الأهم ، فانتظار سلطان الروح ليظهر فى الحياة والصفات أهم من التلذذ بتلك الأفكار والصور التى يقدمها العقل عن الحياة . ولا عجب إن كنا نرى أن الطفل فى المسيح لا يزال جسدياً .

كثيرون من المؤمنين يظلون جسديين : إن الله لم يدعنا فقط للنمو لـكنه قد وفر لنا كل أسباب وإمكانيات النمو ، ومع ذلك فإنه أمر يدعو الأسى أن نجـــد كثيرين من المؤمنين ، مثل الكورنثيين ، يظلون أطفالا فى المسيح فى الوقت الذى كان ينبغى أن يتقدموا نحو الكمال ليصلوا إلى « الإنسان الكامل » . وفى بعض الحالات يقع اللوم على الكنيسة وعلى تعليمها أكثر مما على الأفراد أنفسهم ، إذ تنادى بالخلاص أنه يتكون أساساً من الغفران والسلام ورجاء المجد السماوى ، أو حتى إذا تكلمنا عن أهمية الحياة المقدسة . لكننا لا نعلم الحق بوضوح وفى قوة الروح القدس أن المسيح هو قداستنا ، وإن لنا فيه القوة الـكافية لتجعلنا قديسين ، وكذا من جهة وعد سكنى الروح القدس ، لذا فلا عجب إن كان النمـو يتعطل حدوثه ، فالجهل والأفـكار البشرية الخاطئة عن الإنجيل كقوة الله للخلاص لحياة مقدسة ، هذه هى سر البلاء .

وفى حالات أخرى يكمن الخطأ فى عدم رغبة المؤمن فى إنـكار الذات

وصلب الجسد إن دعوة يسوع لكل تلميذ من تلاميذه هي : « إن كان أحد يريد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه » . إن الروح لا يُعطى إلا للمطيع ، وهو لا يستطيع أن يؤدى عمله إلا فى أولئك الذين يرغبون بالتمام أن يسلموا الذات لحكم الموت . لقد دل وجود خطية الحسد والخصام على أن الكورنثيين كانوا لا يزالون جسديين .

فعندما يرغب المؤمن أن يودع خطية الأنانية وحدة الطبع سواء فى العلاقات العائلية أو فى الدائرة الأوسع فى الكنيسة أو فى الحيـــاة العامة ، وعندما يريد أن يحتفظ بحرية الاستسلام للمشاعر الخاطئة أو أن يلتمس العذر لنفسه عنها ، وعندما يصدر المؤمنون أحكامهم على الآخرين ويتكلمون كلمات ليست فى محبة كاملة ، فعندئذ يظلون جسديين ، ورغم كل معرفتهم وتلذذهم بالأمور الإلهية وخدمتهم فى ملكوت الله لكنهم لا يزالون جسديين وليسوا روحيين . إنهم يُحزنون روح الله القدوس ، ولا يمكن لهم أن يشهدوا بأنهم يسلكون كما يحق للرب فى كل رضى . إن الله محبة ، وإن كنا نريد أن نودع حياة الجسد فلنظهر المحبة ، « وعلى جميع هذه البسوا المحبة التى هى رباط الكمال » .

المؤمن الجسدى لا يستطيع فهم الحق الروحى يكتب بولس إلى الكورنثيين قائلا : « سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون ، بل الآن أيضاً لا تستطيعون » كان الكورنثيون يفتخرون بحكمتهم ، وشكر بولس الرب لأنهم قد « استغنوا فى كل علم » ، ولم يكن فى تعليمه شيء قد عجزوا عن فهمه ، لكن الدخول إلى عمق الحق ليمتلكوه ويملك عليهم لكى تكون لهم ليس مجرد المعرفة ولكن الامتلاك الحقيقى لما تعبر عنه الكلمات ، هذا لا يمكن أن يكون إلا بالروح القدس ، وهو يعطيه فقط لمن لهم الذهن الروحى إن تعليم الروح وإرشاده يعطى للطائع ، ولا بد أن يسبقه أن الروح يبسط سلطانه لأجل إماتة أعمال الجسد (رو ٨ : ١٣ ، ١٤) . إن المعرفة الروحية ليست أفكاراً عميقة ولكنها حياة فى شركة وثيقة ، فى اتحاد مع يسوع الذى هو

الحق . وليست هى القوة على الإدراك ، ولا حتى الرغبة الجادة فى معرفة الحق هى التى تؤهل الإنسان لقبول تعليم الروح ، لكنها الحياة المخضعة له فى اتكال وانتظار وطاعة كاملة ليصبح الإنسان روحياً ، هذه هى الطريق لنوال الإدراك الروحى والحكمة الروحية .

ومن السهولة بمكان أن نعرف إلى أى مدى تؤثر الحياة الجسدية بتصرفاتها على الذهن الجسدى بعلمه وما هو رد الفعل ، فكلما أذعنا للجسد كان عجزنا عن قبول الحق والحصول على الاستنارة الروحية ، فقد تكون لنا معرفة « بجميع الأسرار وكل علم » بغير المحبة ، المحبة التى ينشئها الروح فى الحياة الداخلية ، فالعلم ينفخ ولا يفيد شيئاً . إن الحياة الجسدية تجعل المعرفة جسدية ، والاحتفاظ بهذه المعرفة فى الذهن الجسدى يقوى ديانة الجسد التى تنادى بالاتكال على الذات والمجهودات البشرية ، وعندما نقبل الحق على هذا النحو يتجرد من القوة على التجديد والتحرير ، ولا عجب إن كنا نجد الكثير من التعاليم الكتابية والمعرفة الكتابية مصحوبة بقليل جداً من النتائج الروحية فى حياة القداسة . ليت كلمة الله تصل إلى مسامع الكنيسة ، « فإنه إذ فيكم حسد وخصام ألستم بعد جسديين ؟ » . فإن لم تكن لنا الحياة الروحية فى الاتضاع والمحبة وإنكار الذات ، فإن الحق الروحى لا يمكن أن يصل إلى الحياة أو يفيدنا بشىء . المحبة وحدها هى النور ، والخلو من المحبة ظلمة (١ يو ٢ : ٩) .

الله يدعو كل مؤمن ليكون روحياً . لقد وبخ بولس الكورنثيين بعد خروجهم من حياة الوثنية بسنوات قليلة لأنهم كانوا بعد جسديين . إن الفداء العظيم الذى صنعه المسيح كان يهدف إلى إزالة كل ما يعوق الروح عن أن يجعل قلب الإنسان وحياته منزلا جديراً بسكنى الله فى الروح . ولم يفشل الفداء فى مقاصده ، فقد جاء الروح ليعلن بدء عهد لم يكن معروفاً من قبل ، عن مجىء الحياة والقوة من عند الله لتسكن فى الإنسان . إن مواعيد الآب

ومحبته ، وتمجيد الابن ، ومجيء الروح إلى الأرض - كل هذه عربون وضمان لإمكانية تحقيق ذلك . وكما أنه فى الإمكان أن يصبح الإنسان الطبيعى إنساناً مجدداً ، فإنه بالمثل يمكن للإنسان الذى تجدد ولا يزال جسدياً أن يصبح إنساناً روحياً .

لكن لماذا لا يحدث ذلك ؟ إن هذا السؤال يقودنا إلى ذلك السر العجيب غير المدرك بشأن حرية الإرادة التى منحها الله للناس ليقبلوا أو يرفضوا عطاياه ، وأن يكونوا أمناء للنعمة المقدمة لهم . وقد فرغنا للتو من الإشارة إلى عدم الأمانة من جانب الكنيسة بسبب تقديمها تعاليم خاطئة عن سكنى الروح القدس فى المؤمن ، وعن قوته لتقديس الحياة ، ومن جانب المؤمنين بسبب عدم رغبتهم فى ترك كل شيء يعطل الروح من أن يملك عليهم ملكية كاملة ، ويقوم بعمله الكامل فيهم ، ويحسن بنا أن نحاول مرة أخرى أن نسرد كل التعاليم الكتابية عن الطريقة التى بها نصبح روحيين .

إن الروح القدس هو الذى يخلق الإنسان الروحى . إنه وحده هو الذى يستطيع أن يفعل ذلك ، وهو يفعله بكل تأكيد عندما يخضع الإنسان بجملته له . إن ما يميز الإنسان الروحى ، وما يحول المؤمن الجسدى إلى روحى ، هو إخضاع الكيان بجملته للروح القدس ليؤثر عليه ويقدسه ، فيخضع لسلطته أولا الروح ثم النفس بما لها من الإرادة والمشاعر والعقل ، وحتى الجسد أيضاً يخضع له فينقاد الإنسان ويتحرك بواسطة الروح .

والخطوة الأولى لتحقيق ذلك هو بالإيمان . يجب أن يتوفر فينا الاقتناع الحى العميق أن الروح القدس فينا ، وأنه هو قوة الله العظيمة قد جاء ليسكن ويعمل فينا . إنه الممثل الشخصى للمسيح الذى يجعل من حضوره فينا حقيقة مؤكدة كالملك الفادى القادر على أن يخلص . وبسبب المجد الفائق لهذا الحق الإلهى نجد أن الله يسكن فينا فينشأ فينا خوف مقدس ممتزج بالفرح والثقة ،

إذ أننا فى بساطة الأطفال نعرفه كالباراقليط الذى يحقق لنــــا حضور الله الثابت فى القلب . ويجب أن الفكر بأن الروح القدس يجعل مسكنه فينا وأن فى أرواحنا يختفى مكان راحته ، يحدو الحياة دائماً .

وعنـدما نمتلىء بالإيمان به وبما سيفعله ونكتشف أن عمله فينـا لم يُنجز بعـد ، فلنبحث عن المعطل ، وسوف نرى أن هناك قوة تقاومه هى الجسد . إننـا نعرف من كلمة الله أن للجسد تأثيراً مزدوجاً ، فمن الجسد لا ينبع الشر فحسب بل أيضاً البر الذاتى ، وينبغى أن نعترف بكليهما ونخضعهما لذاك الذى يعلنه الروح لنا كالرب من السماء ويجعله يملك فى قلوبنا . يجب أن نطرح كل ما هو من الجسد ، حتى تلك التى تبدو أنها توافق الدين ، فكل اتكال على الجسد ، وكل المجهودات التى تبذلها الذات ينبغى أن تُطرح خارجاً ، ونستأسر الذات وقوتها لطاعة المسيح ، وفى اتكال عميق على الله كل يوم نقبل الروح القدس وننتظره ونتبعه .

وإذ نسلك هكذا بالإيمان والطاعة نستطيع أن نستند على الروح القـدس ليعمل فينـا أعماله الإلهية المباركة . والإيمان الذى نحتـاجه هو أن نؤمن أن روح الله يسكن فينا ، ثم يتبع ذلك « فلنسلك أيضاً بحسب الروح » ، هذه هى الطاعة المطلوبة منا ، وبالإيمان فى ذلك الروح القـــدس الذى يسكن فينا نعرف أن لنـا فيه القوة الـكافية لنسلك حسب الروح ، فلنخضع ذواتنا له ليعمل فينا أن نريد وأن نعمل ما هو مرضى أمامه .

هيكل للروح القدس

« أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم ؟ »
(١ كو ٣ : ١٦)

كان الهيكل سابقاً يرمز لسكنى الله فينا بالروح القدس ، وتدعونا كلمة الله لندرس وجه الشبه بين الاثنين . لقد صُنع الهيكل بكل ما فيه حسب المثال الذى رآه موسى على الجبل فى ظلال ألقتها الحقائق الروحية الخالدة وكانت الظلال رمزاً لها وإحدى هذه الحقائق التى كان الهيكل ظلا لها هى طبيعة الإنسان المثلثة ، ولأن الإنسان قد خُلق على صورة الله فإن الهيكل لم يكن فقط إظهاراً لسر اقتراب الإنسان إلى محضر الله المقدس ، ولكن بالمثل إيضاحاً للطريقة التى بها يدخل الله إلى داخل الإنسان ليتخذ له مسكناً فيه .

وإننا لعلى دراية بأقسام الهيكل الثلاثة : فقد كانت هناك الدار الخارجية وهى الجزء الخارجى الذى تقع عليه أنظار الجميع ، والذى يمكن أن يدخل إليه أى واحد من الشعب ، وفيه تؤدى الطقوس الدينية الخارجية . ثم يأتى بعده القدس الذى لا يصرح لغير الكهنة بالدخول إليه لكى يقدموا تقدماتهم لله من الدم أو البخور ومن الخبز أو الزيت ، لكن رغم أنهم الآن قريبون لكن ليس لهم أن يدخلوا إلى داخل الحجاب ولا يُسمح لهم أن يأتوا إلى محضر الله مباشرة . وقد كان الله يسكن فى قدس الأقداس ، فى نور لا يدنى منه حيث لا يجترىء أحد على الاقتراب ، وإن دخول رئيس الكهنة مرة واحدة فى السنة لوقت محدود كان ليعطى للذهن فكرة واضحة أنه ليس للإنسان مكان هناك إلى أن يأتى الوقت عندما ينشق الحجاب ويُرفع

الإنسان هو هيكل الله ، وفيه أيضاً توجد الأقسام الثلاثة : الجسد يشير إلى الدار الخارجية ، الحياة الخارجية المنظورة حيث ينبغى أن يسير السلوك

وفق ناموس الله ، وحيث تتلخص كل الخدمة فى التأمل لما عمل لأجلنا وخارجاً عنا لكى يقربنا إلى الله . ثم بعد الجسد تأتى النفس بحياتها الداخلية وإمكانياتها الممثلة فى العقل والشعور والإرادة ، وفى الإنسان المجـــدد تعتبر النفس هى القدس الذى تذرعه الأفكار والعواطف والميول جيئة وذهاباً مثلما يفعل الكهنة فى القدس مقدمين لله خدمتهم تحت سيطرة الشعور والإحساس . ثم يأتى خلف الحجاب القدس الداخلى المختفى بعيداً عن أنظار كل الناس وبعيداً عن كل الأضواء ، قدس الأقداس حيث يسكن الله وحيث لا يُسمح لإنسان بالدخول حتى يأتى الوقت عندما ينشق الحجاب بحسب أمر الله . والإنسان ليس له جسد ونفس فحسب ولكن له روح أيضاً ، فأعمق جداً مما تستطيع أن تصل إليه النفس بأحاسيسها هناك طبيعة روحية تربط الإنسان بالله . وما أرهب سلطان الخطية الذى بسببه أسلم بعض الناس ذواتهم لحكم الموت . إنهم شهوانيون ليس لهم روح الله . وبالنسبة للآخرين لم تعد الروح أكثر من قوة ساكنة فى انتظار إحياء الروح القدس لها . وفى المؤمن تشغل الروح مخدع القلب الداخلى حيث يملك الروح القدس ، ومن ذلك المكان ينتظر ليقوم بعمله المجيد جاعلا النفس والجسد قدساً للرب .

ومع ذلك فإن هذه السكنى إن لم ندركها وندعن لها ونحرص عليها فى إجلال وتقدير فكثيراً ما تسفر عن بركة ضئيلة . إن الدرس العظيم الوحيد الذى نحتاج أن نتعلمه من هذا الحق بكوننا هيكل الله لأن روح الله يسكن فينا هو أن نتيقن من حضوره المقدس فينا ، وهذا وحده سيجعلنا نعتبر أن الهيكل بجملته حتى إلى الدار الخارجية مقدس له ولخدمته ، وأن نسلم ذواتنا بكل ما لها لقيادته وإرادته . إن أقدس مكان فى الهيكل ، والذى لأجله جُعل الباقى ، والذى كان الكل يعتمد على وجوده ، هو قدس الأقداس . ومع ذلك فلم يكن للكهنة مطلقاً أن يدخلوا إلى هناك ، وليس لهم أبداً أن يبصروا المجد

الذى يحل هناك ، لكن كان كل سلوكهم يسير وإيمانهم يتقوى بسبب ما يوحيه فيهم هذا الفكر عن حضور الله غير المنظور هناك . وقد كان هذا هو الذى جعل رش الدم وإحراق البخور له قيمته . وبسبب نفس هـــذا الفكر كان اقترابهم امتيازاً أعطاهم أيضاً الثقة أن يخرجوا إلى الخارج ليباركوا الشعب . وقدس الأقداس هو الذى جعل من مكان خدمتهم مكاناً مقدساً ، وكان إيمانهم بحلول المجد خلف الحجاب بغير أن يروه هو الذى يبعث فيهم الشعور بالرهبة وهو الذى يتحكم فى الحياة برمتها .

ولا يختلف الأمر عن ذلك بالنسبة للمؤمن ، فإلى أن يتعلم بالإيمان أن يرتعد بسبب هذا السر العجيب أنه هيكل الله لأن روح الله يسكن فيه فهو لا يمكن أبداً أن يستودع ذاته للدعوة العليا التى دُعى بها فى إجلال مقدس وفى ثقة تبعث البهجة فى نفسه . وطالما أنه يتطلع فقط إلى داخل القدس ، فى القلب ، بحسبما يستطيع الإنسان أن يرى ويميز ما يجرى هناك، فإنه عبثاً سيلتقى بالروح القدس بل سيجد ما يسبب الخجل والحزن المرير لأن أعماله ضعيفة وقليلة . يجب أن يعرف أن هناك قدس الأقداس فى ذلك الهيكل الذى نحن هو . إن وجود قدس أقداس الله فينا يجب أن يصبح هو الحق الأساسى الذى عليه يبنى كل سجود وتعبد يتم فى ذلك الهيكل ، وهذا ما ينطوى عليه اعترافنا وإيماننا بالروح القدس .

وكيف يكون لنا هذا الإيمان العميق بسكنى الله غير الظاهر فينا ؟ لكى نستند إلى كلمة الله المباركة يجب أن نقبل ونمتلىء بما تعلمه لنا . يجب أن نتنبه لنؤمن أن الله يعنى ما يقول ، فنحن هيكل لله تماماً مثل ذلك الهيكل الذى أمر الله قديماً ببنائه ، وأرادنا أن نرى فيه مثالا لما يجب أن نكون عليه ، فهناك قدس الأقداس وهو الشىء الرئيسى وأهم أقسام الهيكل . كان دائماً يخيم عليه الظلام ويلفه الصمت وهو فى منأى عن الأنظار إلى أن يحين الوقت لإزاحة الحجاب ، وكان على هذا النحو يشحذ إيمان الكهنة والشعب . وبالمثل قدس

الأقداس فى داخلى مخفى لا تبصره عين ، الإيمان وحـــده هو الذى يدركه ويتعامل معه ، فينبغى عندما أدنو من محضر الله القدوس أن أجثو أمامه فى احترام واتضاع عميق ، معترفاً أنى أؤمن بما يقوله لى روحه القدوس الواحد مع الآب والابن هو الآن فى هذا الوقت يسكن فى داخلى . وبعد قضاء فترة من التأمل والصمت لـكى يسودنى شىء من المجد الفائق بسبب هذا الحق الإلهى المجيد عندئذ يبدأ الإيمان يتحقق أنى هيكله وهو يرتقى عرشه فى داخلى حيث لا تراه عين ، وكلما أخضعت ذاتى فى سجود وتأمل وفتحت له كيـانى تماماً فسوف يشرق يوماً فيوماً نور حضوره بقوة حية وفى محبة إلهية .

وبحسب ما يملك هذا الفكر على القلب فلابد أن تظهر علامات سكناه رغم أن حضوره غير ظاهر . ومن قدس الأقداس سوف يمتد سلطان الروح ليصل إلى القدس ، فيسيطر على النفس بكل أفكارها وأحاسيسها ، بعواطفها ورغباتها ، وتعترف النفس بالسلطان المقدس لذاك الذى يقيم فى الداخل على العرش ، ووسط الاختبار الأليم بالفشل بسبب الخطية سيبزغ فجر رجاء جديد ، ورغم أنى جاهدت كثيراً من قبل بكل عزم ولم أستطع أن أحفظ لله المكان المقدس هذا لأنى لم أكن أدرى أنه يريد قدس الأقداس ، فإن كنت أقدم له المجد الذى يليق به فى سجود مقدس يتميز به الهيـكل الداخلى ، فسوف يرسل نوره وحقه ليسرى فى كل كيانى وسوف يعلن عن قوته لتقديس الحياة والبركة . وبعد أن تـكون النفس قد خضعت له يمتد سلطانه ليصل حتى إلى الجسد . إن الروح القـــدس إذ يسيطر على الأشواق والرغبات فى النفس ويستأسر كل فـكر لطاعته ، سيمتد تأثيره خلال النفس ليتعمق أكثر فى الجسد ، وبالروح تموت أعمال الجسد ، وتسرى مياه النهر الذى ينبـع من عنـد عرش الله والخروف لتصل إلى كل أجزاء الطبيعة الخارجية فتبعث الطهر والحياة .

أخى ليكن لك الإيمان أنك هيكل الله الحى وروح الله يسكن فيك ! لقد نلت ختم الروح القدس ، وهذا الختم هو العلامة الأكيدة والضمان الحى أنك

ابن لله وأن الآب يحبك ، إن كان هذا الفكر لم يحقق إلا تعزية قليلة فانظر لئلا يكون هناك سبب آخر . لقد بحثت عن الله فى القدس بين ممارسات حياتك الداخلية التى تتم على مرأى منك ، ومن الصعب أن تلمس وجوده هناك ، ولذا فلم تحصل على التعزية والقوة التى قصد بالمعزى أن يعطيها . كلا يا صديق ، ليس هناك ، فإلى ما هو أعمق ، فى قدس أقداس العلى ، هناك تجده ، فى داخلك ، فى إنسانك الباطن هناك يستطيع الإيمان أن يتبينه . وبينما يؤدى الإيمان تعبده فى خشوع عميق والقلب يرتعد إذ يفكر فيما اهتدى إليه ، انتظر الروح ولك كل الثقة أنه لا بد أن يملأ هيكله بمجده .

ثم تذكر أن الحجاب كان إلى حين ، وفى الوقت المعين انشق حجاب الجسد . وبحسب ما تخضع حياتك الداخلية للروح،وتستمر حركة المرور بين قدس الأقداس والقدس بغير توقف ، فإن الوعد يكون قد تحقق لك . وفى قوة ذاك الذى فيه انشق الحجاب لكى يسرى الروح من جسده الممجد سوف تنال اختباراً إذ يرفع الحجاب بين القدس وقدس الأقداس ليصبح الاثنان واحداً، ويشيع المجد الذى كان مخفياً فى قدس الأقداس ليعم حياتك اليومية ، وعندئذ تؤدى الخدمة فى القدس بقوة الروح الأزلى .

أخى ، دعنا نجثو فى سجود وتعبد !

« اسكتوا يا كل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه » .

الفصل الخامس والعشرون

خدمة الروح

« كفايتنا من الله ، الذى جعلنا كفاة لأن نكون خدام عهد جديد ، لا الحرف بل الروح ، لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيي ، ثم إن كانت خدمة الموت قد حصلت فى مجد ، فكيف لا تكون بالأولى خدمة الروح فى مجد » (٢ كو ٣ : ٥ - ٨) .

فى كل رسائل بولس لم يوضح الرسول مفهوم الخدمة المسيحية مثلما فعل فى رسالته الثانية إلى كورنثوس ، فقد تطلب الأمر أن يبرهن على رسوليته أمام الافتراءات التى قامت ضده ، ولقد تحركت نفسه من الأعماق بسبب إحساسه بالقوة الإلهية والمجد العامل فيه وهو فى شدة الضعف والغيرة الشديدة التى امتلأ بها قلبه المحب لكى يوصل للآخرين الرسالة التى تثقل بها ، وهذا جعله يميط اللثام عن أسرار الحياة العميقة التى تجعل من الإنسان خادماً حقيقياً للمسيح بالروح . وفى الفصل الكتابى موضوع الحديث يذكر الرسول أنه قد وجد كفايته من القوة وما يحدو مسيره ويحفزه فى هذه الحقيقة أنه قد صار خادماً للروح ، وعندما نجمع العبارات المختلفة التى يرد فيها ذكر الروح القدس فى النصف الأول من الرسالة نستطيع أن نتبين مكانة الروح القدس ودوره فى الخدمة ، وما هو مفهوم الخدمة تحت قيادته وبقوته .

وسوف نلمس السلطان الذى يتكلم به الرسول فى رسالته ، ويبدأ كلامه بأن يضع نفسه فى مستوى واحد مع القراء . وأول ما يتكلم عن الروح يذكرهم أن الروح الذى حل فيه هو بنفسه الذى حل فيهم ، « الذى يثبتنا معكم فى المسيح وقد مسحنا هو الذى ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح فى قلوبنا » (١ : ٢١ و ٢٢) . إن هدف مسحة المؤمن بالروح هو أن يكون فى شركة مع المسيح ، ولكى يستطيع أن يعرف علاقته به ، والختم هو العلامة

التى تميز المؤمن أنه من خاصة الله والتى تعطيه يقيناً بذلك ، فعربون الروح هو الباكورة أننا نتأهل للميراث السماوى فى المجد ، وقد صار هو وهم شركاء فى هذه كلها . فعلى الرغم مما كان فى حياة الكورنثيين من الأخطاء والأمور التى لا تليق بالقداسة كان الرسول يتكلم إليهم ويفكر فيهم ويحبهم كمن صاروا واحداً معه فى المسيح - « الذى يثبتنا معكم فى المسيح وقد مسحنا » - وهذا الشعور العميق بالاتحاد يملأ نفسه ويظهر فى كل رسائله وهو سر قوته (١ : ٦ و ١٠ ، ٢ : ٣) ، « فرحى هو فرح جميعكم » ، « بأنفسنا لكم عبيداً » (٤ : ٥) ، « الموت يعمل فينا ولكن الحياة فيكم » (٤ : ١٠ - ١٢) ، « لأن جميع الأشياء هى من أجلكم » (٤ : ١٥) ، « إنكم فى قلوبنا لنموت معكم ونعيش » (٦ : ١١ ، ٧ : ٣) فإن كان الاتحاد فى الروح والاحساس بأننا أعضاء بعضنا مع بعض يجب أن يتوفر فى كل المؤمنين ، فكم بالأكثر يجب أن تكون هذه هى الصفة المميزة لكل من يخدم الله ؟ ! إن قوة الخدمة تتوقف على وحدانية الروح وعلى الإدراك الكامل بأن المؤمنين جميعاً شركاء هذه المسحة ، ولأجل ذلك يجب أن يعيش الخادم دائماً كشخص ممسوح ومختوم ليبرهن على أن له عربون الروح فى قلبه .

والنص الثانى فى (٣ : ٣) « إنكم رسالة المسيح مخدومة منا مكتوبة بروح الله الحى ، ليس فى ألواح حجرية بل فى ألواح قلب لحمية » ، فكما أن كتابة الناموس على الألواح الحجرية كانت عملا مميزاً قام به الله نفسه فهكذا الأمر بالنسبة لناموس الروح فى العهد الجديد . وهذا هو الحق الذى يجب أن تستند إليه الخدمة ، فليس أننا نحتاج للروح القدس ولكن هو الذى ينتظر ليقوم بالعمل وهو لا بد فاعله عندما تستمر العلاقة معه على ما يرام . ويعلمنا اختبار بولس فى كورنثوس (أع ١٨ : ٥ - ١١ ، ١ كو ٢ : ٣) أنه مهما كان إحساسنا بالضعف ومهما يكن فينا من الخوف والرعدة الكثيرة والإحساس بالعجز ، أو بمعنى أفضل هذه هى الشروط التى يجب أن تتوفر فينا إن كان

لقوة الله أن تستقر علينا . إن رسالتنا كلها تؤكد هذه الحقيقة : أن الإنسان الذى كان يوماً تحت حكم الموت عندما يحمل فى نفسه موت الرب يسوع فإن قوة حياة المسيح تظهر فيه . إن روح الله يقف فى مواجهة روح الجسد والعالم والذات بكل أعمالها وقوتها ، وعندما تنكسر شوكته ولا يبقى للجسد ما يفتخر به فإن الروح يبدأ عمله . ليت لسان كل خادم يكون مهيئاً للروح القدس ليستخدمه كقلم يكتب به !

ثم نأتى إلى كلمات هذا الفصل (٣ : ٦ و ٧) وهى تعطينا فكرة عن الصفة التى تتميز بها خدمة الروح فى العهد الجديد : « الروح يحيي » ، وعلى النقيض فإن « الحرف يقتل » . وهذا لا ينطبق فقط على الناموس فى العهد القديم ولكن - كما يعلمنا الكتاب - على كل معرفة ليست فى قوة الروح المحيي . فكما أن الناموس روحى فكذلك الإنجيل له حرفيته فقد تتم الكرازة بالإنجيل بكل وضوح وإخلاص ، وقد يعطى تأثيراً أدبياً قوياً . ورغم ذلك يتأسس إيمان الناس على الحكمة البشرية وليس بقوة الله . إن ما تحتاج الكنيسة أن تطلبه بكل إلحاح لأجل خدامها وأبنائها هو استرداد خدمة الروح فى ملء قوتها ، وليت الله يعطى كل مؤمن أن يحيا فى قوة المسحة وله ختم وعربون الروح الذى يسكن فيه . فمن الأهمية بمكان أن نعرف ماذا يعنيه القول إن الحرف يقتل والروح يحيي ، وفوق كل شيء كيف تكون الحياة التى يعمل فيها الروح بحرية .

ويستطرد الرسول بولس ليقارن بين المجيء المختلف للروح فى العهدين والصفات المختلفة التى يتميز بها أولئك الذين يعيشون فيهما فيوضح أنه طالما أن الذهن أعمى فهناك برقع على القلب لا يمكن أن يُرفع إلا بالعودة للرب ، ثم يضيف قائلا : « أما الرب فهو الروح ، وحيث روح الرب هناك حرية . ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح » (٣ : ١٧ و ١٨) . ولأن « الله

روح ، فله أن يعطى الروح بعد أن تمجد الرب يسوع بدخوله إلى حياة الروح أصبح هو « الرب الروح » وله أن يعطى العهد الجديد ، وفى ذلك الروح يأتى هو بنفسه ليسكن فى شعبه . لقد عرف التلاميذ يسوع وعاشوا معه ردحاً من الزمن بغير أن يعرفوه أنه هو الرب الروح ، هذا الكلام أيضاً يذكره بولس عن نفسه (٢ كو ٥ : ١٦) ، فقد تنطوى الخدمة على الكثير من الحقائق الكتابية والكرازة بالرب يسوع مصلوباً بغير أن ينادى به كالرب الروح لكن على قدر ما يكون إدراكنا لهذا الحق الأخير واختبارنا له ومناداتنا به بقدر ما تكون البركة المزدوجة التى يتكلم عنها بولس هنا « حيث روح الرب هناك حرية » ، فيدخل المؤمن إلى حياة الحرية المجيدة التى لأولاد الله (رو ٨ : ٢ ، غل ٥ : ١ ، ١٨) ، وعندئذ يتم فينا القول « نتغير إلى تلك الصورة عينها كما من الرب الروح » . إنه لا بد أن يقوم بالعمل الذى أرسل لأجله ليعلن فينا عن مجد الرب ، وعندما نبصر ذلك المجد نتغير من مجد إلى مجد . قبل أن يأتى يوم الخمسين قيل إن « الروح لم يكن قد أعطى بعد لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد » ، ولكن بعد أن دخل المسيح إلى مجده أقبل الروح من « المجد الأسنى » إلى قلوبنا ، ونحن ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد يالها من دعوة ! وما أمجدها من خدمة ! أن نبصر مجد الرب المذخر لمفدييه ، وأن يعمل فينا الروح لنتغير إلى صورة المسيح ، « فإذ لنا هذه الخدمة . . لا نفشل » . وعلى قدر ما تكون معرفتنا للمسيح واعترافنا به كالرب الروح ، واعترافنا بروح المسيح بأنه هو الذى يغير المؤمنين ليكونوا على صورة المسيح ، بقدر ما تؤدى الخدمة فى حياة وقوة وتكون بالحق هى خدمة الروح .

إن سر قوة الخدمة من جانب الله هو الروح ، ومن جانب الإنسان هو الإيمان كما فى كل شىء آخر . ويأتى ذكر الروح بعد ذلك فى (٤ : ١٣) « إذ لنا روح الإيمان » ، فبعد أن أوضح الرسول فى ص ٣ مجد خدمة الروح ،

وفى (٤ : ١ - ٦) مجد الإنجيل الذى تنادى به نجده يتحول إلى الأوانى التى تحتوى هذا الكنز . ويضطر أن يعلن عن ضعفه الظاهر ، لكن بدلا من أن يتأسف على ذلك نجده يشرح ما يعنيه هذا الضعف مبرهناً كيف آل هذا إلى قوته لأن فى ضعفه استطاعت القوة الإلهية أن تعمل ، وهى تقوم بعملها على هذا النحو لكى « يرجع فضل القوة لله لا منا » ، وبنفس الطريقة استمرت شركته الكاملة مع يسوع إذ حمل فى نفسه دائماً « إماتة الرب يسوع لكى تظهر حياة يسوع أيضاً فى جسده المائت » ، وبذلك حتى فى آلامه كان هناك عنصر التضحية وإنكار الذات الذى تميزت به آلام السيد ، « الموت يعمل فينا لكن الحياة فيكم » . ثم يضيف معبراً عن القوة التى كانت تحدوه وسط كل تعب وجهاد : « فإذ لنــــا روح الإيمان عينه » الذى نقرأ عنه فى الكتاب « حسب المكتوب آمنت لذلك تكلمت ، نحن أيضاً نؤمن لذلك نتكلم أيضاً عالمين أن الذى أقام الرب يسوع سيقيمنا نحن أيضاً بيسوع ويحضرنا معكم » .

الإيمان هو الإيقان بأمور لا ترى . إنه يرى ويعيش فيه . إنه يبدأ بالثقة فى يسوع « الذى وإن كنتم لا ترونه لكن تؤمنون به فتبتهجون » ، ويستمر فى كل مراحل الحياة المسيحية . إن كل ما هو من الروح هو بالإيمان ، والعمل العظيم الذى يقوم به الله لكى يفتح قلوب أولاده لقبول ملء الروح هو بأن يدرب إيمانهم ليتحرر تماماً من المنظور ويستريح فى الله أكثر بسبب اليقين أن الله يسكن فيهم ويعمل باقتدار فى ضعفهم ، ومن ثم كانت التجارب والآلام . ويستخدم بولس أسلوباً جديراً بالملاحظة وهو يتكلم عن آلامه (١ : ٩) « كان فى أنفسنا حكم الموت لكى لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذى يقيم الأموات » . فحتى الرسول بولس كان فى خطر أن يتكل على نفسه ، وليس فى هذا غرابة فكل حياة تتضمن اتكالا على الذات ، يستمر هــــذا الاتكال على الذات إلى أن تغيب الحياة . لكن من جهة العمل العظيم الذى كان على الرسول أن يقوم به لم يكن فى حاجة أن يتكل على أحد سوى الله الحى

الذى يقيم الأموات . وقد قاده الله لهذا الاختبار بأن أعطاه وسط الضيق الذى جاء عليه فى آسيا أن يحمل فى نفسه حكم الموت ، وكان امتحان الإيمان هو سر قوته . ثم يعود الرسول فيعلن أن شركة موت المسيح بالنسبة له هى الطريق والضمان لاختبار قوة حياة المسيح ، وفى روح هذا الإيمان يقول : « عالمين أن الذى أقام الرب يسوع سيقيمنا نحن أيضاً » .

لقد كان بعد أن مات المسيح أن الروح انبثق منه ، وحياة يسوع بعثت من القبر . إنها حياة من الأموات . وإذ نموت فى كل يوم ونحمل فى أنفسنا موت يسوع ، وإذ نصلب الجسد والذات والطبيعة ونبقيهما تحت حكم الموت ، وعندما نصدر حكم الموت على كل ما هو من الذات والطبيعة ، فعندئذ تستعلن فينا حياة وروح المسيح ، وهذا هو روح الإيمان أننا وسط الضعف والموت الظاهر نتكل على الله الذى يقيم الأموات ، وفى خدمة الروح يفتخر الإيمان بالضعفات لتحل عليه قوة المسيح فإن كان الإيمان لا يتعثر بسبب ضعف الإناء وطبيعته الخزفية ، وحين يخضع ويسلم بأن فضل القوة سيكون ليس منا ولا من أى شىء نحس به ولكن من الله وحده ، فعندئذ لا بد أن يعمل روح الله فى قوة الإله الحى .

ونلتقى بنفس هذا الفكر فى شاهدين آخرين ، فيتكلم الرسول فى (٥ : ٥) عن « عربون الروح » ، وصلته بالآلام والأوجاع التى يجتازها المؤمنون ، ثم فى (٦ : ٤) يقدم لنا الروح وسط الشدائد والضرورات التى تعتبر العلامة التى تتميز بها خدمة الروح . « فى كل شىء نظهر أنفسنا كخدام الله فى صبر كثير ، فى شدائد . . . فى الروح القدس . . . كمائتين وها نحن نحيا ، كمؤدبين ونحن غير مقتولين ، كحزانى ونحن دائماً فرحون ، كفقراء ونحن نغنى كثيرين » . إن قوة المسيح فى الروح القدس كانت بالنسبة لبولس حقيقة حية حتى إن ضعف الجسد قاده بالأحرى ليبتهج ويثق بها أكثر ، وكان الروح القدس الساكن والعامل فيه هو الينبوع المخفى والقوة الإلهية لخدمته .

ولنا أن نتساءل : هل أخذ الروح القدس مكانته فى خدمتنا مثلما كان فى خدمة بولس ؟ إن كل مؤمن وكل خادم يهمه جداً أن يعرف الجواب عن هذا السؤال ، ونحن لا نقصد هنا مجرد الاعتراف بالحاجة القصوى ليعمل الروح القدس ، ولكننا نتساءل عما إذا كانت تعطى له الفرصة - لضمان حضوره - التى تتطلبها مكانته فى الكنيسة كما يريدها له الرب يسوع . عندما نتلىء بهذا الحق المجيد أن روح الله يسكن فينا ، وفيه يعمل المسيح الحى ، وأنه هو الذى يحقق لنا حضور الرب الممجد معنا فلا بد أن نشعر أن الحاجة الملحة التى تحتاجها الكنيسة والخدمة هى أن ننتظر عند أعتاب العرش بغير أن نكف عن طلب القوة التى نلبس بها من الأعالى . إن روح المسيح الذى حل عليه هو روح الخدمة كما كان روح المحبة وروح القوة ، وعندما تمتلك الكنيسة ذلك الروح ستتحقق لها خدمة الروح كما أرادها لها رب الكنيسة .

الفصل السادس والعشرون

الروح والجسد

« أهكذا أنتم أغبياء ؟! أبعد ما ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد ؟ »
(غل ٣ : ٣)

« فإننا نحن الختان الذين نعبد الله بالروح ونفتخر في المسيح يسوع ولا نتكل على الجسد ، مع أن لي أن أتكل على الجسد أيضاً » (في ٣:٣) .

الجسد هو اللفظ الذى يطلقه الكتاب المقدس على طبيعتنا الساقطة ـ النفس والجسد معاً . فى خلق الإنسان وُضعت النفس بين ما هو روحى أو إلهى من جهة والمحسوس أو العالمى من الجهة الأخرى لتعطى لكل حقه وتحقق الاتحاد الكامل بينهما ، وهذا يصل بالإنسان إلى الحالة المعينة له فى فكر الله : الجسد الروحانى . وعندما أذعنت النفس لإغراءات المنظور طرحت عنها سيادة الروح وخضعت لسلطان الجسد ، وأمسى الإنسان جسدانياً ، ولم يعد الجسد الآن بغير سيادة الروح عليه فحسب لكنه أيضاً خصم له ، « الجسد يشتهى ضد الروح » .

وهذا الصراع بين الجسد والروح له جانبان : فمن الجانب الأول نجد أن الجسد بارتكابه الخطية وتعديه على ناموس الله يعمل ضد الروح ، ومن الجانب الآخر تظهر عداوته للروح ـ ليس بصورة أقل من سابقتها ـ عندما يسعى ليخدم الله ويتمم مشيئته . وبخضوع النفس للجسد نجدها تطلب ما لذاتها بدلا من أن تعمل ما هو لله الذى به قد ارتبطت بواسطة الروح ، وبذلك طغت الأنانية عوضاً عن إرادة الله ، وأصبحت الذات هى السلطة الحاكمة . وبما لهذه من سلطان وقدرة على الخداع دأب الجسد ليس فحسب أن يتعدى بالخطية على الله ، ولكن عندما تفكر النفس أن تخدم الله يحاول الجسد أن يظهر قوته ويرفض أن يترك الزمام للروح وحده ، وبسبب مساعيه التى يبذلها فى مجـــال الدين لا يزال يعتبر العدو الأكبر الذى يعوق الروح ويطفئه .

وبسبب خداع الجسد هذا يتكرر دائماً ما تكلم عنه بولس للغلاطيين : « أبعدما ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد ؟ » ، فإن لم يكن الخضوع للروح كاملا ، وإن لم نداوم على انتظاره فى اتضاع واتكال كامل عليه ، فإن كل بداية بالروح يسهل أن تتحول بسرعة إلى الاتكال على الجسد .

وما هو جدير بالذكر - ويبدو لأول وهلة أنه تناقض - أنه حيث يسعى الجسد لخدمة الله هناك تظهر قوة الخطية . ألا نذكر كيف أن الفريسيين ببرهم الذاتى وتدينهم الجسدى قد سقطوا فى الكبرياء والأنانية وأصبحوا يخدمون الخطية ؟ . ألم يكن هذا هو ما حدث أيضاً مع الغلاطيين الذين كملوا بالجسد ما بدأوه بالروح ، واضطر الرسول أن يحذرهم من بر الأعمال الذى بسببه ظهرت فيهم أعمال الجسد وكانوا فى خطر أن يُفنى بعضهم بعضاً ؟ إن الشيطان لا يملك حيلة أكثر دهاء ليبقى على النفوس فى قيود العبودية سوى أن يقنعهم بقبول التدين الجسدى ، وهو يعرف أن قوة الجسد لا يمكن أن ترضى الله أو تهزم الخطية ، وأن الجسد الذى حاز التفوق على الروح فى خدمة الله سوف يحتفظ - فى الوقت المناسب - بهذا التفوق فى خدمة الخطية . لكن حيث يكون للروح دائماً السيادة الكاملة ، وحيث تعطى له القيادة فى حياة السجود ، فإنه يستطيع أن يحقق فينا الطاعة العملية . وإن كان من اللازم أن أنكر الذات فى معاملاتى مع الناس لكى تنهزم الأنانية وحدة الطبع والبغضاء ، فينبغى أولا أن أتعلم أن أنكر الذات فى معاملاتى مع الله . ينبغى أن تتعلم النفس - حيث كرسى الذات - أن تنحنى للروح حيث يسكن الله .

والمقابلة بين العبادة فى الروح والاتكال على الجسد يصفها الرسول فى وصفه البديع للختان الحقيقى - ختان القلب - الذى مدحه ليس من الناس بل من الله ، فيقول : « نحن الذين نعبد الله بالروح ونفتخر فى المسيح يسوع ولا نتكل على الجسد » . ويجعل الرسول الافتخار فى المسيح يسوع هو محور الحياة والإيمان المسيحى . من الجانب الواحد يوضح الخطر العظيم الذى يهدد

هذا الافتخار ، ومن الجانب الآخر يقدم الضمان الذى يضمن لنا التمتع الكامل به . إن الاتكال على الجسد هو الأمر الوحيد الذى يجرد الافتخار فى المسيح يسوع من فاعليته ، أما السجود بالروح فهو وحده الذى يجعل هذا الافتخار حياة وحقاً ، فليت روح الله يكشف لنا ما هو الافتخار فى المسيح يسوع ! إن التاريخ والاختبار يثبتان أن هناك افتخاراً فى المسيح يسوع مصحوباً بالكثير من الاتكال على الجسد . هكذا كان الأمر مع الغلاطيين ، وأولئك المعلمون الذين عارضهم الرسول بولس بشدة كانوا جميعاً يكرزون بالمسيح مصلوباً ، لكنهم كانوا يكرزون به ليس بحسب تعليم قبلوه من الروح ليعرفوا ما لهذا الصليب من تأثير لا يحد ، ولكن بحسب ما لهم من معلومات أولية عن روح الله قد سمحوا لحكمتهم الذاتية ولأفكارهم الشخصية أن تعبر عن الصليب ومعانيه ، وبذلك عقدوا صلحاً بينه وبين ديانة كانت إلى حد كبير ديانة فرائض وممارسات جسدية . ولا تزال قصة كنيسة غلاطية تتكرر إلى اليوم حتى فى الكنائس التى تعتقد كثيراً أنها بعيدة كل البعد عن خطأ الغلاطيين . وما يبرهن على صدق زعمنا أن عقيدة التبرير بالإيمان كثيراً ما تُذكر وكأنها التعليم الوحيد الذى تقدمه هذه الرسالة ، فى حين نجد أن سكنى الروح القدس فى المؤمنين بواسطة قبوله بالإيمان ، وضرورة السلوك بحسب الروح قلما تذكر .

المسيح المصلوب هو حكمة الله ، لكن الجسد يظهر فى الافتخار فى المسيح بالاتكال على حكمة الجسد . فدراسة الكلمة والكرازة بها ، الاستماع إليها والإيمان بها يحصل أغلبه فى قوة الذهن الطبيعى ، وفى قليل من الاهتمام بالحاجة القصوى لانتظار تعليم الروح . ويظهر أثر ذلك واضحاً فى الثقة الشديدة التى بها يعتقدون أنهم قد امتلكوا الحق ، رغم أنه جاءهم عن طريق التعليم البشرى أكثر منه بواسطة تعليم الروح . إنهم يعوزهم الاستعداد للتعلم الذى ينتظر الله لإظهار حقه فى قوة الضياء الإلهى .

والمسيح فى الروح القدس ليس هو بحسب حكمة الله بل قوة الله ، لكننا نستطيع أن نلمس الاتكال على الجسد حتى فى وجود الافتخار فى المسيح يسوع ، ونراه واضحاً فى الكنائس التى تحتل فيها المجهودات البشرية والتنظيمات البشرية مكاناً كبيراً أكثر من انتظار القوة من الأعالى . وا أسفاه ! كم من المجهودات الفاشلة فى حياة الكنائس والأفراد تعزى لهذا الداء الوبيل - الاتكال على الجسد - الذى يجعل كل أعمالنا بلا تأثير .

ودعونى أتساءل هنا مرة أخرى ، ألا يوجد بيننا من يجاهدون بإخلاص لأجل حياة فى ملء التكريس والبركة ؟ ألا يجدون هنا سر الفشل ؟ ! كان تقديم المساعدة لمثل هؤلاء هو أحد الأهداف الأولى التى كنت أرمى إليها ، وهدف صلواتى الحارة وأنا أسطر هذا الكتاب . كم من مرة - سواء عن طريق سماع العظات ، أو قراءة الكتب ، أو فى بعض الأحاديث أو الصلوات الخاصة - قد بدا أمامهم ملء يسوع وإمكانية الحياة المقدسة فيه ، وأحسوا أن الأمر هكذا جميل وفى متناول أيديهم وليس هناك ما يستحق أن يعوقهم عن نوال البركة . وربما بعد أن قبلوا الأمر بالإيمان صاروا يتمتعون باختبار القوة الذى لم يكن معروفاً لهم من قبل ، وتعلموا الآن أن يفتخروا فى يسوع ، لكن وا أسفاه ! كان اختباراً لم يدم طويلا ، فقد كانت هناك دودة تختفى عند الجذر ، وكان بحثهم عن سر التوقف والسبيل لاسترداد البركة بغير جدوى . وكثيراً ما يكون الجواب عن ذلك أن الخضوع لم يكن كاملا ، أو أن الإيمان لم يكن كاملا ، ومن ثم يحسون أنه ينبغى أن يسلموا كل شىء ، وأن يجتهدوا كثيراً ليجعلوا يسوع يمتلك الكل ويثقوا فيه لأجل كل شىء . لكن إن كان التكريس الكامل والإيمان الكامل لا غنى عنهما لنوال البركة فيبدو أنه لا أمل فى الوصول إلى كمال يستحيل إدراكه ، بيد أن الوعد كان يشير إلى أن الأمر فى غاية البساطة لأن الحياة المقدسة مقدمة للجميع .

اصغ يا أخى للتعليم المبارك الذى تقدمه كلمة الله : إن الاتكال على الجسد

هو الذى أضر بافتخارك فى المسيح يسوع ، وإن الذات تحاول الإتيان بعمل لا يقوى عليه أحد سوى الروح وحده ، إنها تمسك بالزمام وفى نفس الوقت تنتظر أن يثنى الروح على مجهوداتها ، وقد فعلت ذلك بدلا من أن تثق فى الروح ليقودها ويفعل كل شىء وأن تنتظره دائماً . إن اتباع يسوع بغير إنكار الذات كان هو سر الفشل ، تعال واصغ إلى بولس وهو يخبرنا عن الضمان الوحيد الذى يقينا من الخطر المحدق : « فإننا نحن الختان الذين نعبد الله بالروح ونفتخر فى المسيح يسوع ولا نتكل على الجسد » ، فنجد هنا العنصرين الأساسيين للسجود بالروح ، الروح يمجد يسوع ويصغر الجسد . فإن كنا نود بالحق أن نفتخر فى يسوع ويكون ممجداً فينا ، وإن كنا نريد أن نعرف مجد يسوع فى اختبار دائم لا يتغير ، خالياً من الوهن الذى تتصف به مجهودات الجسد ، فيجب أن نعرف ببساطة ماهية هذا السجود بالروح .

ولا يسعنى إلا أن أكرر مرة أخرى ما هو هدف هذا الكتاب ، وهو إعلان هذا الحق الإلهى كما تتضمنه كلمته المباركة : الافتخار فى المسيح يسوع . أن نفتخر فيه باعتباره الكائن الممجد الذى يعمد بالروح القدس ، وفى بساطة وتسليم كاملين ثق فيه أنه قد أعطاك روحه فى داخلك . ثق فى تلك العطية وثق فى الروح القدس الساكن فيك ، واقبله كسر حياة المسيح فى داخلك . تأمل فى هذا الأمر ، وثق بيسوع وبكلمته فى هذا الشأن حتى تنحنى نفسك فى خوف مقدس ، وفى رهبة مقدسة أمام الله بسبب عظمة هذا الحق ردد القول : روح الله القدوس يسكن فىَّ بالحق .

أخضع نفسك لقيادته ، وقد عرفنا أن القيادة لا تبدأ فى الذهن أو الأفكار ، ولكن فى الحياة والميول . أخضع ذاتك لله ليقودك الروح القدس فى كل تصرفاتك . لقد وعد به لكل من يحب يسوع ويفعل وصاياه ، فلا تخش أن تصرح أنك ستحبه وتطيعه بكل قلبك ، وتذكر أن الهدف الرئيسى

من مجيء الروح أن يرد للتلاميذ الرب يسوع الذى افترق عنهم بعد أن وعدهم قائلا « لا أتركـكم يتامى ، إنى آتى إليـكم » . فأنا لا أستطيـع أن افتخر فى يسوع البعيد عنى والذى انفصلت عنه ، عندما أحاول أن أفعل ذلك يتطلب الأمر مجهوداً ولا بد أن أستعين بالجسـد . لـكنى أستطيـع بالحق أن أفتخر بمخلص حاضر معى ، يمجده الروح القدس فىَّ ويعلنه لى فى مجده . وهو إذ يفعل ذلك يصغر الجسد ويحفظه مصلوباً وتحت اللعنة ، وإذ يفعل الروح ذلك تموت أعمال الجسد وتصبح كل عقيدتى وإيمانى أنه لا اتكال على الجسد ، والافتخار هو فى المسيح يسوع ، والسجود هو بروح الله .

أيها المؤمن المحبوب ! بعـد أن بدأت بالروح داوم على السلوك بحسب الروح . احترس من أن تكمل عمل الروح بالجسد ، ولتكن صيحة الحرب « لا نتكل على الجسـد » ، وليكن تخليك العميق عن الجسـد وخوفك من إحزان الروح بسبب السلوك حسب الجسد هما اللذان يحفظانك فى اتضاع أمام الله . اطلب من الله بروح الإعلان لتستطيع أن ترى أن يسوع هو الـكل ، وهو يستطيع كل شيء ، وأن حياة إلهية بالحق تأخذ مكان حياتك السابقة ، وهـذا بعمل الروح القـدس الذى به يتوج يسوع فى القلب كالقائد والحـــارس وكنبع الحياة .

❈ ❈ ❈

عطية الروح بالإيمان

« المسيح افتـداناً من لعنة الناموس لتصير بركة إبراهيم للأمم فى المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح » (غل ٣ : ١٣ ، ١٤)

وردت كلمة الإيمان للمرة الأولى فى الأسفار الإلهية فى قصة إبراهيم الذى كان إيمانه بالله أعظم فخر له وسر حياة الطاعة التى عاشها ، والذى جعله مرضياً عند الله فأصبح أباً لكل من يؤمن ، ومثلا عظيماً للبركة التى تسكب علينا من العلاء والطريقة التى تأتينا بها . وكما أظهر الله نفسه لإبراهيم بأنه الله الذى يحيى الموتى فإنه يفعل معنا أيضاً ، ولكن بصورة أعظم ، إذ يرسل إلينا روح الحياة الإلهية ليسكن فينـا . وكما أن تلك القوة المحيية جاءت إلى إبراهيم بالإيمـان ، فهكذا بركة إبراهيم كما أظهرت الآن فى المسيح - أعنى بها موعـد الروح - هى لنـا بالإيمان . إن كل الدروس التى نتعلمها من حياة إبراهيم تتركز فى هـذه : « ننال بالإيمان موعد الروح » ، وإن كنا نريد أن نعرف ما هو الإيمان الذى به ننـال موعد الروح ، كيف يكون لنا وكيف ينمو ، فعلينا أن ندرس مـا يعلمه لنا الله فى قصة إبراهيم .

فى حياة إبراهيم نعرف أن الإيمان هو الإحساس الروحى الذى به يدرك الإنسان ويقبل إعلان الله . إنه الإحساس الروحى الذى يتنبه بذلك الإعلان ، فلأن الله اختار إبراهيم وأعلن له ذاته أصبح إبراهيم رجلا فى الإيمان ، وكل إعـلان جـديد جاء لإبراهيم كان من عمل الإرادة الإلهية . فالإرادة الإلهية والإعلان الذى بـه تتمم قصدها يصنعان الإيمان ، وكلما كان الإعلان واضحاً مميزاً كان الإيمان الـذى ينشـأ فى النفس عميقـاً . ويتـكلم بولس عن « الثقة فى الإله الحى » ، فالإيمان الحى ينشأ فقط عنـــدما يدنو الإله الحى بقوته

المحيية ويلبس النفس. والإيمان ليس عملاً مستقلاً ، به نقبل أقوال الله بقوتنا ، وليس هو حالة سلبية فيها نترك الله ليفعل لنا ما يريد ، لكنه قدرة النفس على استقبال ما يتكلم به الله إلينا فى قوته المحيية فنخضع له ذواتنا ونقبل كلمته وعمله.

ومن هنا يتضح لنا أن الإيمان يتعلق بأمرين : الأول حضور الرب ، والثانى كلمة الرب. إن حضور الله الحى هو وحده الذى يعطى للكلمة حيويتها لكى يكون ملكوت الله ليس بكلام بل بقوة . أليس لهذا نجد الكثير من القراءات الكتابية والعظات الكتابية لا تحمل إلا ثمراً قليلا ؟! مجهودات كثيرة وصلوات كثيرة للحصول على الإيمان لا تصحب إلا بنتائج ضئيلة جداً ، لأن الناس يتعاملون مع الكلمة أكثر مما يتعاملون مع الله الحى . الإيمان هو أن تأخذ الله بكلامه ، فكما أنه لا فائدة من المفتاح أو مقبض الباب إن كنت لا أستعمله لفتح القفل أو الباب ، فكذلك بواسطة الاتحاد الحى المباشر بالله نفسه تستطيع كلمة الله أن تعمل بقوة وتفتح الباب لله. الإيمان يأخذ الله بكلامه ، ولا يستطيع الإيمان ذلك إلا عندما وبحسبما يعطيه الله . قد أجد فى كلمة الله مواعيد ثمينة ، وقد أكون متدرباً على انتظار إتمام الوعد ، ورغم ذلك أفشل تماماً أن أحصل على البركة التى اشتقت إليها طويـــلا . الإيمان الذى ينال المواعيد يكون *بانتظار الله نفسه أولا ليتكلم ، ثم ليفعل ما تكلم به* . الإيمان هو الشركة مع الله وهو الخضوع لله . إنه التأثير الذى ينتج عن اقتراب الله منا وامتلاكه للنفس بواسطة كلمته إذ يهيئها لعمله. وعندما تتيقظ النفس مرة تبدأ تترقب إعلان إرادته الإلهية وتصغى وتقبل كل ما يدل على حضور الله ، وتتطلع وتتوقع إتمام كل وعد إلهى .

هكذا كان الإيمان الذى به صار إبراهيم وارثاً للمواعيد ، وهكذا يكون الإيمان الذى به تصير بركة إبراهيم للأمم فى المسيح يسوع ، والذى به ننال موعد الروح . وفى كل دراستنا لعمل الروح القدس والطريقة التى يأتينا بها ، إذ يبدأ بختمنا إلى أن يملأنا تماماً ويفيض منا ، نحتاج أن نتمسك جيداً بهذه

الـكلمة أننا « ننال بالإيمان موعد الروح » . وسواء كان جهاد المؤمن ليكون له الإحساس الـــكامل بأن الروح يسكن فيه ، أو لأجل تأكيـد أعمق عن انسـكاب محبة الله فى القلب ، أو لأجل حياة نامية مثمرة ، أو لأجل اختبار أعظم لقيادة الروح له إلى كل الحق ، أو لأجل انسكاب القوة للعمل والبركة ، فليتذكر أن ناموس الإيمان الذى ينبنى عليه تدبير النعمة يجب أن يطبق هنا تماماً « بحسب إيمانك يكون لك » ، « لننال بالإيمان موعد الروح » ، فدعونا نطلب بركة إبراهيم فى إيمان إبراهيم .

ومن جهة هذا الأمر علينا أن نبدأ إيماننا من حيث بدأ إيمانه ، فى التقابل مع الله وانتظار الله . « ظهر الرب لأبرام ، فسقط أبرام على وجهه وتكلم الله معه » ، فلنرفع أنظارنا إلى إلهنا وأبينا كالإله الحى الذى يستطيع وحده بقوته المحيية المقتدرة أن يصنع لنا هذا الأمر العجيب ، أن يملأنا بروحه القدوس ، فالبركة المذخرة لنا فيه هى نفسها التى أعطاها لإبراهيم ، ولكنها أعظم وأعجب . لقـــد جاء الله إلى إبراهيم عنـدما كان جسده مماتاً ، وجاءه أيضاً حين كان ابنه على المذبح فريسة الموت ، وقد جاءه فى الحالتين كالإله المحيي ، « فآمن بالله الذى يحيي الموتى » و « قدم إبراهيم إسحق إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات » ويأتى الله إلينا مستعداً أن يملأ النفس والروح والجسد بقوة حياة أبدية بالروح القدس الساكن فينا ، فلنكن كإبراهيم الذى انتظر الوعد ، « ولا بعدم إيمان ارتاب فى وعد الله بل تقوى بالإيمان معطياً مجداً لله ، وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضاً » . فلتمتلىء نفوسنا بإيمان ذاك الذى قد وعد ، ونثبت قلوبنا على ذاك الذى هو قادر أن يفعل . إن الإيمان فى الله هو الذى يفتح القلب لله ، ويهيئنا للخضوع وقبول عمله الإلهى . الله ينتظر لـكى يملأنا بروحه ، فليتنا ننتظره . فعندما نقرأ أو نتأمل أو نصلى ، عندما نكرس ذواتنا ونتمسك بالوعد ، ونضع قلوبنا على الحق المبارك أن الله يسكن فينا ، كل هذا صالح فى ذاته ولكنه لا يأتى بالبركة ، وحاجتنا القصوى هى أن يمتلىء

القلب بالإيمان بالله الحى ، وفى ذلك الإيمان نحيا فى شركة حية معه ، وفى ذلك الإيمان ننتظره ونتعبد له ونخدمه كما لو كنا فى محضره المقدس ، وفى هذه الشركة مع الله لا بد أن يملأ الروح القدس القلب .

وبعد أن نكون قد اتخذنا هذا الوضع لنستمر عليه ، فهذا هو الوضع الذى يسمح للروح أن يعمل ويعلن لنا أكثر ما أعده الله لأجلنا . وسواء كنا ننتظر إظهاراً معيناً للروح ، أو إن كنا نطلب أن تتحقق لنا مواعيد الله المتضمنة فى كلمته فسوف يحفظنا فى حالة الاتضاع والاتكال عليه ، الأمر الذى سيتمخض عن ولادة الثقة . وسوف يحفظنا من تلك الحياة التى تصرف فى بذل الجهود الشاقة التى كثيراً ما قادتنا إلى الفشل ، لأننا ونحن نحاول أيضاً أن نخدم الله فى الروح نكون نتكل على الجسد . فينبغى علينا فى كل مرة نصغى فيها إلى كلمة الله ، أو فى صلاتنا لله ، وسواء فى تأملاتنا الصامتة أو عبادتنا العامة ، فى خدمتنا لله أو فى حياتنا اليومية ، ينبغى أن يحدونا هذا الفكر ونمتلىء بهذه الثقة : « فكم بالحرى أبوكم السماوى يعطى » ، وقد أعطى وسيعطى دائماً « الروح القدس للذين يسألونه » .

ومثل هذا الإيمان لن يكون بغير امتحان ، فاسحق عطية الله لإبراهيم التى قبلها بالإيمان يجب أن يسلم للموت ليرد ثانية على مثال القيامة كالحياة من الأموات . وهكذا نجد أن اختبارنا لعمل الروح كثيراً ما يغيب عنا ويترك النفس وكأن الموت قد أصابها ، وتظل هكذا حتى تستطيع أن تفهم الدرس المزدوج أن الإيمان الحى يبتهج فى الإله الحى حتى لو بدا كل شعور واختبار يناقض الوعد . إن الحياة تدب فينا عندما نسلم حياة الجسد لحكم الموت ، وحياة المسيح تعلن لنا عندما يعمل موته فينا وعندما ننظر إليه فى ضعفنا وفقرنا ، فنحن بالإيمان ننال موعد الروح ، ويزداد الإيمان وتتسع تخومه كلما كان نوال موعد الروح أكمل وأعمق . إن كل إعلان جديد من الله لإبراهيم جعل إيمانه يتقوى ، وزاد من معرفته عن الله ، وفى كل مرة اقترب الله إليه كان إبراهيم

يتوقع شيئاً ، فقد تعلم أن يثق فيه حتى فى الأمور المتخالفة ، حتى عندما يطلب منه أن يسلم ابنه للموت . هذا هو الإيمان الذى ينتظر الإله الحى كل يوم ليعلن ذاته . إنه الإيمان الذى يزداد ترهفاً واستعداداً لإتمام مشيئة الله . الإيمان الذى يعرف أن البركة تأتى فقط بحسبما يريد الله أن يعلن ذاته ، وحيث أن الله يريد ويود دائماً أن يعلن ذاته فلا بد أن البركة آتية لا محالة ، مثل هذا الإيمان ينال موعد الروح .

وهذا الإيمان يحيا ويترعرع فى حضور الله ، وهذا ما حدث مع إبراهيم والقديسين فى القديم ، وقد أدى حضور يسوع على الأرض إلى طرد الشك ، وإلى تقوية الإيمان الضعيف . فى عودة الرب الممجد نال الإيمان بركة يوم الخمسين . إن عرش الله مفتوح لنا الآن فى المسيح ، فقد أصبح عرش الله والحمل ، وإذ ننتظر فى خضوع وسجود واتضاع ، وإذ نحيا فى محضره ونخدمه خدمة المحبة ، فإن نهر ماء الحياة الذى يجرى من تحت العرش سوف يفيض مالئاً نفوسنا ، ثم ينبع منا .

« من آمن ، تجرى من بطنه أنهار ماء حى » .

الفصل الثامن والعشرون

السلوك بالروح

« اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد . . . الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات . . . إن كنا نعيش بالروح فلنسلك أيضاً حسب الروح » (غلاطية ٥ : ١٦ ، ٢٤ ، ٢٥)

« إن كنا نعيش بالروح فلنسلك أيضاً حسب الروح » . تكشف لنا هذه الكلمات بكل وضوح عن الفرق بين الحياة المسيحية السقيمة والصحيحة . في الأولى يكتفي المؤمن أن « يعيش بالروح » ، ويقنع بأنه قد نال الحياة الجديدة ، لكنه لا يسلك بحسب الروح . وعلى النقيض نجد المؤمن الحقيقي لا يقنع إلا أن يكون كل سلوكه وسيرته في قوة الروح . إنه يسلك حسب الروح ، ومن ثم فهو لا يكمل شهوات الجسد .

وإذ يجاهد المؤمن لكي يسلك كما يحق للرب في كل رضى ، كثيراً ما ينزعج للغاية بسبب سلطان الخطية ، ويتساءل عن السبب الذي لأجله كثيراً ما يفشل في أن يلحق الهزيمة بها . والجواب الذي تعودنا أن نسمعه : بسبب النقص في الإيمان والأمانة ، بسبب ضعف الإنسان الطبيعي وسلطان الخطية العاتي . لكن وا أسفاه إن كان يستريح قانعاً بهذا الجواب ، وكان الأفضل له أن يبحث باهتمام عن السبب الدفين الذي إليه تُعزى هذه الأمور كلها ، والتي ضمن له المسيح تحرراً منها وغلبة عليها . من الأسرار العميقة للحياة المسيحية التي نحتاج أن نعرفها أن الجسد هو القوة العظيمة التي تمنع روح الله من أن يمتلك فينا ، وهو آخر عدو يجب أن يخضع له ، وكل من يعرف الجسد وكيف يكون تأثيره على الحياة وكيفية التعامل معه فمثل هذا يكون غالباً .

ونحن نعلم أنه بسبب الجهل بهذه الأمور قد سقط الغلاطيون سقوطاً محزناً ، وقادهم هذا إلى محاولة أن يكملوا بالجسد ما بدأوه بالروح (غل ٣ : ٣) ،

وجعلهم ذلك فريسة لأولئك الذين أرادوا « أن يعملوا منظراً حسناً فى الجسد لكى يفتخروا فى جسدهم » (٦ : ١٢ و ١٣) ، ولم يعلموا أن فساد الجسد غير قابل للإصلاح أو التقويم ، ولم يعلموا أنه كما أن طبيعتنا خاطئة وهى تتمم شهواتها الخاصة ، فهى بالمثل خاطئة عندما تصنع « منظراً حسناً فى الجسد » رغم ما يبدو أنها تُخضع ذاتها لخدمة الله ورغم تعهدها بأن تكمل ما بدأه الروح . وبسبب الجهل بهذه الأمور عجز الغلاطيون عن كبح جماح الجسد وقمع شهواته ونزواته ، بل أحرزت هذه النصر عليهم ، ومن ثم كانوا يفعلون ما لا يريدونه ، ولم يفطنوا البتة أنه طالما أن الجسد والمجهودات الذاتية والإرادة الذاتية لها عملها فى خدمة الله فستبقى أيضاً قوية لتخدم الخطية ، وأن السبيل الوحيد لتجريدها من القوة على عمل الشر هو بتجريدها من القوة لتحاول أن تفعل الصلاح .

لقد كتبت هذه الرسالة لتكشف النقاب عن حق الله فيما يختص بالجسد سواء فى خدمته لله أو للخطية ، وأراد الرسول أن يعلمهم كيف أن الروح ، والروح وحده ، هو قوة الحياة المسيحية ، وهذا لا يتأتى إلا إذا أبعد الجسد بكل مشتملاته جانباً . وإذ نتساءل كيف يكون هذا ، يقدم الرسول جواباً عجيباً يعتبر واحداً من الأفكار الأساسية عن إعلان الله . إن صلب المسيح وموته هو إعلان ليس فحسب عن كمارة الخطية ، ولكن أيضاً عن القوة التى تحرر من السلطان الفعلى للخطية التى تأصلت فى الجسد . وعندما يكلمنا الرسول بولس عن السلوك بحسب الروح (غل ٥ : ١٦ - ٢٦) ، أن « الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات » ، فهو إنما يتكلم عن الطريق الوحيد الذى يحقق التحرر من الجسد . وعندما ندرك جيداً ما تعنيه هذه الكلمة « صلبوا الجسد » ، ونثبت فيها ، فهى تكشف لنا عن سر السلوك ليس حسب الجسد بل حسب الروح ، فكل من يرغب أن يسلك حسب الروح فليحاول أن يعى جيداً مفهوم هذه الكلمة .

« الجسد » بحسب تعبير الكتاب يُقصد به طبيعتنا البشرية بجملتها فى حالتها الراهنة مبيعة تحت الخطية، وهى تتضمن الكيان بجملته : الروح والنفس والجسد. بعد السقوط قال الله عن الإنسان « هو بشر (جسد) » (تك ٦: ٣)، فقد أصبح الإنسان بكل ما له من قدرات - الذهن والعاطفة والإرادة - تحت سلطان الجسد. وكثيراً ما يتكلم الكتاب عن إرادة الجسد، عن أفكار الجسد، وعن شهوات وأهواء الجسد. وهو يخبرنا أيضاً أنه لا يسكن فينا أى فى جسدنا شىء صالح، وأن اهتمام الجسد هو عداوة لله. وعلى هذا الأساس نفهم أن كل ما يصدر عن الجسد سواء ما يفكر فيه الذهن الجسدى، أو ما تفعله الإرادة الجسدية مهما كان فيه من جمال فى المنظر، ومهما كان موضع فخر الكثيرين لكنه لا قيمة له قط فى نظر الله الذى يحذرنا من الخطر الأكبر الذى يهدد الحياة الروحية والذى يُعد سر ضعفنا وفشلنا، إنه الاتكال على الجسد وعلى حكمته وأعماله ولكى نرضى الله ينبغى أن نخلع تماماً أعمال الجسد ونتخلى عن إرادته ومجهوداته لكى نعطى الفرصة لشخص آخر هو الروح القدس لكى يريد ويعمل، والسبيل الوحيد للتحرر من سلطان الجسد هو أن نصلبه ونسلمه للموت.

« الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات ». كثيراً ما يذكر صلب الجسد كشىء علينا أن نعمله، لكن الكتاب يتكلم عنه دائماً باعتباره حدثاً قد تم، « عالمين أن إنساننا العتيق قد صُلب معه »، « مع المسيح صُلبت »، « الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد »، « صليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صُلب العالم لى وأنا للعالم ». وما قد فعله المسيح على الصليب بروح أزلى لم يفعله لأجل نفسه لكن لأجل الطبيعة البشرية - بعد أن اتخذها لنفسه - باعتباره رأسها. وكل من يقبل المسيح مصلوباً لا ينال فحسب الاستحقاق الذى للمسيح ولكنه بقوة صليبه يصبح متحداً وعميزاً فيه. « الذين هم للمسيح » بفضل قبولهم المسيح المصلوب كحياتهم قد أسلموا الجسد لحكم الصلب، « صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات ».

ولكن ماذا يعنيه هذا أنهم صلبوا الجسد؟ البعض يقنعون بهذا الفكر: أن الصليب يرفع اللعنة التي كانت على الجسد، ويظن الآخرون أن المقصود هو الآلام التي يتعرض لها الجسد عندما ننكره ونميته، وغيرهم يظنون بأنه يشير إلى التأثير الأدبي الذي تفعله أفكار الصليب، وفي كل هذه الآراء هناك شيء من الحق، ولكن لكي ندرك الحق الكامل علينا أن نصل إلى الفكر الأساسي أن صلب الجسد يعني أن تحل عليه اللعنة. فالصليب واللعنة صنوان لا يفترقان (تث ٢١ : ٢٣، غل ٣ : ١٣)، وما نردده أن «إنساننا العتيق قد صلب معه»، «مع المسيح صلبت»، هذه الأقوال تعني أمراً خطيراً ورهيباً: أنني قد رأيت أن طبيعتي العتيقة - نفسي - تستحق اللعنة، ولا سبيل للتخلص منها إلا بالموت، ولذا فإني أسلمها للموت طوعاً. لقد آمنت بالمسيح الذي جاء ليسلم نفسه وجسده لموت الصليب ويحمل اللعنة، وقد قبلته كحياتي، وهو الذي قد دخل إلى مجده بعد ذلك الموت الذي ماته، وإني أسلم إنساني العتيق - جسدي - الذات بإرادتها وأعمالها، أسلمها لحكم الصلب، وهنا تُسمر. إنني في المسيح ميت عن الجسد ومتحرر منه، لكن حتى الآن لا يُعد الجسد بعد ميتاً ولكني يوماً فيوماً، باتحادي مع المسيح أبقي عليه مصلوباً وأميت كل أعضائه وأفعاله التي لا تزال تتحين الفرصة للظهور، أميتها بقوة الروح القدس.

إن قوة هذا الحق تتوقف على معرفتنا وقبولنا له، فإن كانت معرفتي للصليب تقف عن حد كفارته فقط، وليس كما افتخر فيه بولس، فلن أستطيع أن أختبر قوته للتقديس، ولكن عندما يشرق في نفسي هذا الحق المبارك وأحيا بالإيمان في شركة روحية مع يسوع الذي وهو الرأس والقائد قد جعل الصليب السلم الذي يرتقي به للعرش، وعندما يستمر هذا الاتحاد الروحي بالإيمان يصبح له تأثيره الأدبي على نفسي فيكون فيّ نفس الفكر الذي كان في المسيح يسوع، وأنظر إلى الجسد على أنه خاطئ ولا يستحق إلا اللعنة،

وأقبل الصليب فى إماتته للجسد كالسبيل الوحيد للتحرر من سلطان الذات وللسير فى الحياة الجديدة بروح المسيح .

وكيف يعمل هذا الإيمان بقوة الصليب لكى يرفع اللعنة ويكسر شوكة الجسد ؟ إنه أمر فى غاية البساطة ، وفى نفس الوقت له أهميته . علىّ أن أبدأ بأن أعرف أن الخطر الوحيد الذى أتعرض له عندما أعيش بالروح هو الإذعان للجسد أو للذات فى محاولاتها للقيام بخدمة الله ، وأعرف بأنهما يجعلان صليب المسيح بلا ثمر (١ كو ١ : ١٧ ، غل ٣ : ٣ ، ٥ : ١٢ و ١٣ ، فى ٣ : ٣ و ٤ ، كو ٢ : ١٨ - ٢٣) ، وأن كل ما يصدر عن الإنسان أو الطبيعة الجسدية ، كل ما هو بالناموس أو المجهود البشرى قد دانه الله فوق الجلجثة . هناك برهن الجسد على أنه بكل حكمته وديانته يبغض ابن الله ويرفضه ، وهناك برهن الله على أن السبيل الوحيد للتحرر من الجسد هو تسليمه الموت لأنه يستحق اللعنة . ومن ثم أرى أن حاجتى القصوى هى أن أنظر إلى الجسد كما ينظر إليه الله ، وعلىّ أن أصدق على حكم الموت على كل أعمال الجسد ، وأن أعتبره تحت اللعنة هو وكل ما يصدر عنه . وعندما أربى فى نفسى هذه العادة ، فسوف أتعلم ألا أخاف شيئاً أكثر من الخوف من نفسى ، وأرتعد لمجرد التفكير فى السماح للجسد ، للإرادة أو للذهن الطبيعى أن يأخذ مكان الروح القدس ، وأن أسير فى اتضاع وخوف وأنا عالم أننى أحمل فى نفسى ذلك الشىء اللعين الذى هو مستعد دائماً ، كأنه ملاك نور ، أن يقحم نفسه فى قدس الأقداس ويقودنى بعيداً لكى أخدم الله ليس فى روح المسيح ولكن فى قوة الحياة الطبيعية . وعندما ينشأ فينا هذا الخوف المقدس سوف نتعلم أن نثق كل الثقة بحاجتنا للروح القدس ليأخذ المكان الذى كان للجسد ، ونفتخر يوماً فيوماً بالصليب الذى نستطيع أن نقول عنه « به قد صلب العالم لى » .

كثيراً ما نبحث عن سبب الفشل فى حياة الإيمان ونعتقد أننا ما دمنا نفهم جيداً ما لم يفهمه الغلاطيون - التبرير بالإيمان وحده - فإننا غير معرضين

للخطر الذى تعرضوا له . آه لو علمنا لأى حد قد سمحنا للجسد أن يحتل مكاناً فى ديانتنا . ليتنا نصلى طالبين من الله النعمة لنعرف أن الجسد هو العدو اللدود وأنه عدو للمسيح . إن النعمة المجانية لا تعنى فقط غفران الخطية ، ولكنها تعنى قوة الحياة الجديدة بالروح القدس . لنصدق كل ما يقوله الله عن الجسد وعن كل ما يصدر عنه ، إنه خاطىء وتحت الدينونة واللعنة ، وليتنا لا نخاف شيئاً أكثر مما نخاف من أعمال الجسد المستترة ، ولنقبل ما تعلمه لنا كلمة الله . « ليس ساكن فىَّ أى فى جسدى شىء صالح » ، وأن « اهتمام الجسد هو عداوة لله » . دعونا نطلب من الله أن يكشف لنا كيف يجب أن يمتلكنا الروح بالتمام لكى نكون مرضيين عنده ، ولنثق أنه على قدر ما نفتخر بالصليب فى كل يوم ، وبصلواتنا وطاعتنا نسلم الجسد لحكم الموت بالصليب فسوف يقبل المسيح خضوعنا وبقوته الإلهية يضمن استمرار حياة الروح فينا ، وسوف نتعلم ليس فقط أن نحيا بالروح ولكن إذا تحررنا من سلطان الجسد الذى قد أسلمناه للصلب ، نسلك أيضاً فى كل شىء بحسب الروح .

✠

الفصل التاسع والعشرون

روح المحبة

« ثمر الروح محبة » (غل ٥ : ٢٢)
« أطلب إليكم بمحبة الروح » (رو ١٥ : ٣٠)
« الذى أخبرنا أيضاً بمحبتكم فى الروح » (كو ١ : ٨)

يقودنا هذا الموضوع للدخول إلى القدس الداخلى إذ نتأمل فى محبة الروح. والمحبة ليست فحسب من ضمن نعم الروح، وهى ليست فقط أهمها، ولكن الروح فى حقيقة الأمر هو المحبة الإلهية ذاتها، تنازلت لتسكن فينا، والروح يحل فينا بقدر ما يكون لنا من المحبة.

الله روح. الله محبة. فى هاتين العبارتين نجد المحاولة الوحيدة التى يقوم بها الكتاب المقدس ليقدم لنا فى لغة بشرية ما يمكن أن نسميه تعريف الله. إنه كروح له حياة فى ذاته، وهو مستقل تماماً عن كل ما حوله، وله سلطان على كل شىء لينفذ إلى كل شىء معطياً له حياة. فى الروح الآب هو أبو الأرواح، وإله الخليقة، ورب الإنسان وفاديه. إن كل حياة مصدرها روح الله، وهذا لأن الله محبة. إن محبته فى ذاته كما هو واضح فى الآب الذى أعطى كل شىء للابن، وفى الابن الذى يطالب بكل ما له فى الآب. وفى حياة المحبة هذه بين الآب والابن يعتبر الروح هو رباط الشركة. الآب هو المحب، ينبوع المحبة. والابن المحبوب هو المستودع العظيم للمحبة، يأخذ دائماً ويعطى دائماً. والروح هو المحبة الحية التى تجعل الاثنين واحداً، وفيه تجرى وتفيض حياة المحبة الإلهية بغير توقف. ونفس المحبة التى بها يحب الآب الابن هى التى تستقر علينا وتنتظر أن تملأنا نحن أيضاً، وبالروح تعلن لنا وتوهب محبة الله هذه. فى يسوع رأينا الروح يقوده إلى أعمال المحبة التى لأجلها قد مسحه الله لكى يبشر المساكين وينادى للمأسورين بالعتق، وبنفس ذلك الروح قدم

نفسه ذبيحة لأجلنا ، وهكذا يأتينا الروح محملا بكل محبة الله ومحبة يسوع ، فالروح هو محبة الله .

وعندما يدخل فينا ذاك الروح يكون عمله الأول أن يسكب فينا المحبة ، « لأن محبة الله قد إنسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا » . وما يعطيه الروح ليس فقط إيماناً أو معرفة عن مقدار عظمة محبة الله ، لكن ما هو أجد من ذلك بكثير ، إذ يجعل محبة الله تملأ قلوبنا فى صورة إختبار روحى وقوة فعالة . ولا يمكن أن يكون الأمر بخلاف ذلك لأن محبة الله هى فى الروح ، وانسكاب الروح هو بذاته انسكاب المحبة ، فيصبح لهذه المحبة سلطانها على القلب ، وتلك المحبة بعينها التى بها يحب الله يسوع ويحبنا نحن أيضاً وكل أولاده ، والتى تفيض لأجل كل العـــالم ، هى بذاتها فينا ، وهى التى تعطينا القوة لنعيش فيها ونسلم لها . الروح هو حياة محبة الله ، الروح الذى حل فينا هو بنفسه محبة الله إتخذت مسكناً فينا .

تلك هى العلاقة بين الروح ومحبة الله ، فلندرس الآن العلاقة بين روح الإنسان والمحبة . ويجدر بنا أن نشير فى هذا المقام إلى ما سبق أن ذكرناه عن طبيعة الإنسان المثلثة ، الجسد والنفس والروح ، كما تكونت فى الخليقة ثم اختل تكوينها بسبب السقوط . وقد رأينا أن النفس مركز الوجدان فى الإنسان يجب أن تخضع للروح مركز الوجدان الإلهى ، وأن الخطية كانت ببساطة إرضاء للذات ، لكن النفس رفضت سيادة الروح لكى تلذذ ذاتها بشهوات الجسد وكانت نتيجة هذه الخطية أن الذات اعتلت عرش النفس لتتسلط هناك بدلا من أن يتسلط الله فى الروح ، وأصبحت الأنانية هى السلطان الذى يتحكم فى حياة الإنسان . وهذه الذات التى أنكرت على الله حقه ، أنكرت أيضاً ما هو للإنسان رفيقها . إن قصة الخطية الرهيبة فى العالم تسرد لنـــا فى الواقع تاريخ الذات ، كيف نشأت وترعرعت وتسلطت ، وأنه فقط بالرجوع للوضع الأول إذ تعطى النفس للروح الأولوية التى لها ، وتنكر الذات لتعطى مكاناً

" إنكار الذات "

لله ، فعندئذ فقط تنهزم الأنانية ، وتنبع المحبة للقريب من المحبة لله . وبمعنى آخر عندما تصبح الروح الجديدة مسكناً لروح الله ومحبته ، وإذ يخضع الإنسان المتجدد ذاته ليجعل للروح النفوذ الكلى ، فإن تلك المحبة تصبح من جديد حياتنا وفرحنا . يقول السيد لكل تلميذ « فلينكر نفسه ويتبعني » . كثيرون قد طلبوا عبثاً أن يتبعوا يسوع فى حياة المحبة لكنهم فشلوا ، لأنهم أهملوا الشرط الذى لا غنى عنه - إنكار الذات . ولا بد أن تفشل الذات فى إتباعها ليسوع لأنها لا تستطيع أن تحب مثلما يحب هو .

ولو فهمنا هذا الأمر نصبح مستعدين للاعتراف بالشرط الذى يضعه يسوع كدليل تبعيتنا له وهو المحبة . إن التغيير الذى نمسناه فى حياتنا هو تغيير إلهى ، والخلاص من سلطان الذات والخطية هو خلاص كامل ، وسكنى روح محبة الله فى الداخل هى سكنى حقيقية ، والمواعيد التى ذخرت لنا لكى تمكننا أن نحيا تلك الحياة هى مواعيد كافية جداً حتى أن إظهار المحبة أو إتمام الوصية الجديدة ، وكذلك إتمام الناموس ، يجب أن يصبح الفيضان الطبيعى للحياة الجديدة فى المؤمن . وإن كنا لا نرى الأمر هكذا فهذا ببساطة برهان آخر على أن الأقلية النادرة من المؤمنين يدركون غاية دعوتهم أن يسلكوا بحسب الروح ويكونوا مؤمنين روحيين الأنين الذى يتصاعد منا ومن الذين حولنا بسبب حدة الطبع التى لم تنهزم ، والأنانية السائدة ، والأحكام القاسية ، والكلمات التى لا تحمل شفقة ، وعدم توفر وداعة المسيح وصبره ولطفه ، والاهتمام الضئيل من جانب الأغلبية الساحقة من المؤمنين بالأعواز الاجتماعية والدينية للنفوس الهالكة حولهم - كل هذا دليل على أنهم لم يفطنوا بعد إلى أن كونهم مسيحيين معناه أن يكون لهم روح المسيح ، وأن يمتلئوا بمحبته ، ليكونوا ينبوعاً للمحبة ينبع ويفيض فى أنهار ماء حىّ . إننا لم ندرك بعد ماذا يعنيه وجود الروح فينا لأننا لم نقبله للسبب الذى لأجله قد أعطاه السيد لنكون روحيين وليس جسديين .

هكذا كان الحال مع الكورنثيين ، فرغم ما كان لهم من الامتيازات والمواهب التى تتميز بها كنيسة ناهضة « فى كل شىء إستغنيتم فيه (فى المسيح) فى كل حكمة وكل علم - لستم ناقصين فى موهبة ما » ، « تزدادون فى كل شىء فى الإيمان والكلام والعلم » ، ومع ذلك كانت تنقصهم بكل أسف المحبة ، « إذ فيكم حسد وخصام ألستم جسديين ؟ » . إن هذا المشهد المؤلم يرينا أنه عندما يبدأ الروح القدس أعماله الأولى فى النفس ، فإن القدرات الطبيعية : العلم ، والإيمان ، والكلام تتأثر بقوة قبل أن تكون النفس قد أخضعت بالتمام . قد يتوفر الكثير من مواهب الروح بينما تكون الموهبة الأولى - المحبة - غير موجودة . إنه مشهد يعلمنا كيف نكون روحيين بالحق ، فلا يكفى أن الروح يوقظ هذه المواهب الطبيعية الموجودة فى النفس لكى تستخدم فى خدمة الله ، لكن الأمر يتطلب ما هو أكثر ، لقد دخل إلى النفس ليكون له نفوذ ثابت لا يتجزأ على النفس والجسد معاً ، حتى إذ نطرد الذات يملك الله ، ويكون الدليل على ذلك هو توفر المحبة وإنكار الذات فلا نحتسب لشىء حتى للحياة إلا للمحبة ، لتكون لنا حياة فى محبة الروح .

ولا يختلف الأمر كثيراً مع الغلاطيين الذين إليهم سطرت هذه الكلمات « ثمر الروح محبة » . ورغم أن الخطأ الذى وقعوا فيه لم يكن مثل خطأ الكورنثيين الذين كانوا يفخرون بالمواهب والمعرفة ، لكنهم كانوا - أى الغلاطيون - يهتمون ويتكلون على الممارسات والفرائض الجسدية ، فكانت النتيجة واحدة فى الاثنين أن الروح لم تكن له السيادة الكاملة فى حياة المحبة ، وإذ ذاك تسلط الجسد فيهم مسبباً مرارة وحسد وعداوة (غل ٥ : ١٥ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٢٦) . ولا تزال هذه الأخطاء شائعة إلى اليوم فى كنائسنا ومجتمعاتنا الدينية ، فمن الجانب الواحد هناك الاتكال على المواهب والعلم ، على سلامة العقيدة والاجتهاد فى العمل ، ومن الجانب الآخر يوجد الاكتفاء بالشكليات والممارسات الأمر الذى يترك الجسد فى إزدهار كامل دون أن يُصلب مع

المسيح. آه ليتنا نتعلم هذا الدرس، ونصلى لله بكل لجاجة ليعلم شعبه هـذا الدرس. إن الكنيسة أو المؤمن الذى يعترف بأن له الروح القـدس يجب أن يبرهن على ذلك أولا بأن يُرى المحبة، التى هى على شاكلة محبة المسيح فى لطفها وفى إحتمالها للخطأ وفى حياة إنكار الذات للتغلب على الشر وتحرير كل الذين هم تحت سلطانه، فحياة المسيح يجب أن تتكرر فى أعضاء جسده، والروح هو فى الحقيقة محبة لله التى تنازلت لنا.

إنها حقيقة مشجعة ومعزية أيضاً أنه من اليوم الذى فيه آمنا وختمنا بالروح القدس وقد إنسكبت محبة الله فى قلوبنا، «لأن محبة الله قـد إنسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا» مع أنها قد لا تكون متوفرة فى حياتنا، وقد لا نكون نحس بها أو حتى نعرفها، والبركة، حتى لو لم نكن ندركها لكنها موجودة، لأنه بمجىء الروح قد جاءت محبة الله إلى قلوبنا، ولا يمكن أن نفصل أحدهما عن الآخر. وإن كنا نود أن نحظى الآن باختبار البركة يجب أن نبـدأ أولا بإيمـان بسيط فى كلمة الله، فالـكلمة هى من وحى الروح وهى الأداة التى بها نتعرف على الروح وعلى أعماله، وعندما نقبل تلك الكلمة كحق إلهى فإن الروح يصيرها حقاً فينا. فليتنا نؤمن أن الروح القدس الذى له كل محبة الله، والذى ينقلها إلينا، قد حل فى قلوبنا بكل تلك المحبة منذ أن صرنا أولاداً لله، لكن لأن حجاب الجسد فينا لم ينشق بعـد فإن فيضان تلك المحبة وظهورها فى قوتها كان ضعيفاً، ولذا لم ندركها ولا أحسسنا بها. فليتنا نؤمن بأنه يسكن فينا ليعلن عن محبة الله فى قلوبنا، وهذا هو دليل الحياة التى فينا.

وبهـذا الإيمان بأن روح المحبة فينـا دعونا نحول أنظارنا إلى الآب فى صلوات حارة طالبين أعماله العظيمة فى إنساننا البـاطن، ليسكن المسيح فى قلوبنا لنكون متأصلين ومتأسسين فى المحبة، لتتقوى حياتنا بجملتها وتنتعش بالمحبة. وعندما تأتى الاستجابة فإن الروح سيعلن لنا أولا محبة الله، ومحبة الآب للمسيح، ثم محبته لنا التى هى نفس المحبة التى بها أحبه الآب، وعندئذ

بالروح الواحد تفيض هـــذه المحبة وتعود إلى منبعها فى صورة محبتنا لله والمسيح . ولأن الروح قد أظهر نفس تلك المحبة لكل أولاد الله حولنا ، فإن إختبارنا لهـــا فى مجيئها من الله أو فى رجوعها إليه سيجعلنا نحب الأخوة أيضاً . فكما ينزل المطر من السماء ويجرى فى ينابيع وأنهار ثم يعود ثانية إلى السماء فى صورة بخار الماء ، وهو فى كل هذه الصور نفس الماء ، فهكذا محبة الله فى صورها الثلاث : محبته لنـــا ، ومحبتنا له ، ومحبتنا بعضنا لبعض كأخوة .

إن محبة الله فيك بالروح القدس ، فليكن لك الإيمان وابتهج بهذه العطية . إخضع ذاتك لهـا كنار الله تنزل لتلتهم الذبيحة وترفعهـا إلى السماء ، ودرب نفسك على ممـارسة المحبة فى كل معاملاتك مع كل الناس ، وعنـدئذ سوف تعرف وتدرك أن روح الله هو محبة الله .

الفصل الثلاثون

وحدانية الروح

« فأطلب إليكم . . . أن تسلكوا . . . بكل تواضع ووداعة وبطول أناة محتملين بعضكم بعضاً فى المحبة ، مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام ، جسد واحد وروح واحد » (أفسس ٤ : ١ ـ ٤)

« فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد ، . . . ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء . . . لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً إعتمدنا إلى جسد واحد . . . وجميعنا سقينا روحاً واحداً » (١ كو ١٢ : ٤ ، ١١ ، ١٣)

نعلم أن الرسول بولس قد أبرز فى الأصحاحات الثلاث الأولى من الرسالة إلى أفسس مجد المسيح يسوع كرأس الكنيسة ، ومجد نعمة الله فى الكنيسة كجسد المسيح والتى فيها سكن الروح القدس ، وهى تنمو هيكلا لله فى الروح ، ولها أن تمتلىء إلى كل ملء الله . وبعد أن وضع الرسول المؤمنين فى مكانتهم الحقيقية فى السماويات وحياتهم مستترة مع المسيح فى الله ، نجده فى النصف الثانى من الرسالة يعلمنا كيف ينبغى أن يسير المؤمن كما يليق بدعوته . وفى الدرس الأول الذى يقدمه فيما يتعلق بهذه الحياة وبالسلوك على الأرض (أف ٤ : ١ ـ ٤) يستند الرسول على هذا الحق الأساسى أن فى الروح القدس قد دخل المؤمن فى إتحاد ليس فقط مع المسيح فى السماء بل أيضاً مع جسد المسيح على الأرض ، الذى هو الكنيسة فالروح القدس لا يسكن فقط فى المسيح فى السماء وفى المؤمن على الأرض ، ولكن أيضاً فى جسد المسيح بكل أعضائه. ونستطيع أن نلمس عمل الروح الصحيح الكامل حيث تكون العلاقة السليمة بين الفرد والجسد كله كمجموع فى كل ما ينشأ بينهما من علاقات. ويجب على المؤمن أن يكون إهتمامه الأول فى سلوكه المقدس أن يجتهد فى حفظ وحدانية الروح.

وحيث يتوفر الاعتراف الكامل بالروح الواحد والجسد الواحد فإن الفضيلة الأساسية فى الحياة المسيحية ستكون هى التواضع والوداعة (ع ٢ ، ٣) ، التى بها ينسى كل واحد ذاته وينكر نفسه لأجل الآخرين ووسط كل الاختلافات والضعفات والأخطاء يحمل كل واحد الآخر فى محبة ، وبذلك تحفظه الوصية الجديدة ، ويستطيع روح المسيح روح المحبة المنكرة لذاتها ، أن يؤدى عمله المبارك بكل حرية .

وتوضح الرسالة الأولى إلى كورنثوس أهمية هذا التعليم . فى تلك الكنيسة ُوجدت اظهارات كثيرة لأعمال الروح القدس ، وكانت مواهب الروح ظاهرة بينهم بكل وضوح ، لكن لم تكن نعم الروح متوفرة ، ولم يدركوا أنه رغم المواهب الكثيرة لكن الروح واحد الذى يقسم لكل واحد منهم كما يشاء ، وأن الكل قد اعتمدوا بروح واحد لجسد واحد ، وجميعهم قد سقوا روحاً واحداً . إنهم لم يعرفوا الطريق الأفضل ، وأن أعظم مواهب الروح جميعاً هى المحبة التى لا تطلب ما لنفسها وتجد سعادتها فى إسعاد الآخرين .

وبالنسبة لكل مؤمن يريد أن يتمتع بقيادة الروح ، وبالنسبة للكنيسة فى أشواقها أن تختبر بقوة كل بركات سكنى الروح ، فهذا الحق الخاص بوحدانية الروح مشحون بالكثير من البركات الروحية الغنية وفيما دونته سابقاً قد استعملت أكثر من مرة التعبير القائل : « ليكن لك الاحترام العميق لعمل الروح القدس فى داخلك » ، وهذه العبارة تحتاج أن تكملها عبارة أخرى : « قدم الاحترام العميق لعمل الروح القدس فى أخيك » . وهذا ليس بالأمر الهين ، فحتى المؤمنين المتقدمين فى بعض النواحى الأخرى كثيراً ما يفشلون فى هـــذا الأمر . لقد تعلمنـا فى مدارسنا أن القدرة على التمييز أو ملاحظة الاختلافات والفروق هى إحدى القدرات الأولية التى تظهر فى الطفل ، لكن القدرة على الربط أو ملاحظة التجانس فى الأشياء التى يوجد بينها اختلاف ظاهرى هذه تتكون فى الطفل فى مرحلة أعلى ، كما أن القدرة على تقسيم

الأشياء إلى مجموعات توجد فحسب فى العباقرة الحقيقيين . وهذا الدرس له تطبيقاته فى الحياة المسيحية وفى الكنيسة ، فنحن لا نحتاج إلى نعمة كبيرة لنعرف الأمور التى نختلف فيها مع غيرنا من المؤمنين أو الكنائس الأخرى ، أو لكى نجاهد لأجل آرائنا ومبادئنا ، أو لكى نحكم على أخطاء الآخرين فى العقيدة أو فى السلوك . لكن النعمة تظهر بالحق عندما نعطى لوحدانية الروح المكانة الأولى وسط التصرفات التى تحزننا وتضايقنا ، وأمام التعاليم التى تبدو لنا أنها ضارة أو غير كتابية ، فنقدم المحبة للإبقاء على الرباط الحى وسط مظاهر الانفصال الخارجى .

إن وصية الله لكل مؤمن هى حفظ وحدانية الروح . إنها الوصية الجديدة أن يحب أحدنا الآخر فى شكل جديد ، أن ننسب المحبة للروح الذى تجد فيه المحبة حياتها . إن كنت تريد أن تطيع الوصية فاعلم أنها تطالب بوحدانية الروح . توجد وحدة فى العقيدة ، أو فى العادات ، حيث تكون الرابطة أكثرها بدافع الجسد منها بالروح ، لكن لكى تحفظ وحدانية الروح تذكر هذه الأمور التالية :

أولا : <u>اسع لكى تعرف ما فى نفسك</u> : وبذلك تستطيع الوحدانية أن تجد فيك ما تستمد منه قوتها ، وما يساعدها على التمسك والانتصار . يوجد فيك الكثير من الأمور التى تصدر عن الذات والجسد ، وهذه يمكنها أن تشترك فى وحدة أرضية ، ولكنها تعوق كثيراً وحدانية الروح . اعترف أنك تستطيع أن تحب بقوتك أو بمحبة صادرة منك ، فكل ما هو صادر عن نفسك هو نفسانى ولا يرقى إلى وحدانية الروح الحقيقية . فليكن هذا الفكر دافعاً لك للإتضاع ، إذ تعرف أن ما هو من الله فيك يستطيع أن يتحد بما لا يوافق طبيعتك ، وابتهج جداً إذ تعرف أن فيك بالحق ما يستطيع أن يهزم الذات وأن يحب حتى ما يبدو أنه يمكن أن يُحب .

ثانياً : اجتهد لكى تعرف ما فى أخيك يمكنك أن ترتبط به : فيوجد فيه كما فيك بداية صغيرة ، بذرة الحياة الإلهية تحاط بالكثير من أمور الجسد التى كثيراً ما تسبب لنا التعب وعدم الرضا ، ونحتاج إلى القلب المتضع لنعرف عدم استحقاقنا ، والقلب المحب الذى يجعلنا مستعدين دائماً أن نغفر للآخرين - وهذا ما فعله يسوع فى الليلة الأخيرة كما يتضح من قوله « أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف » ، ولننظر دائماً إلى ما هو فى الأخوة على صورة الله ومن روح الله لا يكن تقديرك لأخيك بسبب ما هو فيه من ذاته ، ولكن لأجل مكانته فى المسيح . وإذ تعلم أن نفس الحياة والروح اللذين تدين بهما للنعمة المجانية هما أيضاً فيه فإن وحدانية الروح ستنتصر على الاختلاف وكراهية الجسد ، وسوف يربطكما الروح الواحد الذى فيك والذى هو أيضاً فى أخيك بوحدة حياة تنبع من الأعالى .

ثالثاً : احفظ وحدانية الروح هذه بواسطة الشركة الحقيقية مع غيرك من المؤمنين : توجد بين أعضاء جسم الإنسان رابطة حقيقية حية تستمر بواسطة الدورة الدموية والحياة التى تعطيها . « جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد » ، « جسد واحد وروح واحد » . إن وحدة الحياة الخفية يكون التعبير عنها بشركة المحبة الظاهرة ، والتى منها تستمد قوتها . فلتكن لك شركة ليس فقط مع أولئك الذين يتفقون معك فى الفكر وطرق العبادة ، لئلا تكون الوحدة أكثرها من الجسد وليس بالروح . اجتهد فى كل أفكارك عن غيرك من المؤمنين أن تظهر المحبة التى لا تظن السوء ، وإياك أن تنطق بكلمة قاسية على واحد من أولاد الله كما أيضاً على الآخرين ، وأحب كل مؤمن ليس لأجل ما يوافقك أو يسرك فيه ، ولكن لأجل روح الآب الذى فيه . افرز نفسك لمحبة أولاد الله الذين تلتقى بهم ، ولكى تعمل لأجلهم ، الذين بسبب الضعف أو الجهل أو التمرد لا يعرفون أن الروح لهم ، أو لأنهم يحزنونه . إن عمل الروح هو أن يبنى مسكناً لله . اخضع ذاتك للروح الذى

فيك ليقوم بالعمل. اعترف بحاجتك إلى شركة الروح فى أخيك، واسع لطلب نموك ونموه فى وحدانية المحبة.

رابعاً: اشترك فى الصلاة الشفاعية المتحدة التى ترتفع إلى الله لأجل وحدة الكنيسة، وداوم على أن تصلى الصلاة الشفاعية التى صلاها رئيس الكهنة الأعظم لأجل كل مؤمن: «ليكون الجميع واحداً»، مما يؤسف له أن الكنيسة ليس لها وحدانية الروح الظاهرة، ومن ثم دعت الحاجة إلى هذه الوصية: «اجتهدوا أن تحفظوا وحدانية الروح». صارع مع الله لأجل اظهار أعمال الروح المجيد فى كل البلاد والكنائس وفى دوائر المؤمنين. عندما تكون المياه ضحلة فإن الحواجز الصخرية تفصل بين البرك وبعضها على امتداد الشاطىء، ولكن عندما يعلو المد وتطمو المياه تختفى الحواجز وتتحول كل البرك إلى محيط عظيم، هكذا لا بد أن يكون الحال فى كنيسة المسيح، فعندما يأتى روح الله بحسب الوعد كالمياه الغامرة على الأرض اليابسة، يستطيع كل واحد أن يميز قوة الروح فى نفسه وفى الآخرين، وتختفى الذات إذ يُعرف الروح ويُكرم.

وكيف يتحقق هذا التغيير العجيب، ويحين الوقت لكى تتم هذه الصلاة «ليكون الجميع واحداً ليعرف العالم أنك أرسلتنى، وأحببتهم كما أحببتنى؟» ليبدأ كل منا بنفسه. صمموا الآن يا أولاد الله المحبوبين أن تكون هذه هى العلامة الوحيدة التى تتميز بها حياتكم ودليل بنويتكم ونوالكم اختبار سكنى الروح داخلكم، فإن كنتم ترومون اتحاداً ليس كما يتفق ورغباتكم أو يتماشى مع أساليبكم فى التفكير والسلوك، ولكن بحسب ما يراه الروح الذى حل فيكم ويطلبه فى الآخرين، فيجب أن تقدموا ذواتكم له تماماً ليفكر ويعمل فيكم، ولتكون لها السيادة على الكيان بجملته. إنكم تحتاجون أن تتمسكوا بهذا اليقين الحى أنه يسكن فيكم، وأن تصلوا بلا انقطاع لكى يعطيكم الآب بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن، وبالإيمان فى الإله المثلث الأقانيم أن الآب يعطى الروح باسم الابن، وأن الروح يسكن فينا.

فعندما يأتى كل منا بكل خشوع عند أعتاب العرش ، وبواسطة الشركة الوثيقة مع الآب والابن ، عندئذ يأخذ الروح الملكية الكاملة ويعم الكيان بجملته . كلما كان سكناه كاملا ، وظهرت أعماله المجيدة بصورة أعظم ، كلما أصبحت روحياً واختفت الذات عن العيان ، وكلما استخدمك روح المسيح لأجل بناء المؤمنين ووحدتهم ليكونوا سكناً لله . إن روح المسيح سيكون فيك المسحة المقدسة ودهن التكريس ليفرزك ويؤهلك لتكون مثلما كان المسيح رسولا لمحبـــة الآب . وعندما تظهر الإتضاع واللطف فى حياتك اليومية والرفق وطول الأناة والمحبة وسط كل الإختلافات والصعوبات التى توجد فى الكنيسة ، وفى إنكارك لذاتك والمشاركة الحارة القلبية التى تظهرها وأنت تغدو لتقدم العون لكل محتاج ، فإن الروح الساكن فيك سيظهر أنه ملك لكل أعضاء الجسد كما هو بالنسبة لك ، وستصل فيك محبتـــه إلى كل من هم حولك لتعلم تعليماً وتبارك بركة .

✥ ✥ ✥

الفصل الحادى والثلاثون

الإمتلاء بالروح

« إمتلئوا بالروح . . . » (أف ٥ : ١٨)

إنها وصية أن تمتلىء بالروح . وتعبر هذه الكلمات « إمتلئوا بالروح . . » لا عن الحالة التى يجب أن يكون عليها الرسل وخدام الكلمة ، ولكنها تتكلم إلينا فى صورة أمر حتمى عما يجب أن يصبح الإختبار العادى المستمر لكل مؤمن صادق القلب ، وهو إمتياز يستطيع كل واحد من أولاد الله أن يطالب به أن يمتلىء بالروح . وليس أقل من هذا المقياس يىء للمؤمن أن يحيا الحياة التى أفتدى لأجلها ، حياة الثبات فى المسيح وحفظ وصاياه لكى يأتى بثمر كثير . ولكن رغم ذلك ما أقل الإهتمام الذى تلاقيه هذه الوصية من جانب أولئك الذين يجب أن يحفظوها ! ومـا أضعف الإيمان فى إمكانية نوال كل شىء بسبب حفظها !

ومما لا شك فيه أن الخطأ فى فهم هذه الكلمات كان واحداً من الأسباب التى ُيعزى إليها عدم التمتع بالإختبار ، هذا لأن الإمتلاء بالروح القدس فى يوم الخمسين وفى أكثر من مناسبة جاءت بعد ذلك كان مصحوباً بغيرة شديدة وحماس بالغ بسبب القوة والفرح الخارقين للعادة ، ومثل هذه الحالة كان ُينظر إليها دائماً أنها مشحونة بالتهيج والإجهاد الأمر الذى لا يمكن أن يتفق مطلقاً مع هدوء الحياة العادية . إن عنصر المفاجأة والقوة والمظاهر الخارجية التى صاحبت الاختبار قد ارتبطت فى الأذهان بفكرة الامتلاء بالروح حتى ساد الإعتقاد أنه إختبار ُيعطى فقط فى مناسبات خاصة ، وأنها بركة مقدمة فقط للقليلين ، وأحس الكثير من المؤمنين وكأنهم لا يستطيعون أن يتجاسروا أن يجعلوا آمالهم فوق ما ينبغى ، وأنه ليس مـا يدعوهم أن يفعلوا ذلك ، واعتقدوا أنـه حتى لو أعطيت لهم البركة فسيكون من المستحيل على من هم

فى ظروفهم أن يحافظوا عليها أو يظهروها .

والرسالة التى أقدمها لكم فى ختام هذا البحث هى أن هذه الوصية لأجل جميع المؤمنين ، وكما أن الأمر موجه للجميع فهكذا أيضاً الوعد والقوة ، فليت الله يعطينا نعمة حتى بتأملنا فى كلمته هذه تتيقظ فى قلوبنا ليس فحسب الرغبة القوية ولكن أيضاً اليقين الثابت بأن امتياز الملء بالروح القدس قُصد أن يكون لكل مؤمن ، وأن الطريق ليست شاقة للغاية ، وأن البركة ستكون بالحق من نصيبنا .

فى بعض البلدان مثل جنوب أفريقيا حيث نعانى الكثير من الجفاف يوجد نوعان من السدود أو الخزانات التى تبنى لحجز المياه واختزانها ، ففى بعض المزارع تجد نبعاً والنهر الذى ينبع منه صغير جداً وأضعف من أن يصلح للرى . فيعمل هناك خزان لأجل جمع المياه ، ويمتلىء الخزان نتيجة الانسياب الهادىء الرقيق من النبع نهاراً وليلا . وفى أحوال أخرى تكون المزرعة بغير نبع إطلاقاً ، فيبنى الخزان فى مجرى النهر حيث يمكن جمع المياه عند سقوط الأمطار ، ويتم امتلاء الخزان نتيجة سقوط أمطار غزيرة مصحوبة بعنف واندفاع لا يخلو من خطورة . إن إمداد المزرعة بالماء فى الحالة الأولى يتم فى هدوء لكنه فى نفس الوقت أضمن ، لأنه على الرغم من أن المختزن من المياه يبدو ضئيلا لكنه دائم ، وفى بعض البقاع حيث يكون سقوط الأمطار غير مضمون يظل الخزان فارغاً عدة شهور أو سنين .

ويوجد نفس التباين فى الطريقة التى يأتى بها ملء الروح ، فسواء فى يوم الخمسين حيث كان مولد بدايات جديدة ، أو فى انسكاب الروح لأجل تجديد الحياة بين الوثنين ، أو فى أى نهضة تقوم بين المسيحيين ، يحدث فجأة أن البعض يمتلئون بالروح القدس بقوة وبشكل ظاهر . وعندما يختبر البعض الخلاص حديثاً نستطيع أن نلمس قوة الروح بوضوح فى الغيرة الشديدة والفرح الظاهر ، ومع ذلك توجد بعض الأخطار بالنسبة لمن ينالون الإختبار

على هذا النحو ، إذ أن البركة تعتمد كثيراً على الشركة مع الآخرين أو أنها تمتد فقط إلى الينابيع السطحية فى النفس والتى يسهل الوصول إليها ، والأشياء التى تأتى فجأة تكون عادة سطحية بغير أن تصل إلى أعماق الإرادة والحياة الداخلية ، ويوجد بين المؤمنين من لم ينالوا قط إختباراً كهذا ورغم ذلك فإن ملء الروح يمكن إدراكه ليس بصورة أقل حيث يظهر فى التكريس العميق ليسوع والتمتع برضاه وفى الإحساس بحضوره المقدس ، وفى نقاوة الحياة وفى كمال الطاعة والإيمان ، وفى التواضع وفى المحبة المنكرة لذاتها لأجل الآخرين ، والمثل على ذلك هو برنابا الذى قيل عنه «كان رجلا صالحاً وممتلئاً من الروح القدس» .

والآن أى هاتين الطريقتين هى الطريقة الأصلح للامتلاء بالروح ؟ يوجد مزارع ترتوى بالنوعين المذكورين من الخزانات يكمل أحدهما الآخر ، بل توجد أيضاً خزانات تستخدم فيها الطريقتان لملئها بالمياه عندما تكون الظروف ملائمة . فالانسياب المنتظم الهادىء كل يوم يحفظ المزارع فى حالة إرتواء وقت الجفاف ، وفى زمن سقوط الأمطار تكون مستعدة أن تستقبل كميات كبيرة من المياه وتخزنها . يوجد مؤمنون لا يقنعون إلا بافتقادات قوية ، بالرياح العاتية المندفعة والسيول العارمة ومعمودية النار ، ويوجد آخرون مثلهم الحقيقى هو النبع الذى تنبع مياهه من الداخل ويسير فى هدوء . وسعيد هو المؤمن الذى يستطيع أن يختبر الله فى كلتا الحالتين ، ويكون مستعداً دائماً لاستقبال البركة من أى طريق تأتى .

وما هى شروط هذا الملء بالروح ؟ تقدم لنا كلمة الله جواباً واحد . بالإيمان إن الإيمان وحده هو الذى يستطيع أن يرى ويقبل غير المنظور ، بل الذى يستطيع أن يرى ويقبل الله نفسه . إن شروط القبول الأولى للروح - وهى التطهير من الخطية والخضوع الاختيارى وطاعة المحبة - هى ثمرة الإيمان الذى عرف ما هى الخطية وما هى إرادة ومحبة الله . وسوف لا نتكلم عن هذه الأمور مرة أخرى ، فكلمات الرسول هنا موجهة إلى مؤمنين يجاهدون بإخلاص

ليكونوا طائعين ، ومع ذلك فلم يصلوا إلى ما يشتاقون إليه . إنهم يحتاجون أن يعرفوا بالإيمان ما يجب أن يتخلوا عنه بنوع خاص . إن أى ملء لا بد أن يسبقه تفريغ ، ولست أقصد هنــا التطهير من الخطية أو الخضوع والطاعة الكاملة فهذا هو الشرط الأول ، لكنى أتكلم هنا عن مؤمنين ظنوا أنهم قـد تمموا ما يطلبه الله فى هـذا الشأن ، ورغم ذلك فقـد فشلوا فى الحصول على البركة . إن الشرط الأساسى لكل مـلء هو التفريغ ، والخزان إن هو إلا فراغ كبير معد وينتظر متعطشاً إلى المـاء ، وكل ملء حقيقى بالروح لا بد أن يسبقه تفريغ ، وقد قال أحدهم : « لقد طلبت البركة طويلا ، وباهتمام ، وتعجبت لأنها لم تأت ، وأخيراً علمت أنه لم يكن هناك مكان فى قلبى لقبول البركة » . من الأمور التى يجب أن يشملها التفريغ أن نظهر عدم رضانا على حالتنا التى نحن فيها الآن ، ونعترف بأن فينا الكثير من الحكمة وأعمال الجسد ، وأن نتخلى عن كل ما احتفظنا به فى الحياة فى أيدينا وتحت سيطرتنا وبسببه ملكت الذات ، وهذا أيضاً بالنسبة لكل الأمور التى اعتقدنا أنه لا يلزم أن نطلب مشورة الرب من جهتها . ثم يتبع ذلك إقتناع عميق بالعجز الكامل وعدم استطاعتنا أن نقبل ما يُقدم لنا ، وفى خضوع وانكسار فى الروح ننتظر الرب فى رحمته وقوته العظيمة « لكى يعطينا بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن » .

وبجانب ذلك يجب أن يتوفر الإيمان الذى يقبل وينال ويأخذ العطية ، وبواسطة الإيمان فى المسيح وفى الآب يسرى فينا الملء الإلهى . وقـد كتب بولس لأهل أفسس أنفسهم ، الذين أمرهم قائلا « إمتلئوا بالروح » ، كتب يقول : « الذى فيه (المسيح) إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس » ، فالأمر الذى أمرهم به كان يرتبط بما سبق أن نالوه . كان النبع موجوداً فيهم ، وكان عليهم أن يفتحوا له الطريق ويرفعوا الأحجار التى تعوقه ، وعندئذ يتدفق ليملأ الكيان ، لا كأنه من قوتهم فقد قال يسوع : « من آمن بى تجرى من بطنه أنهار ماء حى » .

وكل من يؤمن يجب أن يستمر فى إيمانه إن ملء الروح هو فى يسوع بالحق ، ونستطيع أن نناله عندما نحيا معه فى شركة حقيقية مستمرة بغير انقطاع. ويجب أن يقابل الإنسياب المستمر للعصارة من الكرمة الحقيقية بالاستعداد الدائم للقبول فى بساطة الإيمان ، فيعتمد فيضان النبع فى الداخل على يسوع الذى هو فى السماء . وبالإيمان فى يسوع الذى قد تعمد بالروح وله أن يطهر بالدم يزداد فيضان النبع فى الداخل حتى تطمو المياه.

ومع ذلك فإن الإيمان بيسوع واستمرار فيضان الروح فى الداخل لا يغنيان عن الإيمان بعطيه الآب الخاصة والصلاة لأجل تجديد الوعد. لقد صلى بولس للآب لأجل هؤلاء الأفسسيين أنفسهم الذين كانوا قد قبلوا الروح فى الداخل كعربون ميراثهم لكى يعطيهم بحسب غنى مجده أن يتأيدوا بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن . وما تشير إليه هذه الكلمات ليس هو عملا يحدث تدريجياً ، ولكنه حدث يتم مرة وفى الحال ، وهذا التعبير « بحسب غنى مجده » يشير إلى شيء يعتبر إظهاراً عظيماً للقوة والمحبة الإلهية . لقد سبق أن سكن فيهم الروح ، لكنه عاد يصلى لأجلهم لكى يعطيهم الآب مثل هذه الأعمال العظيمة للروح وملئاً كهذا بالروح القدس ، لكى يكون سكنى المسيح فى الداخل وحياة المحبة الفائقة المعرفة ، والامتلاء بملء الله تصبح هذه كلها الاختبار الشخصى المبارك . عندما جاء الطوفان قديماً انفتحت طاقات السماء من فوق وينابيع الغمر العظيم من تحت ، ولا يزال الأمر كذلك بالنسبة لإتمام موعد الروح « أسكب سيولا على اليابسة ». وكلما كان عمق الإيمان فى الروح الساكن فينا ، وكان انتظاره ببساطة ، كلما كان فيض إنسكاب الروح من قلب الآب إلى قلب الابن المنتظر .

وهناك صورة أخيرة تذكرنا أن هذا الامتلاء يحدث بالإيمان ، فعندما يريد الله أن يظهر ذاته فإنه يحب دائماً أن يأتى فى مظهر الاتضاع الذى لا يتفق

مع عظمته ، فيأتى متسربلا برداء الاتضاع الذى يريد من كل أولاده أن يحبوه ويرتدوه . إن ملكوت الله يشبه حبة ، والإيمان وحده هو الذى يستطيع أن يدرك مقدار المجد الذى يختفى فى ضآلتها . هكذا كانت حياة الابن على الأرض ، وهكذا يكون سكنى الروح فى الداخل ، يطالبنا أن نؤمن به فى الوقت الذى لا نرى ولا نحس بشىء ، فثق أن النبع الذى يفيض وينبع إلى أنهار حية موجود فى داخلك حتى لو كان كل شىء يبدو فى جفاف . إصرف وقتاً فى الاختلاء فى مخدع القلب الداخلى ، ومن هناك إرفع شكراً وقدم سجوداً لله وأنت واثق أن الروح القدس فيك . إقض وقتاً فى هدوء وصمت لتتحقق وتعطى الفرصة للروح نفسه أن يملأك بهذا الحق الروحى الإلهى ، أنه يسكن فيك ، ليس فى الأفكار والإحساسات أولا ، وإنما فى الحياة أعمق مما تستطيع أن ترى أو تحس ، هناك هيكله ومكان سكناه غير المنظور . وعندما يرى الإيمان مرة أنه قد نال ما طلبه فإنه يتدرب أن يكون صبوراً ، ويستطيع أن يستمر فى روح الشكر حتى لو تضجر الجسد ، وأن يضع ثقته فى يسوع غير المنظور وفى الروح الساكن فى الداخل ، وأن يؤمن فى تلك الحبة الصغيرة التى لا صورة لها وهى أصغر جميع البذور ، ويستطيع أن يثق فى الله ويعطى المجد لذاك الذى يستطيع أن يفعل أكثر جداً مما نفتكر ، وأن يؤيدنا بكل قوة فى الإنسان الباطن فى الوقت الذى يبدو فيه كل شىء ضعيفاً خائراً .

أيها المؤمن ، إنتظر الروح القدس ، ليس بالطريقة التى تقدمها حكمتك الجسدية ، ولكن مثلما كان مجىء ابن الله بغير صورة ولا جمال ، بطريقة تعتبرها حكمة الإنسان جهالة . توقع القوة الإلهية فى شدة الضعف ، وصر جاهلا لكى تعطى لك الحكمة التى يعلمها الروح ، ولتكن لك الرغبة أن تصبح لا شىء ، لأن الله يختار غير الموجود لكى يبطل الموجود ، فهكذا ينبغى أن تتعلم أن لا تفتخر فى الجسد بل بالرب ، وفى غمرة الفرح العميق الذى ينبع من الداخل فى حياة الطاعة والتسليم كل يوم سوف تعرف ما هو الامتلاء بالروح .

فهرست الكتاب

صفحة

صفحة

رقم الإيداع ٢٥٢٣ / ١٩٨٣
الترقيم الدولى ٠ - ٠٤٣ - ١٣٩ - ٩٧٧